رحلات في القارة الأوربية

البرتغال وبلجيكا وهولندا

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد ناصر
في البرتغال وبلجيكا وهولندا / محمد ناصر العبودي – الرياض ، ١٤٢٦هـ
٢٥٠ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم
ردمك : ٩ – ٦٠٤ – ٤٧ – ٩٩٦٠
١– البرتغال – وصف رحلات ٢– بلجيكا – وصف رحلات
٣– هولندا – وصف رحلات – العنوان
ديوي ٩١٠,٤ ١٤٢٦/١٤٩٦

رقم الايداع: ١٤٢٦/١٤٩٦
ردمك: ٩-٦٠٤-٤٧-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياضن عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوغراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية).

(٩٩) من غينيا الإستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية).

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)

(١٠٢) البرتغال وبلجيكا وهولندا (رحلات في القارة الأوروبية) (وهو هذا الكتاب).

(١٠٣) نظرات في شمال الهند.. مجلدان طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٠٥) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٠٦) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٧) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٨) كتاب النقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٠٩) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١١٠) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١١) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٢) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٣) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١١٤) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٥) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٦) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٧) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١١٨) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة. ١٤١٩هـ.

(١١٩) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٢٠) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٢١) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٢) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٢٣) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحبا لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٢٤) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٥) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٦) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٧) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٢٨) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٢٩) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٣٠) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

مقدمة:

الحمـــدلله، والصـــلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أمـــا بعـــد: فأوروبـــا قـــارة مفتوحة وكثير من أبناء قومنا العرب زاروها، ومن لم يزرها فإنه سمع من حديثها عمن زارها ما قد يكفيه عن طلب المزيد من الحديث عنها.

ولهـــذا الســـبب لم أكتب عن زياراتي للبلدان الأوروبية كتبا كالتي كتبتها عن الرحلات في القارات الأخرى.

والمـــراد بأوروبا هنا أوروبا الغربية الحرة في اقتصادها واعتقادها، أمـــا أوروبـــا الشـــرقية الشـــيوعية، فقد كتبت عنها كتبا منها (ذكريات من يوغســـلافيا) و(زيـــارة للمســـلمين فـــي الاتحاد السوفيتي) و(خلف الستار العقـــيدي) و(مع المسلمين البولنديين) وذلك لقلة من يزورها من أهل البلدان العربية، ولغرابة نظامها الشيوعي على أبصار وبصائر قومنا العرب.

وقـــد زرت قـــارة أوروبـــا كلهـــا إلا أصغر دولة في المجموعة الأوروبـــية الغربـــية وهي (لكسمبورج)، وكان بإمكان من يزور بلجيكا وهولندا أن يدخل إليها دون سمة دخول، أو حتى دون أية إجراءات.

وهذا شأن دول ثلاث أسمت نفسها (بني لوكس) فالباء هي الحرف الأول مـــن اسم بلجيكا والنون: الأول من اسم هولندا الذي هو (ندرلاند) أي الأراضي المنخفضة، والبقية (لوكس) من اسم لكسمبورج.

ولكن الوقت لم يسعفني بزيارة لكسمبورج التي فيها مسلمون عددهم قليل، وفيها لهم مسجدان.

فـــالذي يدخل إلى هذه الدول بصفة قانونية بمعنى أنه يحصل على ســـمة دخول لإحداها لا يحتاج إذا أراد أن يدخل إلى الدولتين الأخريين إلى أية سمة من سمات الدخول ولا أية إجراءات أخرى.

ولكـــن الطـــابع المتميز لكتابتي حسب طبيعتي في الكتابة، وحسب نـــوع عملـــي فـــي الحقل الإسلامي منذ أكثر من ربع قرن يجعلني أهتم بالكـــتابة عـــن شـــئون المسلمين إلى جانب الكتابة عن الشئون الأخرى، وأحـــياناً تكـــون الكـــتابة عن الشئون الإسلامية في البلد الذي أزوره لها الأولويـــة على غيرها، مما لا يعجب بعض القراء، ولكنه يعجب جمهرة مـــنهم، أولـــئك الناس الذين يحبون الإطلاع على أحوال المسلمين، وفي الوقت نفسه يحبون قراءة كتب الرحلات ومعرفة أحوال القوم الآخرين.

ومـــن هـــنا راجعـــت نفســـي وقررت أن أكتب عن بعض البلدان الأوروبية التي أزورها مثل هذه الكتابة.

وكنـــت أكملت كتابة فصل قصير عن زيارة قصيرة إلى البرتغال قمـــت بهـــا عـــندما كنت مسافراً من المغرب إلى فنزويلا، ولم نجد أنا ورفيقـــي في تلك الرحلة الرائد- آنذاك- عبدالله بن عبدالرحمن العريفي طيراناً مباشراً سهلاً من الدار البيضاء إلى كاراكاس عاصمة فنزويلا إلا عن طريق لشبونة عاصمة البرتغال.

وخلتنـــي بـــدأت بكتاب عن الرحلات في القارة الأوروبية عنوانه: (رحلات في أوروبا) غير أن الأسفار طوحت بي إلى قارات أخرى أبعد من أوروبا مثل أمريكا الجنوبية وأستراليا والأماكن القصية من آسيا.

وحـــتى الأقطار الواقعة خارج القارات الست مثل نيوزلندا وجزر

فيجي وجزر جنوب المحيط الهادئ، ففتر عزمي عن الكتابة في أوروبا.

والآن وقد سنحت الفرصة لزيارة بلجيكا وهولندا فقد كتبت فصلين عنهما وضممتها إلى الفصل السابق عن البرتغال، فألف ذلك هذا الكتاب.

ثم كتبت بعد ذلك عدة كتب عن نواح مهمة من أطراف أوروبا منها كتاب: (في شمال الشمال: النرويج وفنلندا)، و(جنوب الشمال: بلاد السويد)، و(بلاد البلطيق)، و(من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء)، وهي كتب مستقلة طبعت كلها، ولله الحمد.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

الفصل الأول: البرتغـــال

خريطة البرتغال

جغرافية البرتغال:

المساحة الإجمالية: ٩٢,٠٨٠ كلم٢ (٥٧,٢٢٨ميلا مربعا).

مساحة الأرض اليابسة: ٩١,٤٤٩ كلم٢ (٥٦,٩٥٥ ميلا مربعا)

طـــول الحـــدود: يـــبلغ طول الحدود ١,٢١٤ كلم (٧٥٥ ميلا) كلها مع إسبانيا، ٩٢,٠٨٠ كلم (٥٧,٢٢٨ ميلا).

طول الساحل: ١,٧٩٣ كلم (١,١١٤ ميلا).

السكان حسب تعداد ١٩٩٣م: ٩,٨٢٧,٠٠٠ نسمة.

الكثافة السكانية: بمعدل ٢٩٥ شخصا لكل ميل مربع.

الانـــتماءات الدينـــية لسكان البرتغال: يشكل الكاثوليك الرومان ٩٧./. والجماعات البروتستانتية ١./. وآخرون ٢./..

اللغة الرئيسية: البرتغالية.

الأراضي والموارد: تتكون دولة البرتغال من ميسيتا، وهو الجزء الداخلي الجبلـــي مـــن البلاد وساحل منبسط في الغرب يتسع بصورة واضحة من ناحية الشمال إلى الجنوب.

وتعتبر سيرادا استرلا أعلى سلسلة جبلية في وسط البلاد، ويجري نهـــر تاجو عابرا البرتغال من الشرق للغرب، والأرض التي يمر عبرها نهـــر تاجو تعتبر مرتفعة، حيث يزيد ارتفاع أراضيها عن ٤٠٠ متر (١٣٠٠) قـــدم فـــوق سطح البحر، ويتجاوز ارتفاع القمم ١٢٠٠ متر (٤٠٠٠ قدم)، أما جـــنوب النهر فإن الأراضي أشد انخفاضا وتنحدر بصورة تدريجية، حيث إن ٣./. من راضي يزيد ارتفاعها عن ٤٠٠ متر.

المناخ:

البرتغال لها نوع فريد ومختلف من مناخ البحر الأبيض المتوسط، فالمناطق الشمالية أكثر رطوبة في الدرجة المتوسطة وموسمها الجاف قصير، أمّا الجنوب فظروفه المناخية تكاد تكون مشابهة لظروف المناخ شبه المداري الجاف، وعبر الساحل فإن متوسط درجة الحرارة الشهرية يتراوح في يناير ما بين ٩ إلى ١٢ درجة مئوية (٤٨- ٥٤ درجة فهرنهايت).

وفي يوليو ما بين ٢٠ إلى ٢٤ درجة مئوية (٦٨- ٧٥ درجة فهرنهايت).

والرياح التي تهب من المحيط الأطلسي تلطف درجة الحرارة طوال أيام السنة، والصقيع نادر في الشمال، ويكاد يكون غير معروف في الجنوب، وفي داخل البلاد ينخفض متوسط درجة الحرارة في الشتاء بمعدل ٣ أو ٤ درجات مئوية ويستثنى من ذلك المناطق المرتفعة التي لا ترتفع فيها درجة الحرارة بصورة ملاحظة في الصيف.

أما كمية الأمطار التي تهطل شتوياً في البلاد فإنها تتراوح من ١,٠٠٠ إلى ١,٣٠٠ ملم (٤٠ إلى ٥١ بوصة) في الشمال إلى ٤٠٠- ٦٠٠ ملم (١٦ إلى ٢٤ بوصة) في الجنوب.

ومعظم الأمطار تهطل في الشهور الأكثر برودة، في فصلي الربيع والخريف تتبادل فيهما فترات تتسم بكثرة السحب، وظهور الشمس، حيث تسود المنطقة في الصيف فترة جفاف وجو مشمس يستمر في المتوسط شهرين في بورتو وثلاثة أشهر في لشبونة، وأربعة أشهر في الساحل الجنوبي.

ومعظم أنهار البرتغال تأتي من إسبانيا إليها، وتصب في المحيط الأطلسي.

البرتغال الاستعمارية:

عاشت البرتغال بين ١٩٢٦ و١٩٦٨م تحت الحكم الديكتاتوري للدكتور انتونيو سالازار، مع أن قبضة سالازار ظلت قوية داخل البرتغال فإن سيطرتها الخارجية أخذت تضعف بمرور الوقت، وقد حافظ سلازار على مستعمرات بلاده لفترة أطول بكثير مما فعل أقرانه من القادة الأوروبيين، ولكن بداية النهاية جاءت عام ١٩٦١م عندما فرضت الهند سيطرتها على المستعمرات البرتغالية في شبه القارة الهندية وهي جوا ودامان وديو.. بالقوة.. وفي العام نفسه اندلعت حرب عصابات استقلالية في أنجولا "درة" المستعمرات البرتغالية.

ثم شهدت السنوات التالية تصاعد التململ في صفوف القوات المسلحة البرتغالية وفئات المعارضة السياسية كما اشتد ساعد المنظمات الاستقلالية في المستعمرات البرتغالية الإفريقية.

وبينما نشأت داخل البرتغال تحالفات يسارية وعلى يسار الوسط تمكنت عام ١٩٧٤م من إسقاط حكم الدكتور مارسيللو كايتانو، بالتعاون مع القوات المسلحة التي أخذت تخسر معاركها مع الحركات الاستقلالية في المستعمرات، وقد سمع العالم بقيادات هذه الحركات التي تولت خلال السنوات القليلة التالية الحكم في المستعمرات التي ظفرت باستقلالها.

فقد قادت جبهة تحرير غينيا بيساو وجزر الرأس الأخضر عملية تحرير بلادها بقيادة زعيمها هاميلكار كابرال الذي خلفه بعد وفاته شقيقه لويس كابرال ثم هوان برناردو فييرا، وجبهة التحرير الموزامبيقية لتحرير موزامبيق بقيادة سامورا ماشيل.

أمـــا أنجـــولا فـــإن معركة استقلالها اتخذت طابعين هما الحرب الاستقلالية والحرب الأهلية.

فقـــد تركـــزت قوة الجبهة الوطنية لتحرير أنجولا (FNLA) بقيادة هولـــدن روبرتو وهي يمينية في الشمال وكانت تدعمها زائير، وتركزت قوة الحركات الشعبية لتحرير أنجولا (MPLA) بقيادة الدكتور اجوستينو نيـــتو وهـــي يسارية ماركسية في وسط البلاد وعاصمتها لواندا وكانت تتلقى الدعم من دول المعسكر الشرقي.

و تركـــزت قـــوة الاتحـــاد الوطني للاستقلال التام لأنجولا (يونيتا) في الجـــنوب بقـــيادة الدكتور جوناس سافيمبي، وكانت تتلقى الدعم في بداية الأمر مـــن زامبـــيا، قـــبل أن تتحول إلى أقصى اليمين وتصبح أداة لحكومة جنوب إفريقية العنصرية.

غـــير أن الحـــركة الشـــعبية نجحت في التغلب على غريمتها وصارت حـــزب السلطة فاختير اجوستينو نيتو أول رئيس لأنجولا المستقلة لحين وفاته عام ١٩٧٩م، وقد خلفه في هذا المنصب ولا يزال أدواردو دوس سانتوس.

ولكـــن إذا كانـــت الحـــركة الشعبية قد نجحت في ضرب الجبهة الوطنـــية، فـــإن ارتباط "يونيتا" بجنوب إفريقيا الطامحة لضرب الأنظمة اليســـارية التي أخذت تنشأ حولها، زاد من قوتها وازدادت قدراتها أكثر مـــن تحـــول جل الدعم الغربي لها نتيجة انهيار الجبهة الوطنية تقريبا، وهكـــذا بينما طلبت حكومة الحركة الشعبية دعم القوات الكوبية المباشرة التزمت الولايات المتحدة بتأييد "يونيتا".

ومـــع أن تفاهما تم التوصل إليه بين الجانبين انطوى على انسحاب القوات الكوبية وعودتها إلى بلادها فإن التسوية للنزاع الأنجولي الداخلي لم تتحقق بعد.

يوم الخميس ١٠ ديسمبر ١٩٨١م:

من الدار البيضاء إلى لشبونة:

كنت قد وصلت الدار البيضاء من الرياض في رحلة استغرقت إحدى عشرة ساعة ونصفا تخللها وقفتان: إحداهما في جدة والأخرى في الجزائر.

ولم يركب معنا من الجزائر إلا امرأة مغربية واحدة في طائرة السعودية التي هي من طراز بوينج ٧٠٧ على حين أنه قد نزل في مطار الجزائر جملة من الركاب.

وهذه الرحلة لي هي في مهمة رسمية في فنزويلا ودول البحر الكاريبي، ولكنني انتهزت الفرصة، وقررت زيارة عدد من دول أمريكا الجنوبية الرئيسية ثم التوجه إلى الشرق الأقصى للمرور بهونولولو وجزر الفيليبين وبعض جزر المحيط الهادئ ومن هناك العودة إلى بلادنا بإذن الله.

قامت طائرة الخطوط الملكية المغربية من مطار محمد الخامس في الدار البيضاء في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرين متأخرة عن موعدها المقرر بساعة كاملة ظلت خلالها علامة الخروج إلى الطائرة التي تعلو بوابة الخروج تطلق إشاراتها التي هي الإضاءة والانطفاء، وسوف تمر الطائرة بمدينة طنجة ثم تواصل سفرها إلى لشبونة عاصمة البرتغال.

وقد استغرق الطيران إلى طنجة أربعين دقيقة بالطائرة التي هي من طراز بوينج ٧٣٧، وكل مقاعدها تقريباً مشغولة بالركاب الذين يبدون في لون العرب الشماليين وهم خليط من المغاربة والبرتغاليين.

ومن الملاحظ أنهم عند الخروج من بوابة المطار والدخول في الطائرة لم يكونوا يمشون مطمئنين كما تفعل أكثر الشعوب المطمئنة، بل كانوا يسرعون ويتزاحمون.

وقد كان ذلك من آثار عدم الترقيم في المقاعد، وإنما كان المقعد المختار عند النافذة مثلاً لمن سبق.

وإن المرء يعجب من هؤلاء المتخلفين لماذا يتكاسلون عن شيء يحفظ النظام ويساعد على تعليم الأمة كيف تحترم بعضها بعضاً وبخاصة كيف يحترم الأقوياء الضعفاء في السير والدخول والخروج وهو لا يكلفهم غالياً ولا يحتاج إلى تقنية أو خبرة صعبة التحصيل، وهو ترقيم مقاعد الطائرة.

وقد أعلنت المضيفة بيانات الطائرة بثلاث لغات أولها العربية وآخرها الإنكليزية وأوسطها الفرنسية، وكانت المضيفة نفسها تلفظ بالجملة من العربية، وبعدها جملة بالفرنسية فالإنكليزية وهكذا.

وهي فصيحة باللغات الثلاث إلا أن نطقها بالإنكليزية تشوبه لكنة فرنسية.

وقد نهضت الطائرة في الساعة الخامسة والنصف إلا خمس دقائق مساءً، وكان قرص الشمس قد غاب نصفه في الأفق الغربي وأوشك النصف الآخر على المغيب غير أن الطائرة كانت ترتفع والشمس كانت تنخفض في رأي العين فغلب ارتفاع الطائرة انخفاض الشمس، إذ ارتفعت حتى بان قرص الشمس كله للركاب أحمر شديد الاحمرار كأنه قطعة من النحاس قد أخرجها حداد من الكير.

إلى أن اختفت الشمس في حجاب من السحاب.

مطار طنجة:

هذه المدينة كان العرب يضربون بها المثل في البعد لأنها آخر بلاد المغرب بالنسبة لمن يكون في المشرق.

وإن كان ذلك لم يمنعها من أن تخرج أعظم رحالة عربي وصف المشرق الأقصى بما لم يصفه به أهله ولا أهل المشرق القريبين منه وهو ابن بطوطة رحمه الله.

كان الجو ماطراً والظلام حالكاً رغم أن الساعة لم تكن تزيد على السادسة إلا قليلاً، وقد أخبرونا نحن الركاب العابرين إلى لشبونة أن علينا أن نظل في الطائرة لأنها لن تبقى في مطار طنجة إلا ثلاثين دقيقة.

وبعد وقوفها ربع ساعة صعد إليها عدد كبير من الركاب امتلأت بهم مقاعد الطائرة كلها وكانت نسبة الأوروبيين فيهم أكثر من نسبة المغاربة، ولكنهم من الأوروبيين الجنوبيين الذين لا يبعدون في اللون عن المغاربة الشماليين.

إلى لشبونة:

بعد التوقف المقرر وهو نصف ساعة عاودت الطائرة الطيران وأعلنت المضيفة باللغات الثلاث أن مدة الطيران إلى لشبونة (٤٥) دقيقة، أي نعم، خمس وأربعون دقيقة فقط.

إن هذه المدة لا تزيد على المسافة ما بين الدار البيضاء وطنجة إلا بخمس دقائق.

وكانت الطائرة قد بح صوتها وهي تنهض بحملها الثقيل قاصدة

لشبونة وأنا أحاول أن أنهض بحمل ثقيل من الحزن والأسى العميق على ما آلت إليه حال المسلمين الآن.

بالأمس كنا قلة محتقرة من الناس بسبب شظف العيش، ونقص المدنية، فأخذنا بديننا الإسلامي الحنيف الذي هو مثل وأخلاق والتزام بتلك الأخلاق وسلوك وفق ما تأمر به مما جعلنا ننطلق إلى بلاد الأندلس ومنها لشبونة هذه التي نقصدها وما حولها بل وما بعد عنها إلى الشمال ذهاباً في أرض الجزيرة الأندلسية الخضراء في أيدينا سلاح ذلك العصر ولكن الأمضى منه هو سلاح ليس في أيدي الأعداء، ألا وهو الإيمان بالله تعالى، والعزيمة على نصر دينه والاستعداد لإحدى الحسنيين الفتح أو الشهادة في سبيل الله، ومع ذلك العدل والإحسان والبعد عن العنصرية والإقليمية.

واليوم انعكس الأمر حتى آلت بنا الحال إلى أن نصبح مفتوحين لباطل المبطلين بدلاً من أن نكون نحن الفاتحين.

وذهابنا الآن إلى لشبونة هو ذهاب فرد من الأفراد، ولكنه قد يمثل المجموع أو أكثر الأفراد في الأمة الإسلامية، إنما هو ذهاب السائح المجامل، أو على الأدق الذي يقابل المجاملة بالمجاملة في المعاملة، وليس ذهاب من يدرس كيف تكون الأوبة بعد الغيبة، و النجاح في الفتح إن لم يكن فتح البلدان، فإنه فتح الأذهان.

وذلك لليأس الذي حل بالمسلمين في هذه الأزمان، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت هذه الأفكار تراود خاطري، وكان المنظر خارج الطائرة بعد أن استوت في سيرها فوق السحاب بهيجاً، إذ هو منظر سحاب قد انعكس

عليه ضوء القمر الذي هو بدر منير في هذه الليلة فأصبح كأنه لجة فضية.

والبدر يطل من عليائه وكأنه يبتسم لانعكاس محياه الوضاء على هذا السحاب، إلاّ أنني ذكرت أن هذا القمر الذي نراه الآن، أو هو يرانا الآن، قد رأى أسلافنا من قبل وهم ينتصرون، ورآنا نحن خلفهم ومن كانوا ينتظرون أن يكونوا مثلهم منتصرين، وقد أصبحنا منهزمين هزيمتين، بل هزائم متعددة منها الهزيمة في الحروب، ومنها هزيمة الهزائم وهي الهزيمة في الفكر والثقافة، والمثل والعادات والتقاليد.

ولم أستطع أن أتفادى هذا الحرج الذي سببه لي محيا البدر الذي كان يخيل إليَّ من قبل أنه كان يضحك لي، ولهذا المنظر الفضي فوق السحاب، فأصبحت أرى أنه يضح مني ضحك سخرية واستهزاء.

لم أستطع إلاّ أن أغضَّ طرفي، وأكتم حزني، وأتلفت إلى جاري في المقعد فأجده فتى فرنسيا كان يلاحظني متعجبا من كتابتي بالعربية التي تنطلق من يمين السطر إلى شماله، عكس كتابتهم الأوروبية، ويظهر أنه لم يزر من البلدان العربية إلاّ المغرب التي إذا زارها الفرنسي خيل إليه أنه لم يفارق فرنسا، لأن أكثر الناس يتكلمون الفرنسية، إلى جانب العربية، وقد يكتبون له بالفرنسية أكثر مما يكتبون بالعربية.

ولم يستطع أن يكتم عجبه فسألني: لقد رأيتك ملأت بطاقة الدخول، إلى البرتغال بالإنكليزية، فكتبتها من اليسار إلى اليمين، وأراك الآن تكتب بلغتك من اليمين إلى اليسار، أفلا تجد صعوبة في هذا الانتقال بين اليمين و اليسار في الكتابة؟

فقلت له: إنني لا أجد صعوبة في ذلك، وإنما أجد الصعوبة في أنني احتاج

إلى أن أكتب بغير العربية لكي أدخل بلدا كان بلد العربية، وآداب العربية!

ولم يفهم مني ذلك حق الفهم أو لم يهضمه ذهنه كل الهضم.

وكان المضيفون يسرعون في تقديم ضيافة خفيفة هي بعض الشطائر (الساندويتشات) معها شراب الجعة (البيرة) وعصير البرتقال والكوكاكولا لعلمهم بقصر الوقت.

فوق لشبونة:

لم تكد الطائرة تتم أربعين دقيقة من الطيران حتى أعلن الطيار قوله: إننا نطير الآن فوق مدينة لشبونة، ويمكنكم أن تنظروا إليها من الجانب الأيمن، ولن تمضي خمس دقائق حتى نكون قد هبطنا في مطارها، وإن درجة الحرارة فيها هي ١٦ درجة مئوية.

نظرت إلى المدينة ولم أميز غير الأضواء بسب الظلام، ولم تكن أنوارها ساطعة، ولا كان ما يبين من الطائرة من شوارعها مستقيماً منسق الأنوار، فمنظرها لا يتفق مع منظر مدينة كانت عاصمة دولة استعمارية، شهدت مغامرات واكتشافات في أقاصي الدنيا مثل دوران فاسكودي جاما حول رأس الرجاء الصالح لأول مرة، ومن ثم وصوله إلى الهند لأول مرة من ذلك الطريق، ناهيك عن الاكتشافات المهمة في أنحاء إفريقية السمراء أو السوداء، كما يسمونها التي كانت تسمى مجاهل إفريقية.

وعندما هبطت الطائرة قليلاً بانت أعداد السيارات في الشوارع الرئيسية بكثرة لا بأس بها، ولكنها أيضاً لا تتناسب مع ماضي هذه الدولة العريقة في الاستعمار.

وكان الجو صاحيا على لشبونة لذلك كانت أشعة القمر تنعكس على مياه خور من البحر يبدو كما لو كان يفصل بين جزئين من المدينة التي كانت عربية إسلامية في يوم من الدهر، فأضاعها أهلها فيما أضاعوا من أمجاد.

في مطار لشبونة:

يقع المطار غير بعيد من عمارات سكنية لذلك عندما هبطت الطائرة لم يكن المدرج أمام الطيار ممتداً كثيراً لذلك أسرع يكبح جماح الطائرة (بالفرامل).

كان أول وقوفنا داخل المطار عند ضابط الجوازات الذي لم يوجه إليَّ كلمة واحدة عن المدة التي سأقيمها مثلاً أو عن عنواني في لشبونة، وإنما نظر في البطاقة التي ملأتها في الطائرة ثم ختم الجواز.

وعند مرورنا بالجمرك لم يعترضونا، ثم (البنك) فصرفنا كل دولار أمريكي بأربع وستين سكوداً من عملتهم.

وكان آخر من وقفنا عنده مكتب خدمات السياح عليه فتاة حجزنا من عندها في فندق قالت إنه في وسط المدينة، وإنه رخيص لا تزيد أجرته عن أربعة عشر دولاراً أمريكياً.

أما سيارة الأجرة فكانت بالعداد وقد أخذ السائق من المطار إلى الفندق مائتي سكوداً أي نحو ثلاثة دولارات ونصف، مع أن عدداه لم يسجل إلاّ (١٢٤) ولكننا لم نشأ أن ننازعه لأن الفرق ضئيل جداً بالنسبة إلينا.

يوم الجمعة ١١ ديسمبر ١٩٨١م

نظرة إجمالية:

لم نكن قد خرجنا في الليلة البارحة لذلك صحونا مبكرين وأفطرنا مبكرين في السابعة وعندما خرجنا من الفندق في السابعة والنصف لم تكن الشمس قد طلعت بعد، ومع ذلك كانت حركة السيارات موجودة في الشوارع والناس ذاهبون إلى أعمالهم.

ومن أول نظرة ألقيتها على هؤلاء القوم البرتغاليين الذين كنت قد رأيتهم خارج بلادهم في إفريقية وغيرها ازددت يقيناً بأنهم يشبهون العرب في أشياء كثيرة من أظهرها اللون فهم في لون الفلسطينيين، والشقر فيهم قليل، وأجسامهم ليست طويلة، بل هي معتدلة الطول إلى القصر ما هي، حتى تقاسيم وجوههم لا تبدو بعيدة كثيراً عن تقاسيم وجوه العرب إلا أن الذي يكاد يميزهم أن ذوي اللون الأسمر الداكن فيهم، نادرون أو لا يكادون يوجدون.

وأما اللون الأسود الداكن أو الأسود لون سكان إفريقية فإنه قليل جداً أيضاً وهذا من العجب، إذ المتبادر إلى الذهن أن تكون في هذه المدينة أعداد من سكان المستعمرات البرتغالية السابقة في إفريقية لاسيما أنهم ليسوا كالإنكليز الذين كانوا يعتبرون ممتلكاتهم في إفريقية مستعمرات، وإنما كان هؤلاء البرتغاليون يعتبرونها أراضي برتغالية، ويعاملونها على أنها امتداد واتساع للوطن الأم البرتغال وذلك لكونها مسكونة بطائفة كبيرة من البرتغاليين ولأنهم لم يكونوا يظنون أنهم سيضطرون إلى الجلاء عنها في يوم من الأيام لأن بلادهم صغيرة ومواردها المحلية محدودة.

ولكن الدهر جاءهم بغير ما كانوا يظنون فاستقلت تلك المستعمرات

كلها وإن كان أثر استعمار البرتغاليين عليها سيئاً بدليل أنها كلها أصبحت بلاداً شيوعية فهي موزمبيق وأنقولا أو شبه شيوعية كغينيا بيساو.

كنا نتجول في الشوارع وكان الجو لطيفاً رغم أننا في فصل البرد في النصف الأخير من شهر ديسمبر ولم نكن نلبس إلاّ بدلة صوفية خفيفة، وقدرت أن الجو في بلادي القصيم في هذه الساعة المبكرة من الصباح لا يقل برودة عن برد هذه المدينة الأوروبية.

غير أن وجود لشبونة قرب البحر مما يخفف من أثر البرد فيها، إضافة إلى أنها ليست شديدة الذهاب إلى جهة الشمال.

أما الشوارع فإنها جيدة معتنى بها وإن لم تكن بالغة الاتساع، وأكثر الأرصفة مفروش بالحجارة الصغيرة على شكل الفسيفساء أو ما يسمى (السيراميك) وقد جعلوها غير متساوية الارتفاع حتى تكون خشنة فلا يخشى منها الانزلاق.

في أحد شوارع لشبونة المفروشة بالفسيفساء

كانت السيارات في هذه الأسواق كثيرة وربما كان ذلك بقية من عهد الاستعمار القديم، ولكن الحافلات النظيفة كثيرة كثرة لافتة للنظر، مما يدل على كثرة الذين يستعملونها ممن لا يملكون سيارات، وليست مزدحمة كما في أكثر البلدان المتخلفة اقتصاديا التي تأتي في مقدمتها أو في مؤخرتها من هذه الناحية مدينة القاهرة بحافلاتها الذائعة الصيت في السوء والازدحام.

أما النساء فإنهن تغلب عليهن البدانة والرشيقات فيهن قليل، وأما ألوانهن فإنها ألوان العربيات الشماليات كاللبنانيات، وإن كانت اللبنانيات في نظر الناظر العربي أنضر من هؤلاء وجوها، وأندى بشرات، وأكثر رشاقة وملاحة.

وكما يذكر المرء ذلك بالبلاد العربية فإن هناك شيئاً آخر ذكرني بالبلاد العربية أيضا ألا وهو ماسح الأحذية في رصيف الطريق إلا أن الماسح البرتغالي والحق يقال هو أنظف ثيابا وبدنا من زميله ماسح الأحذية العربي، وهو أيضا أقل منه تطفلا وإلحاحا على المارة بأن يدعوه يمسح أحذيتهم.

وأمر آخر ذكرني ببعض البلدان العربية والشرقية وهو بائع قد يقابلك في الرصيف فيخرج من جيبه ساعة أو خاتما ويلح عليك في أن تشتريه منه، ولا تكاد تفلت منه إلا بمشقة إلا أنك إذا أفلت من قبضته فإنك لن تفلت من لسانه، إذ سيسبك أو يشير بكراهيته لك على كونك لم تشتر منه.

وأما منظر الناس من رجال ونساء فإنك لا تستطيع أن تقول إنها مظاهر الأغنياء، ولا إنها مظاهر الفقراء فهي بين ذلك، ويخيل إليَّ أنها مظاهر من حالة غنى كانوا عليها.

وكذلك القول على وجه العموم في الناس الذين هم في ألوان العرب الشماليين، ولكنهم جنس مستقل بذاته بحيث يصح أن نقول إنهم في منزلة بين منزلتي العرب والأوروبيين الشماليين، وإن كانت هناك أشياء ظاهرة يشبهون فيها العرب غير الألوان وهي ظاهرة الكلام بأصوات مرتفعة وبحماس تكاد تحسبه خصاماً في بعض الأحيان، ويكون مع الكلام إيضاحات لكل جملة أو لأكثر الجمل في الكلام من الإشارة باليدين والعينين وحركة الرأس أو عضلات الوجه، بخلاف ما عليه الحال عند الإنكليز مثلا.

إلى سفارة فنزويلا:

رفيقي في المهمة الرسمية التي أرحل من أجلها هو الرائد عبدالله بن عبدالرحمن العريفي لم يكن في جوازه تأشيرة دخول إلى فنزويلا لأنه توجه قبلي وانتظرني في المغرب على اعتبار أنه توجد سفارة فنزويلية في المغرب، أما أنا فقد حصلت عليها من سفارة فنزويلا في جدة.

لذلك ذهبنا للسفارة الفنزويلية هذا الصباح من فندقنا على سيارة أجرة سارت بنا مسافة معتدلة الطول إلا أنها غير مستقيمة بسبب طبيعة السير في الشوارع وقد سجل عداد السيارة (٢٤) سكودا، أي: أكثر من ثلث دولار أمريكي بقليل ويساوي ذلك ريالاً سعوديا ونصفا.

ولما أعطيناه (٢٥) سكودا شكر وذكر، مع أن سيارته ليست صغيرة الحجم مثل السيارات اليابانية مثلا أو فولكس واجن الألمانية، ومع غلاء الوقود عندهم، وهذا شيء رخيص جداً، وقد تكرر ذلك فيما بعد.

ولذلك يمكن القول بأن الركوب في سيارات الأجرة (التاكسي) في هذه البلاد من أرخص بلاد العالم.

ويزيد العجب من ذلك إذا تذكر المرء أنه في بلاد أوروبية مرتفع فيها مستوى المعيشة، لاسيما إذا قارن ذلك بـبعض الـبلاد المتخلفـة الـذين يأخذون منك نفقات مرتفعة ولا يعطونك إلا خدمات ضئيلة منخفضة الجودة.

وجدنا السفارة الفنزويلية في شقة من إحـدى العمـارات ضـيقة موصدة الباب لم يسمح رجل فيها مسئول عن الأمن بدخولنا إلا بعد أن تحقق من شخصية أحدنا.

وقد جاملونا فمنحوا التاشيرة لزميلي بسرعة وسهولة مع أن جوازه خاص وليس سياسيا.

المطاعم والمشارب:

المطاعم والمشارب في هذه المدينة موجودة كما هي موجودة فـي كل البلدان، ولكنها هنا ليست كثيرة كثرتها في باريس مثلا.

وذلك يدل على أن طائفة كبيرة من الناس من الذين يتناولون الطعام والشراب في بيوتهم وقد يدل هذا على تماسك الأسرة فيهـا أكثـر مـن غيرها من غالبية الدول الأوروبية.

ومطاعمهم نظيفة ولكنها ليست بالغة الأناقة، وإنمـا المهـم فيهـا بالنسبة إلى السائح العابر مثلنا أنها رخيصة جـدا إذا قورنـت بـالبلاد الأوروبية الأخرى أو بالمطاعم التي تماثلها من حيث المستوى والنظافة

في البلاد المتخلفة.

فمثلا دخلنا أحدها فأكلت طبقا جيدا من السمك وصحنا من السلطة الخضراء التي عمادها الخس وشربت كأسا من عصير البرتقال، وبعد ذلك قدموا طبقا من سلطة الفاكهة بمائتين وعشرة سكودات ويعادل ذلك أقل قليلا من أربعة دولارات أمريكية أو حوالي خمسة عشر ريالا سعوديا.

وقل مثل ذلك في المشارب إذ إبريق الشاي للشخص الواحد بعشرين سكودا أي: ريالا وربعا وهم لا يقدمون الحليب في المشارب الصغيرة مع الشاي، ويعتبرونه طلبا مستقلا، وإنما يقدمون الليمون.

وقد لفت انتباهنا في مطعم الفندق عندما تناولنا طعام الإفطار فيه أن العاملة قالت (شاه) تريد (شاي) فلما قلنا: نعم، سألت (ليمون؟) كما ننطق بها بالعربية.

آداب الشارع:

من المفارقات التي يلاحظها المرء ملاحظة عابرة ما بين أهل هذه البلاد وبين الأوروبيين الشماليين أنه لا يرى هنا مظاهر الحب والعشق في الشوارع مثل التقبيل المبالغ فيه والاحتضان والمخاصرة الطويلة، فهذه لا توجد هنا إلا على ندرة وفي حدود ضيقة جدا.

وأما آداب الشارع الأخرى مثل أن تتأنى في السير إذا كان أمامك من يريد الإسراع فيمر قبلك فإنها موجودة ولكنها أيضا أقل مما هي عليه في البلدان الأوروبية الشمالية.

وأما ألبسة النساء الفاضحة أو غير المحتشمة فإنها لا توجد أصلاً، وربما كان السبب في هذا هو البرد الذي اضطرهن إلى ستر أجسادهن كلها غير أن البرد لا يمكن أن يمنع بعض الأوروبيات ساكنات البلدان الباردة من ذلك، إذ نرى الواحدة منهن قد سترت جسمها بلباس كثيف حتى إذا ما دخلت مطعماً أو مشرباً دافئاً خلعته فبان ما تحته مما يكون في مثل لباس النوم أو قريباً منه في بعض الأحيان.

يكلمونني بالبرتغالية:

في مرات كثيرة كان أناس يبدءونني بالكلام باللغة البرتغالية يظنونني برتغالياً وذلك لقرب ألوانهم من ألواننا نحن العرب، وأما إذا سألتهم فإنهم يجيبون بالبرتغالية وقد يقال: إن ذلك لا يدل على شيء إذ الغريب يكون أحياناً يعرف قدراً من لغة البلاد التي يزورها ولو كان ذلك قليلاً.

غير أن هناك شيئاً لاحظته غير اللغة فلم أرهم ينظرون إلينا كما ينظرون إلى الغرباء، ولم ألاحظ أننا نلفت نظر أحد، وذلك راجع إلى أنهم لا يرون في مظهرنا شيئاً مخالفاً لما يكون في مظهرهم.

يوم السبت ١٢ ديسمبر ١٩٨١م:

جولة في مدينة لشبونة:

هذه الجولة مع إحدى شركات السياحة أو الرحلات السياحية كما يعبر عنها حرفياً بالإنكليزية.

بدأت في الساعة العاشرة إلا ربعاً من هذا الصباح من ميدان رئيسي مشهور في هذه المدينة اسمه ميدان حديقة إدوارد السابع، وذلك بأنه متصل بحديقة منسقة ويسمونها (باركي) بمعنى حديقة أو منتزه وهي الكلمة الإنكليزية لهذا المعنى (بارك).

كان هذا الصباح مشمساً جميلاً غير أنه بارد، وقد انتشر الغرباء الذين جاءوا للسياحة مع هذه الشركة في طرف هذه الحديقة يتمتعون بالشمس التي هي في أوروبا وما في حكمها من البلاد الشمالية الباردة ليست فاكهة الشتاء، فحسب بل هي طعام الشتاء والصيف الذي يعرضون أجسادهم لتختزن منه ما يكفيها مؤونة للأيام المظلمة العابسة.

وبينما كنت وزميلي في السفر الرائد عبدالله بن عبدالرحمن العريفي نتبادل أخذ الصور التذكارية جاء بائع متطفل أخذ يلح كما يلح الذباب يعرض بضاعته وهي ساعة وخاتم ونحوهما، ولم يذهب إلا بعد أن كدر علينا صفو هذا اليوم الجميل.

مع الأخ الرائد عبدالله العريفي رفيق الرحلة في خارج لشبونة

بدأت الدليلة وهي امرأة برتغالية مسنة كلامها بالترحيب المعتاد مع السؤال عن البلاد ثم قالت: إننا نغادر ميدان حديقة إدوارد السابع مع هذا الشارع المهم وهو شارع واسع ذو اتجاهين يفصل بينهما جزيرة من الحشائش التي تنتشر فيها التماثيل الحجرية وينتشر فيها أيضاً الحمام الأخضر الداكن اللون الذي يلتقط من أرضها شيئاً لا أدري ما هو.

وفي هذه الجزيرة الممتدة من الشارع يرى المرء درج قطار الأنفاق أو المترو.

وكان كلام الدليلة بالبرتغالية والإنكليزية، ولم يكن في الحافلة الكبيرة الجيدة إلا عدد قليل من الركاب لا يزيد على أحد عشر راكباً فيهم زوجان أمريكيان ورجل مسنٌ مع فتاتين من المكسيك.

شارع الذهب:

تجاوزت الحافلة هذا الشارع الواسع المهم إلى شوارع تجارية في وسط المدينة وكان كلام الدليلة مختصراً، فهي ليست بالثرثارة التي تثري الزوار بالمعلومات الكثيرة، وأشارت إلى بناء لم نقف عنده قالت إنه من القرن الثامن عشر، ولم أر فيه ما يشدني إلى رؤيته، إذ ليس هو بذي طابع عربي ولا بذي طابع خاص يلفت نظري وأمثالي.

ثم دخلنا شارعا ضيقا قالت الدليلة: إن اسمه (شارع الذهب) وقد رأينا بالفعل بعض واجهات المتاجر فيه تعرض حلياً ذهبيا ومصاغا كثيرا.

وقد لاحظنا أن أكثر الأرصفة في هذه الشوارع الداخلية من الحي التجاري في المدينة مفروشة بالفسيفساء أو (السيراميك) الملون وهي إلى جانب مظهرها العام تدل على الثراء واليسار السابق الذي كان لدولة البرتغال الاستعمارية.

في قلب لشبونة يبين فية جامع لشبونة على اليمين

وأهم ما يميز هذا الحي التجاري هو ضيق شوارعه والعناية عناية جيدة بمظاهر المنازل والمتاجر فيه، وإن كان ذلك لا يخرجها إلى حد المبالغة، ولكنه لا يقصر ببعضها إلى حد الإهمال فهي كالشعب البرتغالي الذي لا تجد فيه أحداً من القذرين أو ذلك نادر ندرة الطبقات الراقية المترفة فيه.

وقالت الدليلة في معرض كلامها على هذا الجزء من المدينة: إنه أنشئ بهيئته هذه بعد أن حصلنا على استقلالنا من الإسبانيين، ومما يذكر أن استيلاء الإسبان على البرتغال كان بعد أن كان انتهى الحكم العربي عليها بفترة.

البرتقال في البرتغال:

في طرف من هذا الحي التجاري رأيت فلاحاً معه مكتلان أي: زبيلان صغيران مليئان بفاكهة البرتقال وقد وضعهما في عصا غليظة على هيئة كفتي الميزان وحملهما على كتفه، وهو يفعل ذلك يعرضهما للبيع.

فكان أن لفت نظري من ذلك تسمية البرتقال على اسم هذه البلاد (البرتقال) وبالقاف غير المعقودة، وإن كانت تكتب غينا فذلك اصطلاح كتابي لا غير.

ولفت نظري أيضاً وجود هذا الرجل الذي يعرض بضاعته بهذه الطريقة في قلب المدينة الزاخر بالمتاجر التي تحفل بالسلع الغالية.

وكان من ذلك أن قلت لصاحبي (هذا برتقالي يحمل برتقالاً في البرتقال):

وسارت الحافلة فقالت الدليلة انظروا إلى هذه الكنيسة فإذا بها صغيرة غير أنها قد بنيت كلها بحجارة محكمة قد قدت من مقالعها قدّاً.

المدينة العربية:

منذ أن وصلت إلى هذه المدينة وأنا التمس الآثار العربية، وبقايا المدينة الإسلامية فيها غير أنني لم أجد أي شيء من ذلك، ما عدا بناء واحداً حديثاً، ولكنه بنى على طراز أندلسي إسلامي، وذلك لأن البرتغاليين متعصبون جداً ضد العرب والمسلمين ولا يريدون أن يبقوا على شيء يذكرهم بهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأقسام التي فيها فندقنا وما قرب منه هي أقسام حديثة نسبياً من هذه المدينة لم تبن إلا بعد العهد العربي بقرون.

وعندما قرأت في النشرة التي أعدتها شركة السياحة وذكرت فيها أنها تتضمن زيارة المدينة القديمة سررت بذلك، إذ توقعت أن أرى فيها بقايا مما خلفه أسلافنا العرب المسلمون في هذه المدينة الأندلسية الشهيرة.

وها نحن الآن نصل إلى حي مرتفع بيوته من الطين المطلي بالجص وأسافلها من الحجارة وبعض البيوت مبني من الآجر- الفخار- المغموس بالطين وشوارعه أو على الأدق أزقته ضيقة، فهو لا يسمح بغير ذلك.

وعندما دخلت الحافلة أوائل هذا الحي ذكرني منظره بمنظر البيوت الطينية القديمة في مدينة دمشق.

ولم تسارع الدليلة إلى الإخبار عن تاريخ هذا الحي، والبلدة القديمة ويسمونها (الفاما) وإنما أوقفت الحافلة لأنها لا تستطيع أن تسير إلى أبعد من ذلك.

وقالت والركاب يتحلقون حولها وهم وقوف-: إن هذا الجزء هو الجزء التاريخي من مدينة لشبونة طبيعي أن الرومان أول من اتخذوا لشبونة

عاصمة، ولكن الآثار هنا هي آثار عربية، والطراز طراز عربي.

ثم قالت: إن العرب جاءوا إلى هذه البلاد من شمال إفريقية، ولم يأتوا إليها من الجزيرة العربية، ثم انطلقت تصعد ونحن نتبعها ندخل مع طاق أو بوابة ذات قوس عربي الأصل برتغالي المولد كتبوا عليه أنه بني في عام ١٨٤٦م.

ثم قالت ونحن نتبعها أيضاً وهي تصعد مع درج حجري إلى قمة هذه التلة الجبلية التي تشبه حي القصبة في طنجة وهي أقل ارتفاعاً من حي القصبة في مدينة الجزائر: إنكم تلاحظون الطراز العربي ظاهراً في البيوت والأبنية هنا.

ثم أخذت تذكر بعض تاريخ هذه البلاد، وتمثالاً مقاماً لشخص يظهر أنه ممن كان لهم أثر كبير في إخراج العرب منها إذ قالت إنه يعرف اللغة العربية.

ومن هذه التلة الجبلية كنا نشاهد الخور، أي: الخليج من البحر الذي تقع عليه مدينة (الفاما) والذي كان ولا يزال هو الميناء الطبيعي للشبونة.

وقد نصب البرتغاليون في القمة العالية هذه مدفعين قديمين أثريين.

ولاحظت مسجداً مهدماً ظاهراً من مظهره أنه كذلك، وإن لم تقل الدليلة شيئاً عنه، كما أنهم لم يرمموه لكونه أثراً من الآثار القديمة إذ تمنعهم المحافظة عليه من ذلك.

وأخذنا صوراً شمسية تذكارية فيه.

ولكن الصور المحزنة كانت لا تبرح خاطري وإن كانت تكون

ممزوجة أحياناً بمشاعر من الزهو والابتهاج، بمشاهدة أماكن نائية انطلق منها أسلافنا من مدفوعين بدافع مثلنا العليا المستوحاة من قيمنا الإسلامية التي لا تزال موجودة، وإن يكن العمل بها غير موجود فإننا لا نيأس من روح الله أن يبعث القلوب من رقادها ويردها إلى صوابها، فتستقيم على أمر الله فيعيد الله لها المجد والسعد وله الشكر والحمد.

كل البيوت التي تحيط بهذه المنطقة ذات طراز عربي قديم أشبه ما يشبهه طراز الأحياء القديمة في دمشق والجزائر، وأكثر مدن المغـــرب وبخاصة طنجة.

والأرض كلها مبلطة بالحجارة والشوارع لانحدارها قد جعلوهـــا درجـــات حجرية بدلاً من تركها بدون درج إلا في بعض الأماكن الخفيفة الانحدار.

وتركتنا الدليلة ومشاعرنا وأخذت تتحدث إلى بقية الرفـــاق حتـــى قادتهم إلى متجر هناك مليء بالمصنوعات اليدويـــة والهـــدايا الخفيفـــة المصنوعة في هذه البلاد من الأقمشة والأواني الخزفية والمصـــنوعات الجلدية ونماذج من الملابس الشعبية مصغرة على عرائس وهي أشـــياء رخيصة الثمن غير أن حملها هو المشكل.

رفيع الدرجات:

يصح أن يقال في وصف هذا الحي الإسلامي بأنه (رفيع الدرجات) إذا ما أن يفرغ المرء من صعود درج حتى يسلمه إلى درج آخر.

وهكذا النزول فقد تركت الدليلة الحافلة ونزلت بنا مع درج حجري أملس الصفحات مما يدل على أنه قديم البناء.

أما المارة وبخاصة من الأطفال فإنه كان يخيل إليَّ أنهم أطفال المسلمين الذين لم يتغير فيهم شيء فهم بيض ولكن بياض الشاميين والعرب الإفريقيين الشماليين وأحياناً يكون ما فيهم أقل من ذلك والشقرة أو الصهبة فيهم غير موجودة.

وقد واصلت الدليلة الانحدار من أزقة ذات درجات متواصلة بين بيوت طينية أو مبنية بمادة تشبه الطين مطلية بالجص، وأحياناً يبدو بين الطين لبن الآجر (الفخار).

العصافير تزقزق في الأزقة:

هذه الأزقة التي ننحدر من درجها في هذا الحي ضيقة بحيث لا تدخلها السيارات لو كانت مستوية السطح ولا تدخلها الدواب لأنها درجات غير مستوية اللهم إلاّ ما كان من أمر البغال إن وجدت واستعملت لهذا الغرض.

ولذلك يكاد يعتبر أهل الحي زقاقهم جزءاً من بيوتهم ومن لطيف ما في هذا الأمر أن رأينا كثيراً من البيوت قد علق أهلها أقفاص العصافير المزقزقة والطيور المغردة في الزقاق خارج البيوت فكنت تمر بها وكأنك في فناء البيت وبعضها يُغرِّد.

مما أضفى على السير كله في هذا الحي مسحة من الشاعرية، ونفحة من البهجة لا توجد في المحلات التجارية أو الأبنية العالية الحديثة.

أغلى ما عندهم إسلامي:

يمكن القول بشيء من التجوز: إن أغلى ما عندهم من الآثار أو من الأماكن ذات الطابع الأثرى القديم هو ما خلفه لهم العرب المسلمون، فهم في هذا الأمر كالهنود الذين يكرهون المسلمين مثلهم ولكنهم لا يجدون ما يعرضونه على السياح إلا الآثار الإسلامية التي خلفها الملوك المسلمون ابتداء بمسجد قوة الإسلام (قطب منار) وانتهاء بتاج محل والقلعة الحمراء في دلهي.

إلا أن تعصب الهنود أقل من تعصب هؤلاء البرتغاليين بكثير الذين دمروا في زمان الهيج والتعصب أكثر الآثار الإسلامية أو حولوها إلى ما يتفق مع أذواقهم وتقاليدهم فمسخوها مسخاً أو نسخوها نسخاً.

ولكن هذا الحي من مدينة لشبونة الذي كان حيّاً عربياً إسلامياً في القديم فأخرجوا منه العرب ولكنهم لم يستطيعوا أن يخرجوا منه طابعهم وآثارهم هو أغنى بقعة تاريخية قديمة في عاصمتهم التي تحفل بالأشياء المهمة التي لا تعتبر قديمة لأنها من أيام مجدهم التي تلت أيام تكوين مملكتهم البرتغالية البحرية الاستعمارية.

وقفت الدليلة في إحدى الفسحات بين الأزقة ذات الدرج المتواصل وقالت وهي تشير إلى الرفقاء كلهم غير ملقية بالاً إلينا نحن العرب مع أنها تعرفنا: انظروا إلى الطابع العربي الظاهر في هذه البيوت: إن النوافذ ضيقة والشرفات العربية موجودة على أعالي بعض البيوت.

وكان كلامها صحيحاً لا لكونها برتغالية مختصة بالتعريف بمثل هذه الأشياء فقط ولكن لكوني اقتنعت من صحة كلامها إذ الشرفات هي شرفاتنا العربية القديمة، وأما النوافذ فهي نوافذ البيوت في الأحياء القديمة من المدن الإسلامية العريقة في شرقي إفريقية وبلاد الشام.

يبيعون على أرض الشارع:

وشيء آخر ذكرني بقرب الشبه بين أزقة هذا الحي وبين الأحياء القديمة تلك ذلك هو أن بعض الأهالي قد فرشوا بضائعهم على أرض الشارع الضيق الذي لا تدخله السيارات فأصبح المرء لا يجد لرجله موطأ إلا ما لا يكاد يكفيه، والأغرب من ذلك أن الباعة ينادون على بضائعهم بأصوات مرتفعة إلا أن وجه المفارقة في هذا الأمر أن بين الباعة هنا بعض الفتيات اللاتي ينادين على بضائعهن بأصوات مرتفعة خلاف ما عليه الأمر في بلادنا الإسلامية، حيث تقتصر المناداة على السلع على الفتيان وأحياناً الرجال.

وفي المنحدر بجانب هذا السوق الصغير أشارت الدليلة إلى مبنى حجري وقالت: هذا بناء عربي قديم.

وهكذا لا يكاد ينطفئ حديثها أو إشاراتها عن العرب وآثارهم في هذا الحي، وإن كان حديثها كله مقتصراً على مجرد الإخبار دون الأخذ بعين الاعتبار أن هذا يعد من الفخار أو في معنى الفخار.

غير أن ذلك نفسه سواء أفصحت به أو أحجمت هو في حد ذاته ادكار للإجلال والإكبار.

ثم واصلت الدليلة الانحدار ونحن نتبعها كما يتبع الأطفال الصغار أهلهم الكبار.

فقد ألهانا ما نحن فيه عن التفكير في غير ذلك، وقد أتعب النزول مع الدرج بعض الرفاق حتى وصلنا إلى (طاق) أي: قوس معقود تحت بناء يصل بين بيتين متقابلين في الزقاق وهو أيضا مما ذكرني وربما ذكر بعض

الرفاق بما هو موجود في الأحياء القديمة من المدن الإسلامية العريقة.

وما زلنا في البيوت المبنية من الطين المطلي بالجص أو بشيء أبيض يشبه الجص وأغلبها من طابقين أو ثلاثة وبينها بعض البيوت المبنية بالحجارة المنحوتة ولكنها ليست كثيرة.

عودة من التاريخ:

وما زلنا في درج ينحدر إلى أن وصلنا ميداناً أرضه في مستوى أرض شاطئ البحر القريب فوجدنا الحافلة في انتظارنا ورأينا أرتال السيارات مزمجرة والأبنية الحديثة مكومة فشعرنا بأننا قد عدنا من أعماق التاريخ العربي المدفون في هذه البلاد إلى هذا العصر البرتغالي الحاضر.

وسارت الحافلة وأنا تنتابني هذه الخواطر غير أنني رأيت شيئاً بل أشياء أخذت تشدني شدّاً ألا وهي أبنية على الطراز العربي الأندلسي الذي قد دخله بعض التغيير ولكن ظواهرها كلها مكسوة بالفسيفساء الأندلسية العريقة، وأغلبها باللون الأخضر يليه في الكثرة اللون الأزرق، وذلك في لون بهيج لا تظهر بهجته وجماله إلاّ إذا قورن بالبيوت العصرية ذات الطلاء الذي لا روح فيه ولا طابع له.

الشاهد على المقبرة:

عندما سارت الحافلة قليلا أوقفتها الدليلة وقالت وهي تشير إلى منارة عربية أندلسية أصيلة لم يلحقها شيء من التحريف أو التغيير وربما صح القول أن نسميها صومعة كما يسميها الآن إخواننا المغاربة فهي منارة مسجد مربعة الشكل عالية مشرفة، واقعة بين بيوت في جزء

من المدينة ملاصق للحي القديم ولا شك في أنه من القديم الذي دفن تحت أشياء لهم حسبوها جديدة، وبقيت منارة هذا المسجد دون مسجد كالشاهد في المقبرة يدل على أنه كان هناك شخص مدفون وإن كانت الأرض قد أبلت عظامه أو حتى قد نقل الزمان ترابه.

والغريب في الأمر أن هذه المنارة قد سلمت من عوادي الزمن حتى شرفاتها العربية الإسلامية الواقعة في أعلاها والتي هي مثلها من حجارة منحوتة نحتا لم يسقط منها شيء، حتى ولا رأس شرفة من الشرفات، ولم تقل الدليلة: إنها منارة مسجد ولا اعترفت بذلك وإنما قالت: إنه أثر عربي أو مبنى عربي، لكن من الواضح أنه كان صومعة مسجد.

ثم عاودنا المسير مع شارع غير بعيد من البحر، فلفتت الدليلة أنظارنا إلى سوق قالت: إنه قديم.

وإنه يعود إلى القرن التاسع عشر وهو مسقوف ذو طراز روماني على مدخله قبته يعلوها صليب، وليس فيه لنا أو لأثرنا في البناء من نصيب.

ومررنا أيضا ببيوت من الطين المطلي بالجص فيما يظهر من أمره إلا أنها على شارع واسع ربما كان موسعا أو ربما كانت هي التي تلي شاطئ البحر الذي فيه الميناء.

الجسر الرائع:

فمرقنا من تحت جسر عالٍ جداً رائع البناء ما لبث السائق أن استدار حتى جعلنا نركبه ابتداء من جزء من المدينة البرتغالية القديمة، فوجدناه على ارتفاعه وصعوبة بنائه، قد جعلوه في اتجاهين أحدهما للذاهب والآخر للأيب.

ويمتد طويلاً في منظر رائع من هذا الجزء من المدينة فيعلو على البيوت حتى يمر فوق خليج البحر أو الخور كما كان أسلافنا العرب يسمونه، ويصل إلى الجانب الآخر من اليابسة.

وعندما كنت أسير فوقه ذكرني علوه بعلو جسر على خليج هدسون في مدينة سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ كلا الجسرين مرفوع بحيث تمر السفن الكبيرة تحته دون أن تصل إليه.

كما ذكرني منظر هذا الخور نفسه بمنظر مضيق البوسفور الذي يفصل بين قارتي آسيا وأوروبا كما يفصل بين الجزأين الآسيوي والأوروبي من مدينة اسطنبول نفسها غير أن هذا الخور البرتغالي لا يداني الخور التركي الإسلامي في جمال المنظر وروعة التنسيق، وهو أيضاً أقل منه اتساعاً وإن لم يكن الفرق بينهما في الاتساع كبيراً جداً.

وقبل أن يعلو الجسر على البحر وكان يمر فوق البيوت قالت الدليلة انظروا إلى أيمانكم تجدوا جامعة كذا القديمة.

وقد نظرت إلى البيوت التي حولها فإذا بها بيوت أوروبية معتادة ذات طابقين وثلاثة وسقوف مسنمة من الآجر الأحمر أو ما تسميه عامة الكتاب عندنا بالقرميد وبينها شوارع غير واسعة.

والغالب على طلاء هذه البيوت إن لم يكن العام في طلائها هو البياض فهي ذات لون أبيض.

ولا يكون هذا إلا مقصوداً مأموراً به من جهة تملك الأمر وتقوى على تنفيذه، ولا شك في أن الطلاء الأبيض الذي يعلوه سقف أحمر قاني الحمرة هو جميل المنظر، أو على الأقل هذا هو ما أحسست به.

والحقيقة إن هذا الجسر هو من أعجب الجسور التي رأيتها من حيث ارتفاعه وطوله وإن لم يكن بالوحيد أو الأعجب من نوعه في العالم.

ويدل على المقدرة الهندسية، وعلى الغنى وروح السخاء على المصلحة العامة وإن لم يمنع ذلك من كونهم يأخذون رسوما على السيارات التي تستعمله كما يفعل الأمريكيون.

عندما تجاوزنا البحر وانقضى هذا الجسر كان المنظر ريفيا جبليا خاليا من المباني ورأينا على أعلى قمة فيه تمثالاً شاهقاً لعيسى عليه السلام بزعمهم وقال أحد السياح: إنه لأحد القديسين عندهم وهو واقف قد مد يديه مداً شديداً، فكان أعلاه يشبه على البعد علامة الصليب مما يدل على تمسكهم بدينهم المسيحي وحرصهم على إبراز مظاهر هذا التمسك به.

وقد دار السائق بالحافلة فأعادها مرة ثانية مع هذا الجسر الذي هو في الحقيقة يستحق أن يعاد إليه، وأن يكرر المرور عليه فهو مفخرة هندسية لأهل هذه المدينة التي كانت عربية أندلسية.

وقد أقيم الجزء الواقع منه فوق البر على أعمدة أسمنتية ضخمة ورفع الجزء الواقع منه فوق البحر على دعائم حديدية جبارة ذات قواعد أسمنتية متسعة تنهض بها من تحت الماء حتى تتجاوز المقدار الذي قد تصل إليه الأمواج فوق سطحه.

على شاطئ البحر:

أخذت الحافلة تسير على شاطئ البحر مع شارع ليس بفاخر الجمال مع أنه كان بالإمكان أن يكون كذلك إذا لقي شيئاً من العناية.

وقد رأيت فيه ما رأيته في عواصم ومدن عالمية في الأمـــريكتين الجنوبية والشمالية وفي أستراليا ونيوزلندا وهو وجود طائفة من النـــاس يركضون على شاطئ البحر وقد لبسوا لباساً رياضياً أو ما يقرب منـــه يبتغون من ذلك الركض الرشاقة في الأجسام، والنحافـــة فـــي القـــوام، والمرونة في مفاصل العظام.

ثم وصل بنا الشارع الذي يصح أن يسمى بشارع (الكورنيش) وإن لم نكن ندري لماذا استعملنا هذه اللفظة الأجنبية ولدينا في لغتنا العربيـــة من الألفاظ ما يكفي.

أقول: وصل بنا الشارع إلى منطقة من شاطئ البحر منســـقة قـــد وضعوا في الجهة البحرية من الشارع أفاريز غير مرتفعة تضـــم ميـــاه البحر وكأنها في أحواض تصلها بالبحر مياه ضيقة، وقد زرعوا ما يلـــي البر بالحشائش وأشجار من الأشجار الخضر غير البهيجة، وليس فيهـــا زهور، فمن أقل ما رأيت في هذه المدينة الزهور وما أدري السبب فـــي ذلك، إلا أنهم قد استعاضوا عن التجميل بالأزهار بالأحجـــار فوضـــعوا تماثيل في هذه الحدائق غير المتسعة أكثرها يرمز إلى معانٍ فنية حســـب ثقافة الذين أقاموها والذين نحتوها.

وعند نصب على شاطئ البحر قالت الدليلة: إنه (الكارفيل) أوقفت السيارة ونزل الركاب عند حوانيت خشبية صغيرة تصنع فيهـــا القهـــوة والشاي وما شئت من أكل خفيف، أو منظر مصور طريف.

وتبادلنا مع زميلي الرائد عبدالله العريفي أخذ الصور في هذا الجو المشمس البديع وبين برك من برك مياه البحر التي أحاطوها بالأفـــاريز

الحجرية حتى غدت كالأحواض المائية.

ثم كانت وقفة أخرى على شاطئ البحر عند مبنى كالقلعة الحجرية قالت الدليلة: إنه من القرن الخامس عشر وهي إن لم تكن عربية البنـــاء فإنها عربية الانتماء لأنها على الشكل الهندسي الأندلسي لـــو لا أن فـــي بعض أجزائها صلباناً من صلبانهم.

واسمها (بليم) على اسم بيت لحم: البلدة التي ولد فيها السيد المسيح عليه السلام.

كنيسة مريم:

مررنا بحارة من المدينة قالت الدليلة: إنها بينت في القرن الثـــامن عشر ثم وصلنا إلى كنيسة مشرفة المنار عظيمة الارتفاع قد قدت كلهـــا من الحجارة البيضاء قدّاً حتى أفاريز الحيطـــان وزخـــارف الســـقوف، وعندما رأيتها قلت في نفسي: ربما كان بانوها أو معمروها قد استوحوا بناءها من أبنية الجوامع المغولية في الهند لأنها تشبهها من هذه الناحية، ولكنها تقصر عن الآثار الإسلامية في الإتساع والارتفاع وإتقان الصنعة، والاقتدار على تشكيل الحجارة أشكالاً فنية بأضعاف مضاعفة.

ويسمونها كنيسة ماري على حد ما لفظته الدليلة، إلا أنني وجـــدت اسمها في بعض الكتابات في داخلها (كنيسة أم الرب) يريدون بذلك مريم أم عيسى عليهما السلام وهي ماري أو ماريا كما في الإسبانية، ولـــم أر في هذه الكنيسة البالغة العظمة من البناء أي أثر يدل على انتمـــاء للفـــن العربي أو الإسلامي وإنما خيل إليَّ أنها من طراز مستقل مستوحى مـــن الطراز الروماني الأندلسي.

عرس برتغالي:

عندما دخلنا الكنيسة كانت الموسيقى تعزف ألحاناً تشبه ألحان المسير مرتفعة الطبقة، وقد عجبت من وجود هذا اللجن في الكنيسة فإذا بي أفاجأ بأن ذلك كان لمسير عروسين كانا يسيران من أقصى الكنيسة قاصدين المنصة الرئيسية أمامها.

وكانت هذه فرصة لأرى هذا العرس البرتغالي في الكنيسة، كانت العروس معها العريس في مقدمة السائرين عليها ثوب الزفاف أبيض طويلاً تمسك بذيله ترفعه عن الأرض سبع بنيات صغيرات عليهن جميعاً مثلها لباس أبيض ناصع البياض، وخلف الجميع طائفة من الأقارب والأصدقاء عددهم في حدود الخمسين والنساء فيهم أكثر من الرجال.

ولما وصلوا المنصة الرئيسية وقف العروسان منفردين أمام الكاهن فسكتت الموسيقى وقدم لهما شيئاً لم أتبينه، ثم اتجه إلى مكبر للصوت عالي الطبقة فأخذ يتكلم فيه والعروسان واقفان والمرافقون واقفون أيضاً وهما في قلب نصف دائرة من الحضور.

ولما كنت لا أفهم ذلك تركته وانصرفت إذ توقعت أن يطيل،وكأنما كان يخاطب الجميع بكلامه ذلك وليس يخاطب العروسين لأنه متجه بنظره إلى الجمهور.

وكان الكاهن في ملابس كنسية بيضاء عاري الرأس، وكان أهم ما يلفت النظر والجميع وقوف وهو يتكلم هو ذيل ثوب العروس الأبيض الطويل، وقد تركته البنات ينساب على الأرض لا يمسك به أحد.

وتذكرت أن هذا اليوم هو يوم السبت يوم عطلة رسمية مثل يوم الأحد وأما المتعبدون في الكنيسة الذين جلسوا على الكراسي المعدة

للعبادة فإن عددهم كان قليلاً لا يتجاوز أصابع اليد، وكانوا متفرقين بعيدين عن العروسين ومرافقيهما.

وأما الكنيسة فإن بناءها عجب من العجب إذ هي عالية السقوف وسقوفها بطون قباب حجرية متعددة من الحجارة تتخللها أفاريز وأشكال منحوتة في الحجارة، وأما أعمدتها فإنها كلها من حجارة بيضاء قد اتسخت أسافلها من المس على طول الزمان.

وفي مؤخرة الكنيسة قسم منخفض السقف كله من الحجارة البيضاء أيضاً ولكنها غير ناصعة البياض وفي ركن منه تمثال لأحد القديسين عندهم قد اتخذ وضع المستلقي على ظهره فوق سرير عالٍ وبعضهم يأتي إليه فيركع أمامه.

ثم تقدمتنا الدليلة إلى قسم خارجي في الكنيسة على هيئة صحن مكشوف فيه حديقة صغيرة تحيط بها أروقة حجرية من طابقين والفناء غير متساوي الأشكال فهو بهذا يخالف الطراز العربي الأندلسي إلى جانب مخالفته له في طريقة البناء والشكل الهندسي.

وتحت الأروقة الرئيسية عقود أخرى من حجارة دقيقة تعطي شكلاً تزيينياً، وأرض الفناء الخارجي مثل أرض سائر الكنيسة مفروشة بالحجارة البيضاء.

المتحف الوطني للعربات:

هكذا كانوا ذكروا اسمه في نشرة السياحة وإلاّ فإن اللافتة الموجودة فيه مثل سائر الإرشادات والكتابات هي باللغة البرتغالية فقط وليس شيء منها بالإنكليزية إلاّ أنها كلها كلمات موجودة في الإنكليزية على شكل أخر.

ليس المتحف واسعاً لذلك وجدنا أول المعروضات عند المدخل مباشرة وهي سروج وأدوات من أدوات ركوب الخيل.

ثم عربات من التي كانت تجرها الخيول وأغلبها إن لم تكن كلها من عهد العز البرتغالي الذي بدأ في القرن الخامس عشر الميلادي تقريباً.

وأفخرها من القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وقسم منها قد طلي بطلاء ذهبي لأنه مخصص لركوب الملوك والملكات ولا يقوى سائر الناس على اقتنائه إضافة إلى ثقل العربات وضخامتها بحيث لا يستطيع جرها إلا مجموعة من الخيول قد لا تقوى على اقتنائها والإنفاق عليها إلا قلة قليلة من الناس في تلك العصور، وفي قاعة كبيرة قد رسموا على سقفها وما حوله رسوماً وتماثيل لا صلة لها بالعربات ولا بالخيول، وإنما هي لوحات من لوحات الفن الجميل قد حشدوا في هذه القاعة أعداداً من العربات الجميلة الحديثة التي هي كلها مما كانت تجره الدواب.

بعضها كان مصنوعاً في إسبانيا وبعضها مصنوع في البرتغال وواحدة في ايطاليا.

ومن أطرف ما فيها منظراً عربة قد وضعوا في مقدمتها تماثيل لما يوجد في أركان الإمبراطورية البرتغالية في ذلك الوقت في عدة قارات من ذلك صور عبيد من إفريقية وجمال- جمع جمل- من آسيا .. الخ. مما اعتبروه رمزاً على سعة الممتلكات البرتغالية آنذاك، ثم قاعة أخرى فيها عربات أقل أهمية من الأولى.

وهذا هو كل ما في المتحف والحقيقة أنه ليس غنياً بالمعروضات القديمة فأكثر ما فيه كما قلت هو من عصر الازدهار البرتغالي فما بعد.

العودة إلى المسير:

سارت الحافلة فمرت بمنطقة من المدينة قالت الدليلة: إن اسمها (ربشيولو) وأشارت إلى مدرسة مبنية بلبن الآجر الأحمر من طابق واحد ذي سقف مسنم ولا يدل مظهرها على الفخامة ثم خرجنا إلى منطقة ريفية أو لنقل إنها منطقة غفل قد حمتها الحكومة من القطع أو أن يتعرض لها أحد، وأكثر الأشجار التي فيها غير عالية مما يدل على أن بعضها حديث الغراس، ومن ذلك أشجار قصيرة من أشجار الصنوبر.

وسرنا مع طريق ممتد من هذه المنطقة التي قد تسمى منطقة الغابة إلى المدينة قالت الدليلة: إنه (الهاي وي) أي: الطريق السريع العريض ولكنه ضيق بالنسبة إلى زميله في التسمية (الهاي وي) الأمريكي فهذا البرتغالي ذو مسارين يتسع كل واحد منهما لسيارتين فقط وبينهما حاجز لا يزيد على نصف متر.

ويفصل بين هذه المنطقة ذات الأشجار الطبيعية وبين المدينة وادٍ عليه جسر حديث تمر فوقه السيارات، وجسر قديم مقام على أعمدة تركبها أقواس ربما كان لنقل الماء أو لمجرد المرور وهو يشبه ممراً رومانياً لنقل الماء قرب مدينة تونس العاصمة كما يشبه الجسر الممتد من القلعة إلى الفسطاط في مصر.

وعدنا بعد هذا الوادي مباشرة إلى القسم التجاري في المدينة حيث أخذت الحافلة توزع الركاب على فنادقهم في الساعة الواحدة ظهراً.

وكانت جولة ممتعة كان أهم ما جعلها كذلك منظر بقايا من آثار أسلافنا العرب المسلمين في هذه المدينة.

وكانت أجرتها سبعمائة وخمسين سكوداً ويساوي ذلك نحو اثني عشر دولاراً أمريكياً.

يوم الأحد ١٣ ديسمبر ١٩٨١م:

مغادرة البرتغال:

كان حساب الفندق فندق (ريزدنت هاريزون) حساباً يسيراً إذ كانت أجرته قليلة ومعاملة أهله كريمة نبيلة.

وكان الخروج إلى المطار مع سائق سيارة أجرة كانت سيارته غالية من طراز مرسيدس ومع ذلك لم تتجاوز أجرته مائة وخمسين أسكودا أي أقل من ثلاثة دولارات أمريكية، وكنا نودع هذا البلد وأهله ولم نر فيه من أساء إلينا أو عاملنا معاملة لا نرضاها.

والواقع أنه يمكن تلخيص القول عن البرتغال بأنها بلاد رخيصة كما يمكن تلخيص القول في أهله بأنهم لا يؤذون الغريب ولا يكرهونه، بل ربما صح القول بأنهم لا يبالون به، ولا حتى ينظرون إليه.

وقد يكون هذا ناشئاً من كوننا نحن لا يكاد يعرفنا بينهم أحد لأن ألواننا شبيهة بألوانهم، وأشكالنا لا تبعد عن أشكالهم، وقد لبسنا اللباس العالمي المسمى بالزي الإفرنجي الذي هو لباسهم فأصبح من يرانا لا يظننا من الغرباء.

وكان من المقرر أن نسافر في الواحدة والنصف ظهراً إلى مدينة كاراكاس عاصمة فنزويلا مع شركة الطيران الفنزويلية المسماة، اختصاراً (فياسا) وللحديث عن تلك الرحلة مقال غير هذا المقال في مقام غير هذا المقام هو كتاب (رحلات في أمريكيا الجنوبية) والله المستعان.

الفصل الثاني: بلجيكا

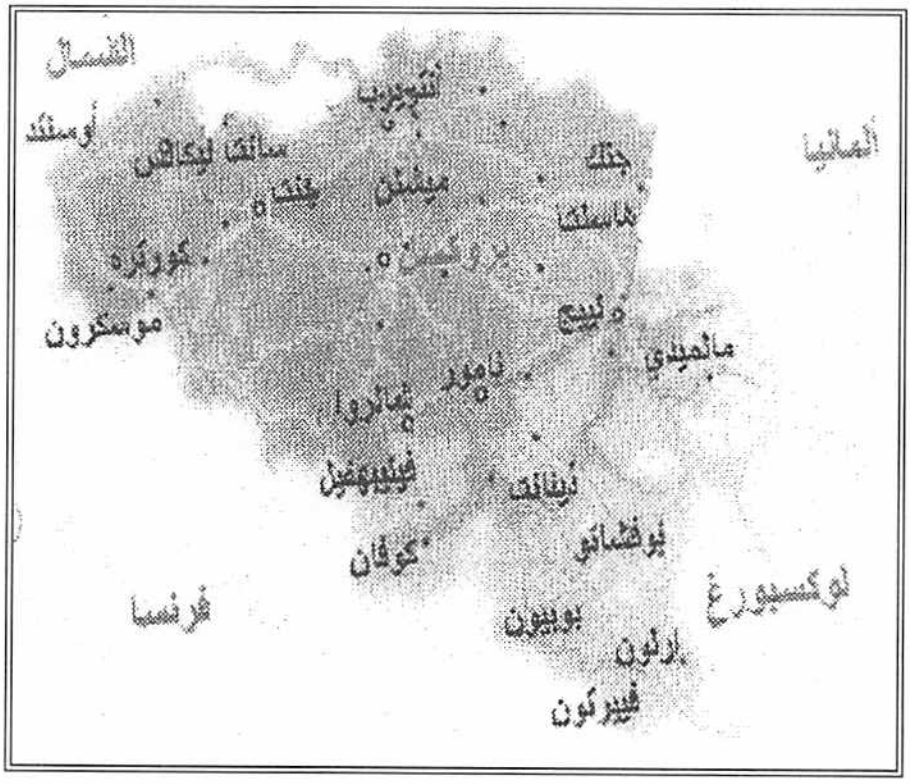

خريطة بلجيكا

بلجيكا Belgium:

مملكة تقع في الجزء الشمالي الغربي من أوروبا، يحدّها بحر الشمال (شمالاً بغرب)، وهولندا (شمالاً وشمالاً بغرب)، وألمانيا (شرقاً)، ولو كسمبورغ (جنوباً بشرق)، وفرنسا (غرباً وجنوباً بغرب).

٥٥./. من سكانها فلمنكيون، ونحو ٣٥./. ولونيون، وسائرهم من أصول مختلفة وهي ثنائية اللغة لغتاها الرسميتان: الفلمنكية والفرنسية.

ديانتها السائدة: الكاثوليكية (٩٣./.).

ثروتها الحيوانية: الماشية واللحوم.

محاصيلها الزراعية: القمح، والشعير، والبطاطس، والشمندر السكري.

ثروتها المعدنية: الحديد، والفحم الحجري، والمنغنيز، والزنك، والرصاص.

صناعتها: الحديد والصلب، والمنسوجات، والمواد الكيمائية، والسكر، والمحركات، والآنية الزجاجية.

صادراتها: المعادن، والمنسوجات، والحجارة الكريمة، والآنية الزجاجية، والعقاقير الطبية، والمواد الكيميائية.

احتلالها: احتلها الرومان (٥٨- ٥٠ ق.م)، والفرانكيون أو الفرنجة (في القرنين الثالث والرابع للميلاد)، غزاها الفايكنغ في القرن التاسع للميلاد، اتحدت مع هولندا فنشأت عن اتحادهما "مملكة النذرلند" (١٨١٤- ١٨٣٠).

ثارت عام ١٩٣٠ واعُترف بها مملكة مستقلة عام ١٨٣١، واجتاحها الألمان في الحرب العالمية الأولى، ثم في الحرب العالمية الثانية.

وحدتها النقدية: الفرنك البلجيكي.

مساحتها: ٣٠,٥١٤ كيلومتر مربعا.

سكانها: ١٠,٥٠٠,٠٠٠ نسمة.

عاصمتها: بروكسل.

اسمها: اسم (بلجيكا) القديم هو الاسم الحديث (بلاد البلجيك) والغريب في الأمر أنه معروف مسجل في كتبنا القديمة بهذا اللفظ قبل ما يقرب من ألف سنة، وأهله هم (البلجيك) أيضا.

قال ياقوت الرومي في معجم الأدباء في ترجمة ابن أبي حصينة الشاعر (ج١٠، ص١١١): ولما وصل أرمانوس ملك الروم إلى حلب سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومعه ملك الرُّوس. وملك البلغار والألمان (والبلجيك) والخزر والأرمن في ستمائة ألف من الفرنج، قاتلهم شبل الدولة نصر بن صالح صاحب حلب، فهزمهم، وتبعهم إلى (عزاز) وأسر جماعة من أولاد ملوكهم، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة، فقال ابن أبي حصينة في ذلك، وأنشدها شبل الدولة بظاهر قَنَّسْرين:

ديار الحيِّ مُقفرةٌ يباب ... كأنَّ رسوم دمنتها كتابُ

نأت عنها الرَّبابُ وبات يهمي ... عليها بعد ساكنها الرَّبابُ

تعاتبني أمامة في التصابي ... وكيف به، وقد فات الشبابُ

نضا مني الصبا، ونضوتُ منه ... كما ينضو من الكفِّ الخُضابُ

إلى نصر، وأيُّ فتى كَنَصْر ... إذا حَلَّتْ بمغناه الرِّكابُ

أمُنْتَهِكَ الفرنج غداة ظَلَّتْ ... حُطاما فيهم السمر الصِّلابُ

* * *

و(أرمانوس) كـــان أشـــدّ بأســـا ... وحـــلّ بـــه على يـــدك العـــذابُ
أتـــاك يجـــر بحـــرا مـــن حديـــد ... لـــه فـــي كـــل ناحـــيةٍ عُـــبابُ
إذا ســـــــارت كتائبـــه بأرض ... تزلزلـــــت الأباطـــح والهضـــابُ
فعاد وقـــد ســـلبتَ المـــلك عنـــه ... كما سُلِبَتْ عـــن الميـــت الثيـــابُ
فمـــا أدنـــاه مـــن خـــيرٍ مجـــيءٌ ... ولا أقصـــاه عـــن شَـــرّ ذهـــابُ
فـــلا تســـمع لطنـــطنة الأعـــادي ... فإنهـــُمُ إذا طـــــنوا ذبـــــابُ

سبب الرحلة:

تدير رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة المركز الإسلامي الثقافي في بروكسل من بين المراكز الإسلامية التي تديرها في أنحاء عديدة من العالم.

وقد حدثت في المركز أمور تستدعي إطلاع الأمانة العامة للرابطة على تفاصيلها في مكانها من مقر المركز ومعالجتها.

لذلك رأينا أن أسافر أنا- الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي- إلى هناك، من أجل الإطلاع المباشر على المشكلات في المركز ووضع حلول لها.

ورأيت- كعادتي- أن أزور بعض المدن في بلجيكا من التي فيها جمعيات إسلامية، أو مساجد تحتاج إلى عناية.

وبعد ذلك زرت (هولندا) مع الأخ الكريم عبدالله الأهدل مدير المركز الإسلامي في بروكسل.

ورأيت- طبقاً لعادة لي قديمة أيضاً- أن أدون ما ألاقيه أو أسمع به متصلاً بما ألاقيه وأراه، وعلى الأخص ما يتعلق الشئون الإسلامية.

يوم الأحد ٢١ صفر ١٤٠٩هـ - ٢ أكتوبر ١٩٨٨م:

من جدة إلى لندن:

تقوم من جدة إلى بروكسل مباشرة رحلتان للخطوط البلجيكية المسماة (سابينا) ولكن موعدها لا يناسبني، وبخاصة أنني مرتبط بموعد للسفر إلى البرازيل بعد بلجيكا وهولندا، حيث يجب عليّ أن أكون هناك يوم الخميس القادم من أجل الاشتراك في افتتاح الجامع الجديد في مدينة (فوز دواقواسو) الواقعة في ولاية مثلث الحدود بين البرازيل والباراغواي والأرجنتين.

لذلك جعلت خط سيري من جدة إلى لندن ثم من لندن إلى بروكسل وأعطاني مكتب الخطوط السعودية في مكة المكرمة أرقام حجز مؤكد للرحلتين، فهاتف مكتبي مدير المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل الأستاذ عبدالله الأهدل بأن يكون في استقبالي في مطار بروكسل عند وصول الرحلة الثانية التي ذكروا أنها ستكون مع خطوط شركة بان أمريكان.

وكنت وحدي في هذه الرحلة التي ستنتهي بأقصى البرازيل ثم العودة إلى المملكة بإذن الله، وقد غادرت مطار جدة الدولي مع طائرة الخطوط السعودية من طراز بوينغ ٧٤٧ الضخم المنجد تنجيداً فاخراً متخذاً اللون الذهبي في الدرجة الأولى لوناً خاصاً به، مميزاً له.

وكانت المغادرة في الساعة الثانية الدقيقة العاشرة من بعد منتصف الليل قبل فجر هذا اليوم الأحد.

وكان المقرر أن تقوم الطائرة في الثانية فلم تتأخر إلا عشر دقائق بعضها في انتظار خلو مدرج الإقلاع من طائرة أخرى.

مع أن شركات الطيران العالمية صارت لا تعتبر التأخير الـذي لا يزيد على ربع الساعة تأخيراً يستحق الاعتذار للركاب عنه.

وكانت الدرجة الأولى التي ركبت فيها مليئة كلها بالركاب وأكثرهم من السعوديين.

لكن الخدمة فيها سيئة على خلاف ما كانت السعودية قـد عودتنـا عليه من حسن الخدمة في الرحلات الدولية خاصة.

وقد اختاروا لها مضيفات في منتصف العمر، وهذا أمر صـارت شركات الطيران العالمية تأخذ به بأن تخصص لخدمة ركـاب الدرجـة الأولى الذين يكونون- في الغالب- من الكبار في السن أو ممن تعـدوا مرحلة الشباب مضيفات في منتصف العمر، والمرأة الكبيرة السن أقـدر على خدمة الكبار في السن من الشباب.

ولكن الخدمة كانت خالية من المجاملة، فلم يقدموا هدايا للركاب كما كانت عادتهم وكما هي عادة شركات الطيران على الخطـوط الطويلـة، حتى فرشاة الأسنان، ولبّاسة الأحذية وهي اللسان الذي يسـاعد الرّجـل على الدخول في الحذاء مع أن شركات من شركات الطيـران الأخـرى كالبرازيلية صارت تقدم هذه الهدايا حتى لركاب الدرجة السياحية ومعها مشط ومعجون للأسنان.

ومن الأشياء التي رأيتها لأول مرة في خدمة الدرجة الأولى علـى كثرة ما ركبت فيها في أنحاء العالم أن مضيفاً ارتدى ملابـس الطبـاخ ووضع فوق رأسه (طرطور) الطباخ وصار يقدم الطعام مع المضـيفات للركاب في هذا المنظر الغريب.

وقد أعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الرحلة إلى لندن ستستغرق خمس ساعات وأربعين دقيقة.

وكانت الضيافة في أو الأمر شطيرة من الخبز (ساندويتش) معها لحم بقري مدخن، وفي الساعة السادسة والثلث صباحاً بتوقيت المملكة أي قبل الوصول إلى لندن بنحو ساعة ونصف قدموا طعام الإفطار.

في مطار لندن:

لست ممن يحبون لندن، ولا أود الدخول إليها، لأنني زرتها أكثر من عشر مرات زيارات عمل وهي ليست عندي من المدن التي تزار للمتعة والإقامة فيها، فنهاك مدن أخرى في العالم أولى بذلك عندي منها.ولذلك فإن سروري بالغ لكوني سأنتقل من مطارها إلى (بروكسل) وبخاصة أن المضيف أعلن قبل الوصول إلى لندن أن درجة الحرارة فيها أربع درجات مئوية وكانت درجة الحرارة في مكة المكرمة ظهر اليوم الذي غادرتها في ليلته وهو يوم أمس السبت قد بلغت (٤٥) درجة مئوية، فكان الفارق بينهما (٤٠) درجة.

وعندما حطت الطائرة في مطار لندن أعلن مكبر الصوت فيها أن على المسافر فلان- يقصدني- أن يذهب إلى مكتب السعودية في منطقة تحويل الرحلات، وكانت السعودية قد اعتادت على مجاملة بعض الركاب الذين لهم منزلة خاصة عندها بالإبراق إلى محطة الوصول بالعناية بهم، غير أنني لم أجد في مكتب السعودية في منطقة تحويل الرحلات الدولية في المطار أحداً، وانتظرت فترة حتى يئست.

فذهبت إلى مكتب (بان أمريكان) وكان مقابلاً لمكتب السعودية

وعرضت على موظف فيه تذكرتي طالباً أن يعتني بحقيبتي الموجودة في المطار الآن، وكنت شحنتها من جدة إلى بروكسل وأن يقطع لي تذكرتي إلى بروكسل كالمعتاد.

فنظر فيها قليلاً، وقال: إننا لا يمكننا أن نفعل ذلك، ولا شك أن مكتب السعودية الذي حجز لك على طائرتنا لم يكن يدرك أنه ليس من حقنا- قانونياً- أن ننقل الركاب ما بين لندن وبروكسل.

ثم نظر في جهاز الركاب الآلي وقال: هناك رحلة للخطوط البريطانية تقوم بعد موعد طائرتنا بساعة ونصف.

وذهب بي إلى مكتب الخطوط البريطانية فحجزت لي امرأة فيه على هذه الرحلة التي ذكرت أنها تقوم في العاشرة والنصف حسب توقيت لندن، وذكرت أنه ليس هناك رحلة أخرى قبلها. وتبين لي بعد ذلك أنها ليست صادقة إلا إذا كانت تقصد بذلك رحلات البريطانية خاصة أو أن الرحلة التي قبلها وهي للخطوط البلجيكية ليس فيها مكان شاغر.

فقد لاحظت أن هذه الرحلة قامت قبل طائرتنا إلى بروكسل بربع ساعة.

وتبين لي بعد ذلك أن الركاب بين البلدين كثير، وأن رحلتنا هذه على البريطانية هي رحلة إضافية ليست مسجلة في قائمة الرحلات المعتادة.

وذكرت أنها تقوم من قاعة أخرى في المطار هي قاعة الترحيل رقم (١) وأن هناك حافلة تنقل الركاب بين القاعات بالمجان.

فواصلت التمشي في مطار لندن الذي تكرر عجبي من طوله وصعوبة الانتقال فيه لتباعد أجزائه لأنه يتألف من ممرات مستطيلة يدخل منها إلى المكاتب وإلى بوابات المغادرة.

والمراد به هنا مطار هيثرو الذي نزلنا فيه، وليس هو مثل مطار شارل ديغول في باريس الذي بني على شكل مستدير يسهل الانتقال بين أجزائه.

نزلت إلى حيث وصفت لي المرأة موقف الحافلة، فلم أجدها عند الباب وإنما كتبوا عليه أنه ينفتح آلياً عندما تقف عنده الحافلة، وجاءت الحافلة بعد دقيقتين فانفتح الباب لنا عندما وقفت الحافلة أمامه.

ولم يركب فيها معي إلا رجل وامرأة، وهما ذاهبان إلى قاعة أخرى لذلك جعلت استدل باللافتات حتى وصلنا إلى القاعة المطلوبة.

وكان الجو في هذا الصباح مشرقاً خلاف المعهود عن لندن حتى إن الشمس كانت قد أشرقت قبيل ركوب الحافلة، فرأيتها منها في سماء صافية تماماً تشبه سماء بلادنا الصافية في الصيف.

وكانت المشكلة في هذه القاعة أنهم لا يكتبون رقم البوابة التي تقوم منها، إلا قبل الإقلاع بقليل، فلم أدر أين أذهب، وسألت موظفة أرضية في المطار عن ذلك فقالت: إنك لا يمكن أن تعرف برقم البوابة إلا قبل الإقلاع بساعة، وسمعتها قالت ذلك لأناس مثلي لم يعرفوا أرقام البوابات التي سيرحلون منها، وإن كانت الرحلات ومواعيدها تكتب أرقامها على التلفاز في المطار.

فقضيت وقتاً في مطار لندن، بل في جزء من أحد مطاراتها أشاهد أفواج المسافرين القادمين والمغادرين وهم من جنسيات من العالم مختلفة الألوان والألسنة والمظاهر، ولكن الجنس الأصفر الذي لا نفرق نحن بين يابانيه وصينيه وكوريه هو هنا كثير جداً إضافة إلى الأجناس الأوروبية.

وكانت المشكلة التي أفكر فيها أن الأخ الأستاذ عبدالله الأهدل إمام المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل سينتظر وصولي إلى مطار بروكسل مع طائرة (بان أمريكان) ثم لا يدري عن موعد رحلتي القادمة بعد ذلك.

من لندن إلى بروكسل:

قمنا مع طائرة الخطوط البريطانية (بريتش أيرويز) في الساعة العاشرة والنصف وخمس دقائق ضحى، متأخرة ربع ساعة عن الموعد المحدد في الأصل ولم يكونوا أعلنوا في لوحة التلفاز عن بوابة المغادرة إلا قبل قيام الطائرة بنصف ساعة فصار الركاب يسرعون إلى تلك البوابة مع الممر الطويل في المطار خشية من فوات الطائرة.

وكانت الطائرة مليئة بالركاب ليس فيها مقعد خالٍ واحد، وحتى عجبت من وجود مقعد فيها لي دون حجز مسبق، وكلهم من الأوروبيين أو ذوي المظهر الأوروبي إلا امرأة واحدة من أصل إفريقي.

وليس في الطائرة درجة أولى رغم كون تذكرتي على الدرجة الأولى وكوني قلت ذلك لموظفة الشركة البريطانية في مطار لندن، ولكن مكتوب عليها أنها من درجة (النادي الأوروبي) أو (يورب كلوب) وهي متميزة عندهم عن الدرجة السياحية المعتادة.

والطائرة من طراز بوينغ ٧٣٧ فيها أربع من المضيفات ومضيف واحد، وذلك لكون الرحلة قصيرة والركاب كثير، فتحتاج خدمتهم في وقت قصير إلى عدد أكبر من المضيفين.

وعند قيامها حتى وصولها إلى بروكسل كان الجو شامساً صافياً

جداً كأنما نحن في بلادنا، مما جعلني أستمتع برؤية أرض هذا الجزء من القارة الأوروبية تحتي واضحة، وقد احضروا بسرعة إفطاراً ممتازاً خالياً من لحم الخنزير، وإنما فيه لحم دجاج لا أشتهي أكله.

فسألت المضيفة من باب الاحتياط عما إذا كان يوجد في هذا الطعام خنزير فأجابت أننا لم نحمل في هذه الطائرة أي شيء من لحم الخنزير.

كانت الخدمة جيدة، والركاب مهذبون، لأنهم كلهم من الأوروبيين المتعلمين، وكلهم نظيف الثوب، نظيف ظاهر البدن، ولكن الإشراق في وجوههم قليل، وربما كان ذلك بسبب الإكثار من شرب الدخان والخمر، ومن قلة الطمأنينة الناشئة عن قلة الإيمان في القلوب.

في مطار بروكسل:

أخذت الطائرة بالتدني في جو صاح فتمتعت برؤية الأرض الأوروبية عن قرب كما كنت قد فعلت ذلك عن بعد طيلة الطيران، حيث كان أهم مظهر من مظاهر هذه الأرض التي لا يحتاج الأمر إلى نعتها بالخضراء الكثيفة الخضرة هو وجود الطرق الكثيرة فيها من مستقيمة وغير مستقيمة، وقد مرت الطائرة فوق عدة مدن وقرى لم يتكلم الطيار أو غيره من الطائرة بشأنها فيعرف الركاب بها، وإنما تكلم الطيار عن الطقس فذكر أنه في بروكسل مشمس وإن درجات الحرارة فيه هي ثلاث عشرة درجة مئوية.

وكانت إعلانات الطائرة بثلاث لغات هي الإنكليزية فالفرنسية، والفلمنكية التي يتكلم بها جزء كبير من البلجيكيين، وهي شبيهة بالهولندية، ويتميز وقعها في آذان من يسمعها دون فهم بالقوة وعدم

الجمال، وإن شئت أن تقول- مثلما قلته أنا- لغة قبيحة، وبخاصة إذا قورنت برصيفتها في بلجيكا وهي اللغة الفرنسية الجميلة.

وعندما كانت الطائرة تحوم فوق ريف بروكسل وهي تهم بالنزول قارنت في ذهني بين تخطيط الريف الفرنسي قرب باريس الذي يتميز بالروعة والجمال حتى إنه يبدو من الطائرة كأنما هو لوحة فنية وبين تخطيط هذا الريف البلجيكي فوجدت هذا ليست فيه أية ميزة فنية من هذه الناحية أو ناحية ظهوره بالمظهر الفني في عين من يراه من الجو.

إلا أن المنازل التي في هذا الريف جيدة المظهر ذات سقوف حمر مسنمة بأسنمة مشدودة عالية الأوساط.

وكانت الخصوبة في الأرض هي الغالبة حتى إن مدارج المطار بدت كأنما هي في حديقة نضرة، وذلك لوفرة الأعشاب الخضر فيها والتفافها حتى تحجب منظر الأرض تحتها.

هبطت الطائرة في الحادية عشرة والربع بعد طيران استمر (٤٠) دقيقة في مطار واسع طويل المدارج.

وعندما دخلت إلى مبنى المطار كان ظني بأنني لن أجد أحداً في استقبالي في المطار في محله، وكنت توقعت ذلك وكسلت عن البحث عن رقم الهاتف للأهدل في بروكسل، ومهاتفته برقم رحلتي.

وقد ضاع ركاب طائرتنا في زحام الجمهور داخل قاعات الترحيل في المطار فصرت أسير متتبعاً اللافتات الإرشادية حتى رأيت عدة لافتات سرتني غاية السرور لأنها تشير إلى وجود المسجد في مطار بروكسل من أول ما يدخل المرء إلى المطار وهو يرى لافتة بعد أخرى

وهذا أمر حسن جداً حبذا لو اقتدت به الجماعات الإسلامية في البلـــدان الأوروبية وغيرها، فسعت عند حكوماتها لإيجاد مسجد في المطار وكتبت اللافتات التي ترشد إليه.

وبعد سير طويل في دهاليز مستطيلة طويلة بعضها فيـــه ســـيور متحركة تساعد من يصعب عليه المشي، وصلنا إلى منطقة الجوازات.

ولم يكونوا وزعوا على ركاب الطائرة استمارات أو أية بطاقـــات أخرى من التي يملأها الراكب في العادة، فتخوفت من أن يعطوني إياها الآن لأملأها وأنا واقف، ولكن ضابط الجوازات ســـألني بعـــد أن قلـــب جوازي عما إذا كنت أحمل سمة دخول (فيزا) فأجبت بالإيجاب وأريتـــه إياها فأسرع يختم الجواز دون أن يطلب أية بطاقة.

وكانت موظفة شركة الخطوط الجوية في لندن قد سألتني عن سمة الدخول إلى بلجيكا قبل أن تقطع لي التذكرة.

ودخلت من عند ضابط الجوازات إلى منطقة تسلم الأمتعة، فرأيتهم عملوا كما عمل الأمريكيون في بعض مطاراتهم مثـــل مطـــار (لـــوس أنجلوس) في كاليفورنيا بأن سلسلوا عربات حمل الأمتعة التي تدفع باليد، أي ربطوها بسلاسل، بحيث لا يستطيع القادم أن يأخذ منها شيئاً إلا بعـــد أن يضع دولاراً أمريكياً في مكان مخصص في طرف هذه السلسلة فينفك عنها رباطها آلياً ويأخذها.

أما الأمر هنا في مطار بلجيكا فإنه مختلف لأنني رأيت فتى واقفاً عنـــد هذه العربات أخبرني أنه يجب عليّ أن أدفع ستين فرنكاً بلجيكياً أو دولاريـــن أمريكيين لكي أستطيع الحصول على واحدة من هذه العربات.

وقد دفعت دولارين، وأخذتها لأنني بحاجة إليها، ورأيت بعض المسافرين يحملون حقائبهم وأمتعتهم بأيديهم وهم يجاهدون في حملها تفادياً لدفع هذه الغرامة التي لا يدفعها المرء في كثير من المطارات، ومنها مطاراتنا السعودية، وإنما يحصل على العربة بالمجان.

وفي قسم المكوس وهي الجمارك رأيت ضابطاً يشير إلى بعض الناس بأن يضعوا أمتعتهم للتفتيش، ولبعضهم بالخروج، فأشار إليَّ بالخروج دون تفتيش، وكنت أعددت جوازي (الدبلوماسي) لأريه إياه حذراً من التفتيش الذي سيضيع عليّ وقتاً، ولكنني لم احتج إلى إطلاعه على الجواز.

وبحثت عندما خرجت إلى القاعة الداخلية عمن يستقبلني فلم أر أحداً، فصرفت مائة دولار أمريكي بثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعين فرنكاً، وهذا يعني أن كل عشرة فرنكات بلجيكية تساوي ريالاً سعودياً واحداً، وجلست أبحث عن رقم هاتف الأخ الأهدل لأتصل به من المطار فاقترب مني رجل تركي وسألني بلغته عما إذا كنت أتكلم التركية، فأجبته بالنفي، وقلت: عربي، ثم تكلمت معه بكلمات قليلة من التركية كنت أعرفها خلطتها بكلمات عربية عما إذا كان يمكنه أن ينقلني بسيارته إلى المركز الإسلامي، فقال: نعم، فسألته عن الأجرة، فقال: مسلمان، وكتب ألف فرنك وهذا يعني نحو ثلاثين دولاراً أمريكياً، فقلت له: انقصني عن هذا المبلغ فهو كثير فغضب، وإذا بالأخ الشيخ عبدالله الأهدل يأتي إليَّ مستعجلاً، ويسلم عليَّ ويريد الذهاب كما يقول للمراسم الملكية التي لها فرع في المطار يخبرهم بقدومي، وذكر أنهم ومعهم أعضاء من السفارة السعودية ومدير مكتب الخطوط السعودية، في بروكسل كانوا انتظروا وصولي مع

طائرة بأن أمريكان، ثم مع طائرة الخطوط البلجيكية، فقلقوا لذلك واتصلوا برابطة العالم الإسلامي يسألونها عما إذا كنت قد غادرت جدة بالفعل.

قال: ولم تظهر رحلة الخطوط البريطانية هذه التي جئت عليها في اللوحة لأنها ليست مقررة من قبل، ولا تظهر إلا عند وصولها لأنها (شارتر)، وكانت موظفة الخطوط البريطانية قد أخبرتني بان هذه الرحلة (شارتر) بمعنى إضافية ولكنني لم ألق بالاً لما يعنيه ذلك.

فشكرته والذين تجشموا معه عناء استقبالي، وقلت له: إنني أرجو أن يخبرهم بوصولي بخير وأن يبلغهم شكري، والذي احتاجه الآن هو الراحة لوقت قصير لأنني لم أنم البارحة.

في مدينة بروكسل:

دخلنا إلى المدينة فقصد الأخ الأهدل مبنى المركز الإسلامي لنراه من الخارج ويقع في موقع مهم جداً من مدينة بروكسل في جانب من حديقة مهمة، وبجوار أماكن حساسة جداً مثل مبنى البرلمان الأوروبي الذي قد يصح معه القول بأن مدينة بروكسل هي بمثابة عاصمة أوروبا كلها من هذه الناحية.

ومن ثم انطلقنا إلى الفندق الذي كانت السفارة السعودية قد حجزت لي غرفة فيه وهو (حياة ريجنسي بروكسل)، وقيمة الأجرة المخفضة فيه من أجل السفارة (٣٥٠٠) فرنك بلجيكي لليلة ويساوي ذلك (٩٦) دولاراً أمريكياً.

إلى المركز الثقافي الإسلامي:

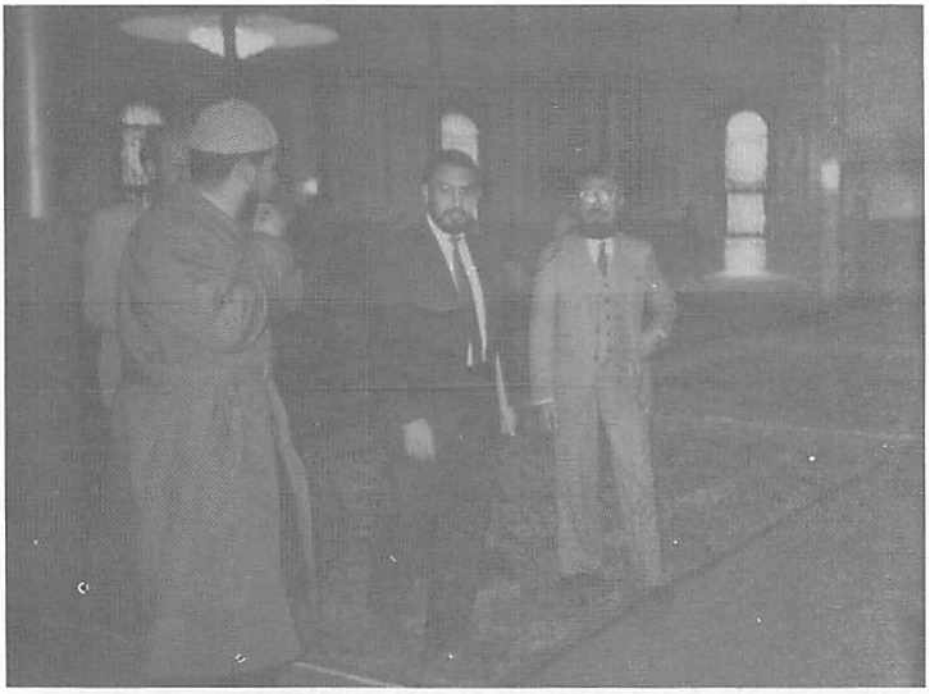

المؤلف داخل مسجد المركز الإسلامي ببروكسل

استرحت قليلاً في الفندق بعد السهر والتعب، ثم أخذني الأخ عبدالله الأهدل بسيارته إلى المركز الثقافي الإسلامي، وذلك في الثالثة والنصف حسب برنامج وضعه لزيارتي لبلجيكا وهولندا، وأبلغ به مكتبي في مكة المكرمة قبل السفر.

وقد جلت معه في الدور الأرضي من المركز وهو دائري الشكل غرفه دائرة بدورانه ولذلك يكون آخر الغرفة أوسعها.

وهو جزء من مبنى قديم بني قبل نحو مائة سنة على طراز إسلامي فيه منارة واحدة كمنارة المسجد من أجل أن يظهر كالطراز

الإسلامي، وهو مبنى مهم يقع في أهم حديقة في مدينة بروكسل القديمة تسمى الخمسينية سيأتي الكلام عليها.

وقد افتتح هذا المركز بالفعل في عام ١٣٩٨هـ للصلاة فيه، واستمر نشاطه في ازدياد حتى الآن.

المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل

لمحة عن المركز:

أهدي المركز الإسلامي للمغفور له الملك فيصل في شهر مايو ١٩٦٧م الذي يقع في الحديقة الخمسينية ببروكسل بجوار السوق الأوروبية المشتركة.

وقد تبرع بترميمه ونفقاته كاملة الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله وقام بافتتاحه عام ١٩٧٨م، وقد استمر الدعم السخي والعناية الفائقة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أطال الله عمره.

اعترف بالإسلام في بلجيكا كدين رسمي في ٢٤ أغسطس ١٩٧٤م بمناسبة زيارة الملك خالد رحمه الله لبلجيكا.

أدخل التعليم الإسلامي في المدارس البلجيكية ابتداء من العام الدراسي ١٩٧٦/٧٥م، وصدر المرسوم الملكي بذلك في ٨ فبراير ١٩٧٨م.

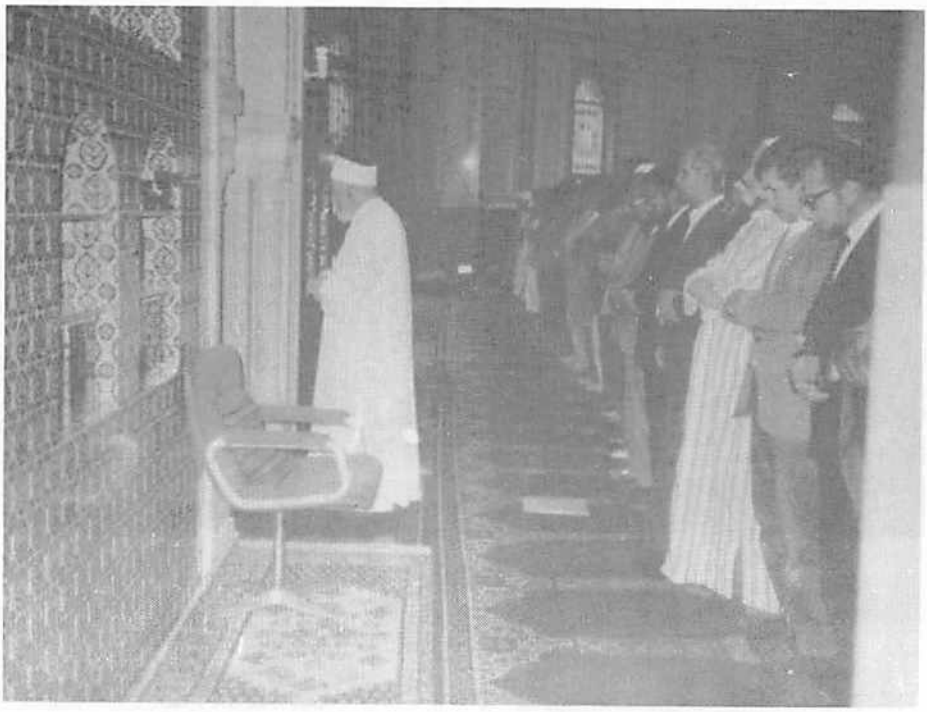

صلاة الجماعة في مسجد المركز الإسلامي ببروكسل،
خلف الإمام الشيخ محمود الزعم أستاذ بالمعهد الإسلامي بالمركز

أولاً: صلاحيات المركز الحالية والمكاسب الجديدة:

١- الإشراف على أداء الشعائر الإسلامية.

٢- الإشراف على التعليم الإسلامي وتعيين المدرسين ووضع المناهج.

٣- التفاف جميع المساجد تحت إشراف المركز الإسلامي.

٤- منح الإقامة الشرعية للأئمة والمدرسين بترشيح من المركز الإسلامي.

٥- علاقة المركز مع كافة أجهزة الدولة التي له اتصال بها من منطلق قوة صلاحياته.

٦- اعتماد مدير المركز كممثل للمسلمين بانتخاب ديمقراطي.

٧- موافقة الحكومة على إيجاد مقبرة إسلامية.

٨- اعتماد إذاعة صوت رابطة العالم الإسلامي إذاعة رسمية.

٩- إيجاد قانون للمسلمين لأول مرة ووضع رابطة العالم الإسلامي بثلاثة أصوات في المجلس الأعلى للمسلمين وأن يكون ممثل المسلمين من بين أعضاء الرابطة.

١٠- موافقة القطاع الفلمنكي المبدئية على إهداء قطعة أرض مساحتها عشرة آلاف متر مربع لإقامة فرع للمركز الإسلامي.

١١- الموافقة المبدئية على إنشاء المدينة الاجتماعية الإسلامية ودعم السلطات البلجيكية المشروع بنحو ٣٠./. من التكاليف واعتباره الحل الوحيد لأبناء الجيل الثاني من المهاجرين المسلمين.

١٢- اعتراف القطاع الفلمنكي بالمعهد الإسلامي الأوروبي لإعداد المعلمين والأئمة والدعاة.

١٣- يحق للمركز التدخل بطلب عدم السماح للتيارات المنحرفة من أدعياء الإسلامي من إقامة مساجد لها وإغلاق مساجدها إن وجدت.

١٤- مطالبة الحكومة بدفع رواتب للأئمة وميزانية للمساجد وهو قيد الدراسة.

١٥- القيام بصياغة قانون خاص بمدرسي التربية الإسلامية لإعطـــائهم حقوقهم كاملة.

١٦- عضوية المركز في منظمة حقوق الإنسان ومنظمة السلام.

١٧- صدر القانون الرسمي باعتماد الذبح الإسلامي وعدم السماح بالذبح إلا بترخيص من المركز الإسلامي.

المؤلف في قاعة الاستقبال بالمركز على يمينه مدير المركز عبدالله الأهدل ثم نائب مدير المركز عبدالمنعم بركاس ونائب إمام المركز فاروق إسلام واستاذ القرآن الكريم الشيخ منصور رحمه الله

ثانياً أنشطة المركز:

جميع ما سبق في الفقرة الأولى يعتبر أنشطة للمركز إضافة إلى ما يلي:-

١- المعهد الإسلامي لإعداد الأئمة والمعلمين والدعاة وعدد طلابه ٢٨٦+ المستجدين في عام ١٩٨٩/٨٨م.

٢- فتح ثلاثة أقسام تمهيدية. (أ) البلجيك المسلمين وأبناء الجيل الثاني والثالث من المسلمين.(ب) الأئمة الغير مؤهلين. (ج) الأتراك.

٣- معهد اللغة لغير الناطقين بها وعددهم نحو ٧٠ بالإضافة إلى غير المسلمين.

٤- المدرسة الإسلامية وعدد طلابها ٧٠٠ (سبعمائة طالب وطالبة يُدرس فيها خمسة وثلاثون مدرساً).

٥- دروس معتنقي الإسلام الجدد أسبوعياً.

٦- دروس تحفيظ القرآن يومياً من المغرب إلى العشاء وتشجيع تحفيظ القرآن وإجراء المسابقات وإعطاء الفائزين جوائز مالية مشجعة.

٧- الدروس العامة بالمسجد الجامع كل سبت.

٨- قسم محو الأمية يومين في الأسبوع.

٩- الندوات الشهرية ويدعى إليها الشخصيات البلجيكية من وزراء وسفراء وحكام وموظفين بالسوق الأوروبية أو حلف الناتو، والهدف منها التعريف بالإسلام وأنه دين سلام ومحبة ومودة.

١٠- نادي للمسلمات وتقام فيه الدروس والأنشطة الخاصة بالنساء فقط.

١١- نادي للشباب المسلم والإذاعة تحتاج إلى تزويد.

١٢- تأليف الكتب المدرسية للمدارس البلجيكية والمدرسة الإسلامية.

١٣- طباعة الكتب المدرسية وجزء عم المترجم ومواقيت الصلاة والمجلة الدورية.

١٤- زيارة المساجد وتفقد أحوالها البالغة ١٨١ مسجداً، وكذلك المدارس التي بلغت نحو ألف ومائة مدرسة.

١٥- تزويد المطار بمطبوعات المركز ونشر الدعوة فيه بتوزيع التعريف بالإسلام وحقوق المرأة في الإسلام والحرية والرفق بالحيوان.
١٦- تفقد المدرسين ومطالبة الحكومة بتعيين رواتب للمفتشين ويبلغ عدد المدرسين نحو ٥٠٠ مدرس.
١٧- اللقاءات الدورية بالأئمة والمدرسين وتوجيههم.
١٨- إنشاء قسم خاص بالاستشارات القانونية وقسم آخر للشرعية.
١٩- إجراء عقود الزواج.
٢٠- إنشاء قسم الفتوى الشرعية.
٢١- دراسة وضع الانحراف والإدمان على المخدرات ومحاولة إيجاد الحلول للتخلص منها.
٢٢- محاولة إنشاء دار لرعاية الأيتام والمشردين.
٢٣- إعانة المنقطعين والمغتربين مادياً ومعنوياً.
٢٤- غير ذلك مثل التصدي للتيارات الهدامة ومحاربتها والرد على الصحف وتلطيف العلاقة بين المسلمين والعنصريين.. الخ.

حفل اتحاد طلبة المعهد الإسلامي الأوروبي:

بعد الجولة السريعة في المركز صعدنا إلى الطابق الأول، حيث قاعة الاجتماعات فوجدناها مليئة بطلاب المعهد الإسلامي الأوروبي، ومعهم غيرهم من المسلمين الذين حضروا إلى المركز في هذا اليوم الأحد آخر يومي العطلة الأسبوعية في هذه البلاد، حتى إن في آخر الصفوف عدداً من النساء المسلمات جئن لهذا الغرض وأكثرهن من الشابات المتسترات وفيهن من المغربيات لأن المغاربة والأتراك يمثلون أكبر جماعتين مسلمتين في بلجيكا.

وغالب طلبة المعهد من الكبار وفيهم عدد من أئمة المساجد، ويصح أن يقال فيهم: إنهم من الدارسين فيه وليسوا من الطلاب حسب الاصطلاح الحديث الذي هو غير صحيح لأنه يهدف إلى أن يجعل صغير السن طالباً وكبير السن دارساً تمييزاً لأحد النوعين عن الآخر.

ولكن الصحيح أن الجميع طلاب، وإن اختلفت أعمارهم، فالمثل العربي القديم المشهور يقول: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في فضل طلب العلم: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع) وليس هذا الفضل مختصراً على صغار السن.

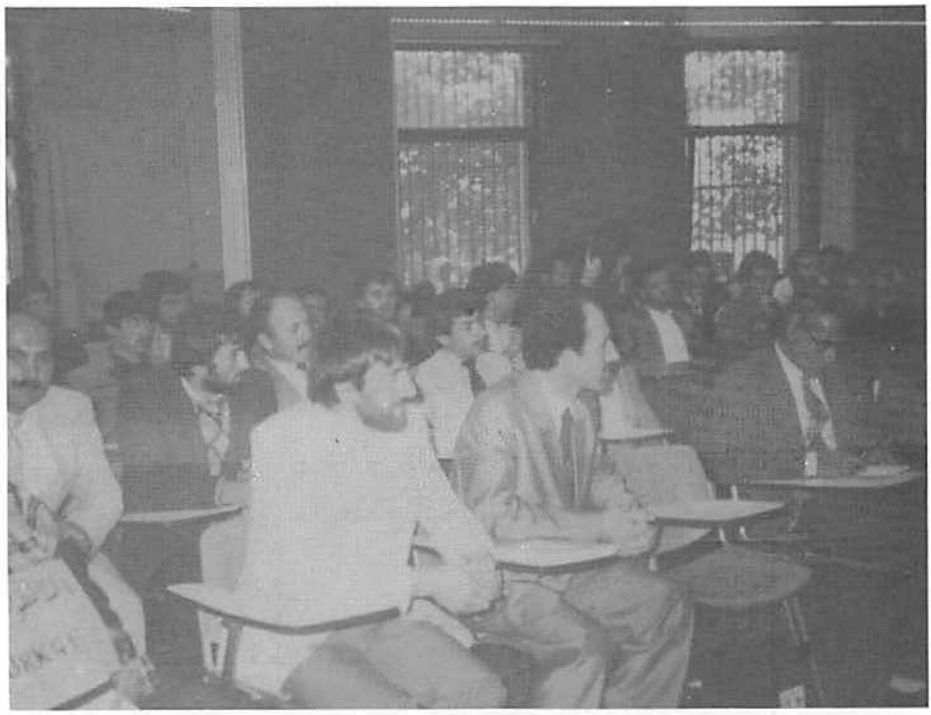

جانب من طلبة المعهد الإسلامي الأوروبي يستمعون إلى محاضرة المؤلف

ومن ناحية عملية فإن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم الشرعية منه عليه السلام وبعضهم كبار السن بل كانوا في سن الشيخوخة فصاروا بذلك أعلاما في العلم والمعرفة بالشرع.

وجدنا القوم قد جلسوا في هذه القاعة وقد حضرها معهم أساتذة المعهد الإسلامي وفيهم مشايخ من الأزهر، فافتتح الحفل بتلاوة القرآن الكريم تلاها الشيخ عبدالفتاح اللمطي الطالب في المعهد وكانت تلاوته مجودة وقراءته متقنة، وأخبروني أنه كان قد حصل على جائزة في مسابقة تلاوة القرآن الكريم التي كانت عقدت في مكة المكرمة، وهو من المملكة المغربية، ثم ألقى أحدهم كلمة طلاب المعهد تضمنت الترحيب، وبعض المطالب، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن ناصر العبودي

حضرات السيدات والسادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

باسم اتحاد طلبة المعهد الإسلامي الأوروبي نرحب بكم جميعاً، وندعو الله عز وجل أن يكون حضورُنا هذا اللقاء خالصاً لوجهه الكريم، وسعياً مخلصاً لتحقيق ما يطمح إليه المسلمون في هذه الديار، أطفالاً وشباباً، ونساءاً وشيوخاً.

السيد الأمين العام المساعد.

لقد شرفكم الله بتحمل مسؤولية العمل من أجل الإسلام والمسلمين، ووضعكم على رأس واحدةٍ من المؤسسات الإسلامية التي أخذت على

عاتقها خدمة الإسلام والمسلمين في جميع بقاع الأرض، يفرض عليكم ذلك التزاما ويفرض علينا أيضا مصارحة ومكاشفة للواقع المرّ الذي يعيشه المسلم خارج وطنه.

إن المعهد الإسلامي الأوروبي تجربة فريدة لم تكن وليدة فكرة اليوم، ولكن كانت حلما يراود كل مخلص، فالمعهد ولا شك هو البداية الحقيقية والعلمية للدعوة الإسلامية، وبكلمات أخرى أقول:

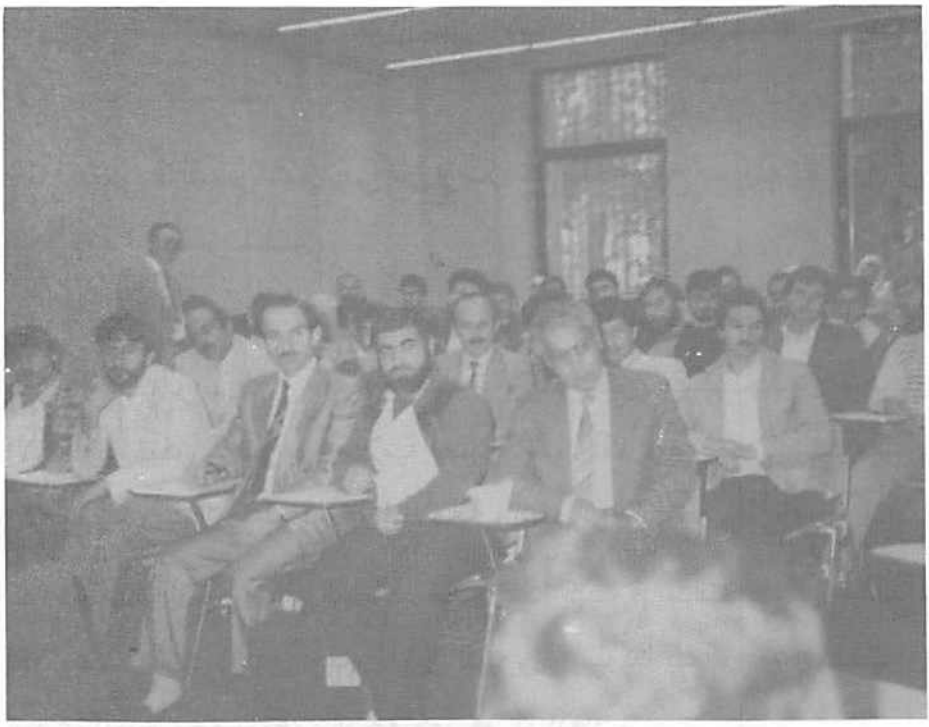

جانب آخر من طلبة المعهد الإسلامي الأوروبي يستمعون إلى المؤلف

إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد بُعث معلماً، وجاء الإسلام لتربية البشرية، ولغرس القيم الإلهية لتحكم سلوك الإنسان على الأرض، ولا يكون ذلك إلا بالتربية والتعليم، ولن يصبح المربيُ مربياً،

ولا المعلمُ معلماً إلا إذا كان مُعداً لهذه المهمة الجليلة متسلحاً بوسائلها التي تعينه على أداء مهمته بفعالية ونجاح، ولن يتأتى له ذلك إلا بالدراسة السليمة والجادة.

ولقد انتقل الحلم الآن إلى حقيقةٍ مجسدةٍ في الواقع: أقسام دراسية، أساتذة، طلابٌ يرتادون الأقسام، وكلهم أملٌ أن تنجح هذه التجربة، ولا أخفي عليكم أن القلوب مرتجفة، وأن العقول يساورها القلق، فحقيقة نحن نعمل بلا إمكانيات حقيقية تعيننا على الاستمرار، وببساطة شديدة، سيادة الأمين العام المساعد.

نحن كالقصر الذي بُني من رمال مع لفحة ريح بسيطة يمكن أن يتحطم هذا القصر الجميل.

بيدكم أنتم يا من شرفكم الله بتحمل مسؤولية صنع القرار، أن تحولوا هذه الرمال إلى حجارة صلبة، وبناء متين تمتد جذوره في الأعماق، ويكون صرحاً إسلامياً أصيلاً يشهد لكم ولنا يوم لا ينفع مال ولا بنون، ونكون بذلك قد أدينا الأمانة وأدينا الرسالة حق الأداء.

سيادة الأمين العام المساعد معذرةً إذا كنت قد بدأت حديثي هكذا، فكم وقف هنا في هذا المكان أناسٌ كثيرون يُمنُّوننَا بالوعود، ونعيش أسرى لكلمات معسولة، والواقع كما هو لم يتغير.

باسم اتحاد طلاب المعهد الإسلامي الأوروبي بأقسامه المختلفة أعرض أمام فضيلتكم المعاناة الحقيقية التي تتجسد في الآتي:

أولاً: عدم وجود أعضاء هيئة تدريس ثابتة، وبالقدر الكافي يجعل العملية التعليمية شاقة ومتعثرةً.

ثانيا: فقر المكتبة الإسلامية، وعدم احتوائها على القدر المطلوب من الكتب والمراجع والمصادر يقف حائلاً دون تلبية حاجات الطلبة للدرس والبحث.

ثالثا: عدم توفر الكتاب الدراسي يجعلنا نلجأ إلى تصوير الكتب والمذكرات الدراسية خارج المعهد، ونتكلف مبالغ باهظة علاوة على تضييع الوقت والجهد.

وكان من الأجدر أن يكون للمعهد وسائله الخاصة.

رابعا: عدم تبني إحدى الجامعات الإسلامية لهذا المعهد علمياً وفنياً وإدارياً ليضمن له الاستمرار بثبات يجعله بلا ثمرة.

خامساً: عدم الرعاية الحقيقية من مؤسسات العمل الإسلامي وفي مقدمتها رابطة العالم الإسلامي للمعهد والنظرُ بعين الاعتبار إلى هذا الشباب المسلم الذي يمكن أن تتخطفه التيارات المنحرفة، ويكونَ وبالاً على الإسلام تدعونا إلى التأكيد وبشدة على ضرورة بناء الجسور الصحيحة بين مجتمع المسلمين هنا وبينكم.

سادساً: إن اختلافَ سكنَ وعملَ طلاب المعهد، وتفرقهم في جميع بقاع بلجيكا مع حرصهم الكامل على الدراسة يجعلهم يتكلفون مبالغ باهظة، مما يعوقَ مواظبتَهم المستمرة.

سابعاً وأخيراً: عدم وجود ميزانية خاصة للمعهد يجعله مهدداً في كل لحظة بإغلاق أبوابه.

السيد الأمين العام المساعد، حضرات السيدات والسادة..

إن تحقيق وجود هذا المعهد على أرض الواقع ككيان نلمسه، ونحسه يجعلنا نتمسك به كواحد من أعظم المكاسب التي تجعلنا نجاهد في سبيل استمرارها بالغالي والنفيس، إذا أخلص القائمون عليه النية لوجه الله، وإذا لم يبغ الطلابُ إلا مرضاة الله عز وجل، فهاتان ضمانتان حقيقيتان لاستمرار هذه المسيرة إن شاء الله.

أدعو الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً لما فيه مرضاته عز وجل، وأن يوفقنا لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تكلم الأستاذ عبدالله الأهدل إمام المركز الثقافي الإسلامي في بلجيكا فقدمني للحاضرين ورفع من قدري في كلامه حتى كدت أعترض عليه أثناء كلامه وأقول له: إنني دون ما ذكرته، فذكر أعمالي السابقة وخاصة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وفي الأمانة العامة للدعوة الإسلامية وأخيراً في الرابطة.

وذكر رحلاتي في أنحاء الأرض لغرض الاتصال بالإخوة المسلمين في أنحاء العالم ومساعدتهم في أمورهم، وأخبرهم بأنني ذاهب بعد بلجيكا وهولندا إلى البرازيل.

ثم ذكر لهم مؤلفاتي وبخاصة الكتب التي ألفتها في الرحلات التي تتحدث عن أحوال المسلمين الحاضرة، وقال: لقد حصلنا على مجموعة منها ستكون بين أيديكم من الآن للإطلاع عليها والاستفادة مما فيها من المعلومات عن الإسلام والمسلمين.

وقال في آخرها إنني أترك الكلمة لفلان ليلقي لنا الأضواء على

أحوال الدعوة الإسلامية في العالم وليقدم إليكم توجيهاته التي نرجـو أن تنتفعوا بها.

فألقيت فيهم كلمة مرتجلة مبسوطة مفصلة شكرت فـي أولهـا الله سبحانه وتعالى الذي قدر هذا الاجتماع بهم ثم شكرت الأخ عبدالله الأهدل على كلماته التي قدمني بها إليهم وقلت لهم: إن مبعث ذلك هـو حسـن الظن بي منه وإلاَّ فإنني دون ما ذكره.

يستمعون إلى كلمة المؤلف في المركز الإسلامي في بروكسل

وبينت لهم أن الإسلام هو دين الغد للبشرية كلها وأوردت لهم شواهد ذلك من انتشار الإسلام في بقاع جديدة لم يكن قد دخلها من قبل مثل جـزر في جنوب المحيط الهادئ كمملكة تونقا وساموى الغربية، فضلا عن دخوله

إلى عقول كثير من المفكرين والمثقفين ثقافة عصرية في أوروبا والولايات المتحدة وفرنسا وهذه البلاد البلجيكية.

وهذا يعتبر فتحاً إسلامياً وهو فتح قلوب لا فتح حروب، ويدحض في الوقت نفسه الشبهة، بل الأغلوطة التي روجها أعداء الإسلام من أنه دين انتشر بالسيف.

وقلت لهم متسائلاً: أين سيف الإسلام في أوروبا وأمريكا مثلاً؟ وإذا رجعنا إلى التاريخ الذي يسبق ذلك فإننا نجد أن الإسلام انتشر في جنوب آسيا الشرقي كإندونيسيا وماليزيا بالإقناع والاقتناع، لأنه لم تقم جيوش إسلامية بغزو تلك البلاد وإخضاعها له بحد السيف.

وأوردت لهم شواهد على أن الإسلام هو دين الغد للبشرية كلها، مما ورد في الحديث: أن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض في آخر الزمان وليس عليها مشرك.

وفسرت لهم معنى الحديث الذي قد يفهم منه بعض الناس أن الإسلام سيضعف ويعود غريباً وهو (بدا الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء).

فقلت لهم: إن ذلك خاص بمرحلة معينة وإن كلمة (بدا) في أول الحديث هي بدون همزة من البدوّ وهو الظهور والوضوح، وليس من البداءة بمعنى الابتداء، لذا فإن معنى بدا الإسلام غريباً، أي ظهر غريباً وسيعود غريباً كما بدا أي سيأتي يوم يبدو هو فيه كذلك لقلة أنصاره، ولكن ذلك مخصوص بفترة معينة من زمن معين، أو من أزمنة معينة وليس أمراً مستمراً إلى يوم القيامة.

ولقد عجب كثير من المنصّرين وأبدى لي ذلك أحد المسؤولين عن التنصير في قارة إفريقية في داخل الفاتيكان وهو أن الإسلام ينتشر كما قالوا بقوة ذاتية، بمعنى أن القائمين عليه ليست لديهم القوة المادية الكافية لنشره، كما عند المسيحيين مثلاً، ومع ذلك تجده يتقدم على المسيحية في كثير من الأحيان، بل ويكسب أناساً كانت الدوائر المسيحية قد تعبت في إدخالهم إليها، فيدخلون في الإسلام بدون جهد كبير.

فقلت له: إن القوة الذاتية للإسلام التي حدثت عنها إنما هي قوة إلهية، فالإسلام هو دين الله الحق، وهو يحمل ببساطته ونقائه، وقربه من الفطرة السليمة عوامل انتشاره.

وكنت أتكلم وثلاثة من المترجمين يقفون بين مجموعات المستمعين الذين كانوا قد قسموهم إلى ثلاث فرق هي التركية والفرنسية والفلمنكية إلى جانب العرب الذين لا يحتاجون إلى ترجمة فقام مترجم بين كل مجموعة يترجم ما أقوله إلى مجموعته في الوقت الذي كان فيه المترجمان الآخران يترجمانه إلى اللغتين الأخريتين.

وهذه ترجمة بدائية يسببها عدم وجود أدوات الترجمة الفورية الحديثة عندهم في القاعة، ولذا استغرقت الكلمة أكثر من ساعة.

وأعقبها بعد ذلك طائفة كثيرة من الأسئلة والاستفسارات من الإخوة الحاضرين عن أمور دينية وأمور أخرى تتصل بالدين.

وأجبت عليها كلها بما حضرني، ولم يمنع من الإجابة على المزيد منها إلاّ ضيق الوقت، وتلك الأسئلة من عدد من المسلمين البلجيكيين الجدد ومن المسلمين المهاجرين إلى هذه البلاد الذين حصلوا على الجنسية البلجيكية، أو اكتسبوا الحق في الحصول عليها بعد إجراءات

معينة فصاروا في حكم أهل البلاد من الناحية القانونية المجردة.

وقد ختم الاجتماع بتلاوة قرآنية كريمة كما بدأ وانتهى في السادسة والربع حيث قرب وقت صلاة المغرب.

وهذه نماذج من الأسئلة التي طرحت في هذا الاجتماع آثرت ذكرها هنا لأنها تبين تفكير المسلمين هناك:

* * *

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

أما بعد فنشكر الله أن جمعنا معكم أخينا الكريم محمد بن ناصر مسؤول الرابطة الإسلامية، ثم بعد هذا نتوجه نحن الطلبة بالمعهد بطلبين أساسيين إلى مؤسستكم عبر فضيلتكم:

١- تلبية الطلبات التي تقدم بها إليكم أخونا الطالب.

٢- أن تبادروا- أنتم أبناء مكة والحرم- إلى تنظيم سفر عمرةٍ وسياحة إلى بلاد المسلمين المقدسة: الحرمين والمدينتين المقدستين.

وجزاكم الله خيراً.

طلبة المعهد يرغبون بتنظيم رحلة لأداء فريضة الحج هل يمكن أن تقدم الرابطة المعونة لنا؟

* * *

نرجو ممن يعلمنا نحن الترك العربية أن يتقن التركية أيضاً ليساعدنا؟

السنة الأولى.

* * *

لا يوجد في المعهد قسم للغة الهولندية للمبتدئين لماذا؟

هل يمكن توسيع المكتبة، وإيجاد أكثر من الكتب للناطقين بالفرنسية؟

لماذا لا توجد دروس في المستوى الأول فيها يخص الغير الناطقين بالعربية؟

* * *

نحن طلبة المعهد من الأتراك نرجو أن يكون هناك قسم للدراسات الشرعية بالتركية، ويكون من ضمن الدروس بعضها بالعربية لأننا نجد صعوبة لمتابعة كل الدروس بالعربية؟

وشكراً.. والله الموفق.

* * *

هناك في مدينة لييج من حَصلَ على إجازة في العلوم الإسلامية يُجيد العربية والفرنسية فلماذا لا تعطى دروس هناك؟ فتنقلاتنا تشكل لنا صعوبات عديدة؟

* * *

ندعو الله عز وجل أن يتمكن هذا المركز من القيام بنفس النشاطات باللغة النيروندية (الفلمندية)؟

هل توجد منظمة إسلامية يمكن أن تعمل على إرسال الطلبة "الغير الناطقين بالعربية" إلى دول عربية لتعلم هذه اللغة لمدة معينة؟

* * *

هناك مدرسين للتعليم الإسلامي أوقفوا عن التعليم بدون أسباب فالرجاء من الإدارة والرابطة أن تقوم بما يلزم لحل هذه المشكلة؟ بارك الله فيكم.

* * *

إن حقل المعرفة وتوسيع الفكر وتغذيته ينشأ عن مصادر مختلفة ومن أهم المصادر لهذه الثروة الكتب ونظراً لافتقار هذه المكتبة على هذه المادة الأساسية نرجو من سيادتكم بأن تعملوا ما في وسعكم على تزويد مكتبتنا بما ترونه ملائماً.

* * *

في هذا البلد: إن بعض البلديات قد منعت تدريس الدين في المدارس، ولم يستطع أحد أن يجبر هذه البلديات بتغيير قرارها بالسماح لتدريس أبناء المسلمين الدين الإسلامي رغم تدخل المركز واعتراضنا نحن الآباء، ولذلك نرجو منكم أن تطلبوا من الرابطة الإسلامية أو من المملكة أن تتدخل دولياً لتغيير هذا القرار لأنه إن تُرك هذا الأمر فإنه سيشجع البلديات الأخرى في بلجيكا لمنع تدريس الإسلام ولكم الشكر ولن ينسى الله جهودكم.

* * *

مشكلة المسلمين في بلجيكا ليست فقط مشكلة المعهد، بل إن وجود المسلمين أصلاً في خطر.. فهناك قوى سياسية واعية تعمل على تكفير

أولاد المسلمين وإخراجهم من دينهم، ولا يجب أن تفرحوا برؤية هـؤلاء المسلمين هنا في المعهد، فأضعاف أضعاف هذا العدد يخرج كل يوم من الإسلام ولابد لكم كمؤسسة إسلامية وكممثل لمؤسسة إسلامية من نقل هذه الصورة الخطيرة إلى من يستطيع مساعدتنا لأننا بحاجة إلى المزيد مـن العلماء والمزيد من الوسائل.. فحتى الآن لا توجد مجلة إسلامية واحـدة نضمها بين أيدي الطلاب .. وإلى ذلك نسمعكم.

* * *

هل يمكن لطلبة المعهد وخاصة الترك أن يقضوا العطلة في مكـة لتعلم وإتقان اللغة العربية؟ وشكرا؟

* * *

سعادة نائب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي قلتم فـي بعـض كلمتكم بأنه تم اجتماع لدراسة أحوال المعهد، فهل لكم أن تخبروننا عـن ماذا تم من قرار خلال هذا الاجتماع وجزاكم الله خيرا؟

* * *

نحتاج إلى مدرسين مختصين في كل العلوم الشرعية والمدرسـون الموجودون لا يكفون لهذا العدد الهائل من الطلبة.

انتهت نماذج الأسئلة.

* * *

في مطعم تركي:

انقضى الاجتماع فذهبت مع الأخ عبدالله الأهدل إلى مطعم تركي حيث تناولنا طعاماً دسماً لا أحب مثله في العادة لثقل دسمه، ولكن الإكثار من الدسم عادة عند بعض الناس ناشئة عن قلة الدسم في القديم، وعن العمل البدني الشاق الذي كان يحرق فيه العامل ما يختزنه جسمه من دهون فلا يضيره الإكثار من الدسم.

أما الآن وبعد أن قل الجهد البدني الشاق في بعض الأعمال، وانقلب إلى عمل عقلي مريح للبدن فإن الإكثار من الدسم مضر إذا تكرر واستمر.

ولاحظت أن المطعم رغم كونه تركياً ظاهراً بأنه للمسلمين من اللافتة عليه، ومن كون المسجل فيه كان يذيع أغاني تركية فإن عدداً من رواده كانوا من البلجيكيين غير المسلمين يأتون إليه حباً في نوع الطعام الذي يقدمه، ولرخص سعره بالنسبة إلى المطاعم الأخرى لغير المسلمين.

ويقع هذا المطعم في حي يكثر فيه المسلمون من مغاربة وأتراك والمغاربة أكثر، وقد رأيت طائفة منهم من رجال ونساء يسرعون وهو ذاهبون إلى المسجد الموجود في هذا الحي.

يوم الاثنين ١٤٠٩/٢/٢٢هـ:

الاجتماع بأئمة المساجد:

كان برنامج الصباح في هذا اليوم يشتمل على فقرتين إحداهما الجولة على أقسام المركز الإسلامي في وقت العمل لأنني رأيت بعض غرفه أمس وهي خالية من الموظفين.

وكان الإطلاع في أول الأمر على المطبعة، وما تقوم به من طبع الكتب الدينية الصغيرة والمقررات المدرسية الإسلامية، ومواقيت الصلاة، وكتب صغيرة من كتب الدعوة.

المؤلف يلقي كلمته أمام أئمة المساجد في بلجيكا

ولقد أعجبني ما رأيته في هذه المطبعة من إنتاج رغم صغرها، وضعف إمكاناتها، وقد اشترى المركز اليوم آلة طباعة حديثة كان قد تعاقد عليها من قبل، ولكنه لم يستطع الحصول على المال اللازم لشرائها، وقد سارع المركز إلى تسلمها.

عندما علم الأخ الأهدل أنني أحمل معي صكاً -شيكاً- بما يعادل ثلاثمائة وخمسين وسبعين ألف ريال سعودي مساعدة طارئة من رابطة العالم الإسلامي للمركز الثقافي الإسلامي في بروكسل هذا وهي النصف الأول من مساعدة قررت رابطة العالم الإسلامي دفعها للمركز للتنفيس عن ضائقة مالية يعاني منها بسبب نقص الموارد المالية، فاشترى هذه الآلة الطابعة الحديثة من هذا المبلغ.

وقد اطلعت على بقية مرافق المركز ومن ذلك مسجد صغير في الطابق الأرضي مخصص لصلاة الموظفين الذين يأتون من خارج المركز ولا يصعدون إلى المسجد الجامع الواسع في الطابق الثاني.

والفقرة الثانية: الانتقال إلى قاعة الاجتماع في المركز حيث وجدنا عدداً من أئمة المساجد في بلجيكا زاد على خمسين إماماً فافتتح قارئ منهم الاجتماع بتلاوة القرآن الكريم من سورة النور: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾**.

وبعد ذلك تكلم الأخ الأهدل فكرر المدح وزاد في الثناء وبين الغرض من هذا الاجتماع بأئمة المساجد في بلجيكا الذي كان وضع في برنامج زيارتي بناء على رغبة الأئمة أنفسهم.

ثم تكلمت فنفيت ما ذكره الأخ الأهدل من المدح العظيم لي والأوصاف الكثيرة التي خلعها عليَّ ثم وجهت كلمتي لأئمة المساجد

وقلت لهم: إن إمام المسجد في بلاد الأقليات هو بمثابة إمـــام المســـلمين الذي يكون مسئولاً عن جميع شئون دينهم فهو المفتي والمرشد والواعظ، وهو الذي يعلم الصغار، ويذكر الكبار، ويجهز الجنائز، ويقسم التركات، ويعقد الأنحكة، وعلى وجه الإجمال فإن مهمته كبيرة، بل خطيرة، إذْ هو الوحيد المسئول عن الأمور هذه كلها، بخلاف بلاد الأكثريات المســـلمة حيث تكون هناك عدة جهات مسئولة عن العناية بشئون المسلمين.

ولهذا فإن واجبنا أن نتعاون معاً على ما يرفع من شأن الأئمة فـــي هذه البلاد، ولقد سرني ما علمته من أن (٦٧) إماماً من أئمة المساجد في بلجيكا من أصل ما يزيد قليلاً على مائتي إمام يدرسون الآن في المعهـــد الإسلامي الأوروبي، وذلك من أجل زيادة معرفتهم بالـــدين الإســـلامي ورفع كفايتهم في الأمور التي ذكرتها.

أئمة المساجد في بلجيكا يستمعون إلى المؤلف على يساره على المنصة الأستاذ عبدالله الأهدل مدير المركز الإسلامي في بلجيكا

ثم ألقى أحد أئمة المساجد في المنطقة الفلمنكية من بلجيكا وهو الشيخ رزي بن ميمون كلمة مكتوبة بالعربية.

أعقبه الشيخ محمد فزاز في روسو من منطقة لاكن بكلمة مكتوبة بالعربية أيضا وهو والشيخ الذي قبله كلاهما من المغرب.

وقد تضمنت كلمة الشيخ محمد فزاز تلخيصا لمطالب أئمة المساجد في بلجيكا وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

الشيخ محمد بن ناصر العبودي - حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد..

الحمد لله الذي أتاح لنا فرصة اللقاء بفضيلتكم، نرجو الله أن يكون مقامكم بيننا مقاما سعيدا وأن يجزل لكم الجزاء على تجشمكم مشاق السفر للإطلاع على العمل الإسلامي بهذه الديار، وما يواجهه من تحديات مختلفة، متضرعين إلى الله سبحانه أن يوفقكم في مهامكم ويعينكم على استمرارية مساندتكم للعمل الإسلامي والدعوة إلى الله.

لقد زارنا قبلكم سعاة الأمين العام المساعد للشئون المالية والإدارية السيد أمين عقيل عطاس، وطرحنا أمامه بعض المشاكل التي تعترض طريق الموظفين المنتدبين محليا ومن قبل رابطة العالم الإسلامي والدعاة، ودرس الوضع المادي المزري الذي يعيشونه.

وقد بلغ سعادته مشكورا هذا الوضع إلى الأمانة العامة للرابطة والتي

استجابت مشكورة لإيجاد الحلول المناسبة له، وقد تم إصدار قرار تحمل الرابطة لأداء الضمان الاجتماعي والضرائب الحكومية الموجبة على رواتب الموظفين المنتدبين من الرابطة، ولم يتم تنفيذه لحين ساعته، وبهذه المناسبة نعرض على فضيلتكم بعض المتطلبات التي بقيت دون الحلول.

١- العمل على تعجيل تنفيذ القرار المتعلق بالأداءات للضمان الاجتماعي، اعتباراً من تاريخ صدوره حتى نتمكن من تسديد الديون الحكومية المتراكمة علينا ونتقي مساوئ المحاكم والعدالة البلجيكية.

٢- دراسة إمكانية رفع رواتب الموظفين عامة على غرار ارتفاع المستوى المحلي للمعيشة وطبقاً لقانون البلد، ولقد تألمنا كثيراً لهذا العامل الذي يرتفع سنوياً بنسبة ٦./. وانخفاض القدرة الشرائية للرواتب، حيث أصبحت حالياً لا تغطي مصروفات معيشتنا، ناهيك عن انهيار الرواتب بانهيار سعر الدولار في السنوات الأخيرة.

٣- دراسة ترقية الموظفين والاهتمام بوضعهم في الهيكل الوظيفي بالرابطة والمركز وتشجيعهم مادياً ومعنوياً.

٤- دراسة إمكانية استضافة بعض الموظفين سنوياً من قبل الرابطة للقيام بفريضة الحج.

وبالمناسبة نشكر أخانا الشيخ عبدالله محمد الأهدل إمام ومدير المركز الإسلامي الثقافي ببلجيكا الذي لم يدخر وسعاً في حل مشاكلنا، ولقد تفضل مشكوراً عدة مرات لتسديد مبلغ الأداءات الاجتماعية التي تراكمت علينا من ماله الخاص، ونحن مدينون له بمبلغ تجاوز المليون فرنك بلجيكي.

كما لا يفوتنا أن نشكر سعادة سفير خادم الحرمين الشريفين الشيخ إبراهيم بكر على مده يد العون لنا بصفة مستمرة.

نرجو من فضيلتكم التكرم بإمعان النظر في هذه المتطلبات والاستجابة لها قدر الاستطاع، أبقاكم الله ذخراً للإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إخوانكم في الله

جماعة الموظفين والدعاة والعمال بالمركز

الإسلامي والثقافي ببلجيكا

وناقشت معهم مطالبهم واحداً واحداً، ووعدتهم بالعمل على تحقيق ما يمكن تحقيقه منها، وذلك عندما أعود إلى مكتبي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

أثناء الاجتماع بأئمة المساجد

واشترك الأخ عبدالله الأهدل وهو المسئول المباشر عن المركز الثقافي الإسلامي الذي يتبعه المعهد الإسلامي الأوروبي، والمركز مسئول عن عدد كبير من أئمة المساجد في بلجيكا وهولندا.

ثم أعقبت ذلك مناقشات شفهية في أمور إسلامية عامة.

وبد انتهاء هذا الاجتماع كان موعد صلاة الظهر قد حان فصعدنا إلى الطابق الثاني من المركز حيث المسجد الجامع يشغله كله في مساحة واسعة تتسع لنحو (٣٥٠٠) مصل.

وأم بالناس في هذه الصلاة الشيخ محمود الزعم مبعوث الأزهر إلى هذا المركز الإسلامي، وهو بنفقة الأزهر نفسه.

إلى هولندا:

حان موعد السفر إلى هولندا ولنا فيها برنامج معدٌّ ينتهي بمأدبة عشاء تقيمها السفارة السعودية في مدينة لاهاي هذه الليلة.

والسفر بين بلجيكا وهولندا لا يشبه السفر بين بلدين مختلفين، إنما هو كالسفر بين ولايتين من دولة واحدة، فسمة الدخول التي يدخل بها الزائر إلى إحدى الدولتين تكفي للدخول إلى الأخرى وليس بينهما حدود جمركية يوقفون الزائر عندها، بل لا وحتى مكاتب جوازات على الحدود يسألون المار من أحد البلدين إلى الآخر عن جوازه أو جنسيته أو غرضه من الزيارة.

فمثلاً بالنسبة إليّ سافرت إلى (هولندا) مع الأخ الأهدل بدون أن يكون معي جواز سفري ولا أية أوراق أخرى تثبت شخصيتي لأن السفارة السعودية في بروكسل كانت أرسلت جواز سفري بعد ظهر أمس

إلى السفارة البرازيلية من أجل الحصول على سمة الدخول إلى البرازيل التي سأسافر إليها بعد يومين أو ثلاثة كما قدمت.

إضافة إلى كون المسافة بينهما قصيرة لضيق مساحة كل بلد من البلدين بالنسبة إلى الدول المتوسطة والكبيرة ولقرب عاصمتيهما الواحدة من الأخرى.

بنو الممتاز:

لا أدري كيف تبادر إلى ذهني معنى (بني لوكس) الذي لا معنى له في أصل الوضع، وإنما هو اسم اخترعه أهل دول ثلاث اثنتان منها بلجيكا وهولندا التي نتكلم عليها والثالثة دولة هي أصغر منهما مساحة وأقل قدراً منهما وهي (إمارة لوكسمبرج) فقد أخذوا الباء – كما قلت– من اسم بلجيكا والنون من اسم هولندا وهو (نذر لاند) ولوكس من لوكسمبورج، فصار الاسم (بني لوكس) وتبادر إلى ذهني معنى (بني) بالعربية ومعنى (لوكس) بالإنكليزية وأكثر اللغات الأوروبية وإذا لم يكن لهذه التسمية المعنى الذي ذكر حسبما تدل عليه حروفها فإن لها ذلك حسبما يدل عليه واقع التعاون بينها وهو واقع نتمنى أن يكون بين بلداننا العربية واقع مثله أو أحسن منه فيما يتعلق بالتعاون واحترام الكلمة التي تعطيها دولة من دولها عند الآخرين.

فمثلاً سمة الدخول التي تمنح لمن يريد الدخول إلى بلد من البلدان الأوروبية الثلاثة التي ذكرتها وهي (بني لوكس) هي كلمة من دولة واحدة تحترمها الدولتان الأخيرتان، وتسمحان لمن يحملها بالدخول إلى بلديهما دون أي إجراء آخر كما تقدم وما سوف نراه عند زيارتنا لهولندا.

وهذا وجه واحد من أوجه التعاون بين هذه الدول التي هي أيضا أعضاء في السوق الأوروبية المشتركة وفي البرلمان الأوروبي والمقرر أن يتخذ التعاون بين الدول الأوروبية المشتركة في السوق شكلاً أكبر من التعاون في عام ١٩٩٢م.

أما مدينة بروكسل التي سنغادرها الآن فإنها ستكون عاصمة أوروبا في المستقبل لكونها مقر البرلمان الأوروبي، وفيها قيادة حلف شمال الأطلسي إلى جانب السوق الأوروبية المشتركة.

اخترقنا وسط مدينة بروكسل الفاخر حيث المركز الإسلامي بجانبه مقر السوق الأوروبية المشتركة، ومقابله المقر الجديد للبرلمان الأوروبي الذي يجري تشييده قاصدين السفارة السعودية، ولاحظت أن القطار الكهربائي القديم (الترمواي) لا يزال يسير في شوارع بروكسل الفاخرة رغم كونه ألغي من بعض المدن المتخلفة المحتاجة إليه وإلى غيره من أنواع النقل بحجة أن الترمواي قديم لا يناسب أن يستمر وجوده في عاصمة حديثة، وكانت النتيجة لهذا العمل ولغيره أن صارت تلك المدن- في وقت من الأوقات- مضرب المثل في سوء وسائل النقل خلال شوارعها للعالم كله.

ولم أكن أريد الدخول إلى السفارة الآن لئلا يضيع الوقت فدخل الأخ الأهدل إليها وانتهزت الفرصة لالتقاط صورة للشارع الذي تقع فيه وهو (شارع فرانكلين روزفلت) وكذلك صورة أخرى بالقرب من جامعة بروكسل الحرة التي تقع على ناحية ذلك الشارع وهذا الذي صورته هو الجزء الفرنسي من الجامعة لأنها قسمان قسم فرنسي وقسم فلمنكي كأكثر الأشياء في بلجيكا حيث يتقاسم السكان فيها هذان الجزءان الفرنسي والفلمنكي.

في ضواحي بروكسل:

انطلق الأخ الأهدل بسيارته التي يقودها بنفسه وليس معه غيري في شوارع فاخرة من بروكسل ليس فيها ما تعيبها به من الناحية الفنية إلاّ ضيق بعضها ضيقاً نسبياً على أن القديم منها واسع بالنسبة إلى المفهوم الذي كان سائداً في الناس عن سعة الشوارع عند إنشائها.

إلا أن الطرق الحديثة جداً ورسم الشوارع السريعة وما يكون فيها من أكتاف تجعل فيها المرافق العامة كأسلاك الكهرباء والهاتف، وأنابيب المياه وهي التي تتجلى في شوارعنا الحديثة في مدينة الرياض، والأجزاء الحديثة من مدينة جدة، فإن شوارع بروكسل ليست بهذه المثابة.

ثم سلكنا ضاحية غارقة في أشجار باسقة ملتفة لا شك في أنها قديمة الغراس ربما كان ذلك قبل تخطيط تلك الشوارع، فأفضت بنا تلك الشوارع إلى طريق سريع تركبه جسور معترضة للسيارات القادمة من الجانبين، وهذه الجسور كثيرة كثرة لافتة للنظر.

ثم خرجنا من المدينة مع طريق بل طرق سريعة فاخرة حافلة بما يسهل السير عليها من اللافتات والإرشادات ومصابيح الإنارة الضخمة التي لم تكن مضاءة الآن ولكنها ظاهرة للعيان.

البلاد التي لا تعرف الظلام:

كل الطرق السريعة في طول البلاد البلجيكية وعرضها مضاءة بالمصابيح الكهربائية القوية ولذلك صار نعتها بالبلاد التي لا تعرف الظلام نعتاً صحيحاً.

ومع أن الطول والعرض هنا نسبي فإن طول البلاد البلجيكية من الشمال

إلى الجنوب يبلغ أربعمائة كيلومتر، وهو ليس باليسير لو لم يكن فيها إلاّ خط واحد سريع فكيف وفيها عشرات من هذه الطرق السريعة التي بعضها محلي، وبعضها دولي يخترق هذه البلاد إلى البلدان الأوروبية المجاورة.

وذكروا أن السلطات المحلية حاولت التوفير من النفقات بعدم إضاءة مثل هذه الشوارع خارج المدن والقرى ولكن (البرلمان) في البلاد لم يوافق على ذلك، وأبقى البلاد موصوفة بأنها التي لا تعرف الظلام.

الريف البلجيكي:

تجاوزنا مطار بروكسل الدولي ودخلنا في ريف خالص من الريف البلجيكي، والغريب أن هذا الريف المعمور من هذه البلاد الضيقة نسبيا يحفل بمناطق من الغابات الملتفة التي يبدو كأنما هي لم تمس من قبل ولم يغرهم اتساع العمارة على قطع تلك الغابات، وبناء بيوت أو مصانع في مكانها.

مع العلم بأن الريف معمور بالقرى والبيوت الريفية المتفرقة ولكنه الوعي الصحيح لمصلحة البلاد وما ينبغي أن تبقى عليه.

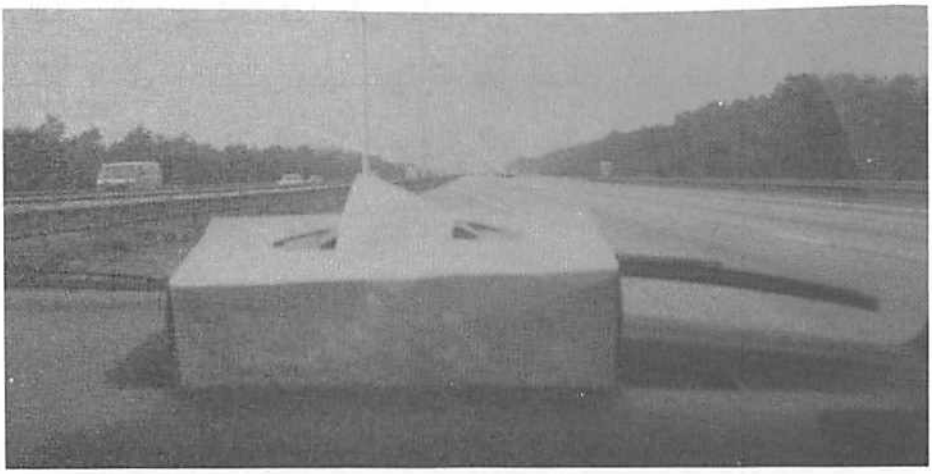

في الطريق بين هولندا وبلجيكا (داخل بلجيكا)

والطريق كما قلت هو سريع، يفصل بين طريق الذاهب والآيب فيه جزيرة واسعة من الحشائش والأعشاب الطبيعية.

واللافتات هنا باللغة الفلمنكية لأن المنطقة داخلة في المنطقة الفلمنكية، أما في المنطقة الفرنسية فإن الأمر ينعكس إذ تكون اللافتات باللغة الفرنسية وفي مدينة بروكسل تكتب اللافتات باللغتين كلتيهما، ولكن الفلمنكية تكون في الأعلى، لأن عدد الذين يتكلمون الفلمنكية في بلجيكا أكثر من عدد الذين يتكلمون الفرنسية.

أما السيارات التي تسير معنا على هذا الطريق الواسع سواء منها الذاهبة أو الايبة فإنها كثيرة، ولكن نسبة كبيرة منها من الشاحنات، وذلك أن الطريق هو جزء من طريق أوروبي دولي لا يقصر استعماله على الشحن داخل بلجيكا نفسها.

هذا وصاحبنا الشيخ عبدالله الأهدل يسير بسيارته بسرعة هائلة خلتها لا تقل عن مائة وأربعين، لكون الطرق السريعة هذه واسعة، والناس الذين يستعملونها على غاية من الوعي بقوانين القيادة وآدابها فمثلاً لا يخرج السائق منهم بسيارته عن المسار التي تسير فيه إلى مسار آخر بجانبه إلا وفق أصول الخروج المرعية في القيادة، ومع ذلك عذلته في هذه السرعة فاستجاب لبعض الوقت.

مدينة أنتورب:

وصلناها بعد ٤٥ كيلومتراً من بروكسل ودخلنا عند الوصول إليها مع نفق واسع جداً تحت لسان ضيق من البحر ثم دخلنا إلى شارع فيها واسع يسمونه الشارع الدائري وقد غص بالسيارات.

وذكر لي الأخ عبدالله الأهدل أن حاكم هذه المدينة قد وعدهم أن يمنح المركز الإسلامي أرضاً لكي يقيموا عليها مركزاً إسلامياً ولكنه اشترط أن يتم الشروع بالعمل فيه فور الانتهاء من تسليم الأرض، وقال: وقدمنا له بياناً بمشروع إنشاء هذا المركز والمنشآت التي سيتألف منها وتقدر تكلفتها بخمسة عشر مليون دولار أمريكي.

هكذا قال لي الأخ الأهدل.

ومدينة (انتورب) هذه تعتبر مدينة الماس في بلجيكا ويقال: إنها أكبر المدن أو من أكبر المدن لتصنيع الماس في العالم، وقد نشأ ذلك في عهد الاستعمار البلجيكي لزائير التي كانت تسمى في ذلك الوقت بالكنغو البلجيكي ولجارتها رواندا وبروندي وفي تلك المناطق من إفريقية ماس كثير.

ويسيطر اليهود على معظم تجارة الماس في هذه المدينة، وهم قدماء في البلاد، وسوف تأتي تكملة الحديث عنها عندما يحين موعد زيارتنا لها في آخر يوم من أيام بقائنا في بلجيكا.

مدينة بريدة:

تركنا عاصمة تصنيع الماس (انتورب) دون أن ندخل قلبها، ونتوقف في أحيائها الداخلية، قاصدين مدينة (بريدة) التي تبعد عن (انتورب) ٤٩ كيلومتراً فانتورب تتوسط المسافة ما بين (بريدة) وبروكسل.

ولكن (بريدة) في هولندا وسنصلها بعد دخول الأراضي الهولندية بقليل بإذن الله.

ذلك بأن الحدود ما بين بلجيكا وهولندا تقع على مسافة (٩٧) كيلومتراً من بروكسل، وتبعد عن عاصمة (هولندا) التي نعرفها بلغتنا

باسم (لاهاي) بنحو (١٠٠) كيلومتر.

ولفظ (بريدة) ينطق به هنا كما تنطق العامة عندنا بلفظ مدينة (بريدة) عاصمة منطقة القصيم ومسقط رأس كاتب هذه السطور، فهي بإسكان الباء في أول الاسم وآخره ألف تنطق كالهاء الخفيفة.

ولذلك كان لوقع هذه الاسم معنى خاص في نفسي، إذ أنى لبريدة العربية بهذه الهولندية وبينهما من الفروق في المكان والسكان ومقتضيات الأديان، بل ومظاهر الأبدان أعظم ما تكون الفروق بين البلدان.

وقد كثرت القرى في هذا الريف البلجيكي، وكثرت مزارع الأبقار، ومازالت اللافتات الكثيرة الكبيرة على الطريق تشير إلى (بريدة) في عد تنازلي يتقلص بسرعة لكون الأخ الأهدل يسوق سيارته بسرعة.

ونذكر هنا أن أجزاء كثيرة من بلجيكا تعتني بتربية الأبقار حتى إن الكيلو الواحد من الحليب الصافي الذي يجلب من المزرعة يباع في بروكسل بما يساوي ريالاً سعودياً واحداً، وحتى إن بلجيكا تواجه مثل عدد من الدول الأوروبية الغربية مشكلة كبيرة، بل ربما عدها بعضهم كبرى من تصريف جبال الزبدة التي تتجمع لديها ولا يجدون لها مشترياً من قارتهم.

وذلك في الوقت نفسه الذي يموت أناس في أنحاء مختلفة من العالم بسبب الجوع ونقص التغذية، وإذا وجدوا طعاماً من الحبوب أو البقول لم يجدوا إداماً له من الزبدة أو الدهن.

والريف هنا أخضر، ولكن دون خضرة الريف البرازيلي في أكثر أنحاء البرازيل، ودون خضرة بعض البلدان الإفريقية الاستوائية.

إلا أن الخضرة هنا خضرة انتفاع وامتاع، وليست خضرة طبيعية مهملة، وهناك فرق بين الخضرة في هذه البلدان الأوروبية الشمالية وبين مثيلاتها في القارات الجنوبية وهي أن الخضرة الأوروبية مصيرها إلى زوال واضمحلال مؤقت تصبح فيها الأرض هامدة جامدة لا يجد فيها الإنسان ولا الحيوان ما يتغذى به إلا أن أهلها وقد ملكوا ناحية الصناعة وتحكموا في بعض فروع الزراعة وأحسنوا خزن ما يحتاجون مما يفضل عن حاجتهم في أيام الاخضرار إلى أيام الاضطرار، تجدهم في وفرة من الغذاء للحيوان والإنسان مما يخزن، أو ما يجلب من مختلف البلدان ذات الجواء المعتدلة في كل الأزمان.

وذلك بسبب الثراء الذي مكنهم من شراء جميع ما يحتاجونه مستوردا من تلك البلاد يدفعون ثمنه مما عملته أيديهم من صناعة، وما يصدرونه من بضاعة.

بخلاف القوم المتخلفين الذي تجود أرضهم بالخيرات في كل الأوقات ولا تمحو خضرتها الفصول ولا الساعات، ومع ذلك هم يجوعون فيها ويعرون، بل إنهم قد يشترون ما يمكن أن يجدوه في أرضهم من خير لو لا أنه يحتاج إلى جهد وعمل ومعرفة لا يملكون بعضها وما يملكونه منها لا يستعملونه لسوء إدارتهم، وفساد الضمائر عند قادتهم، وتقاعس شعوبهم عن محاسبتهم.

الفصل الثالث: هولندا

خريطة هولندا

هولندا:

السكان: عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٩٣م ١٥,٢٣٨,٠٠٠ نسمة.

الكثافة السكانية: ١١٥٤ شخص في الميل المربع.

الديانات: ٣٦./. كاثوليك، ٢٧./. بروتستانت، ٦./. الآخرون، ٣١./. لا منتمي، وأقليات دينية.

اللغات الرئيسية: الهولندية.

التقسيمات العرقية: ٩٦./. هولنديون، ٤./. مغاربة وأتراك وغيرهم.

الحكومة الهولندية:

العاصمة: أمستردام- لكن مدينة لاهاي هي مقر الحكومة.

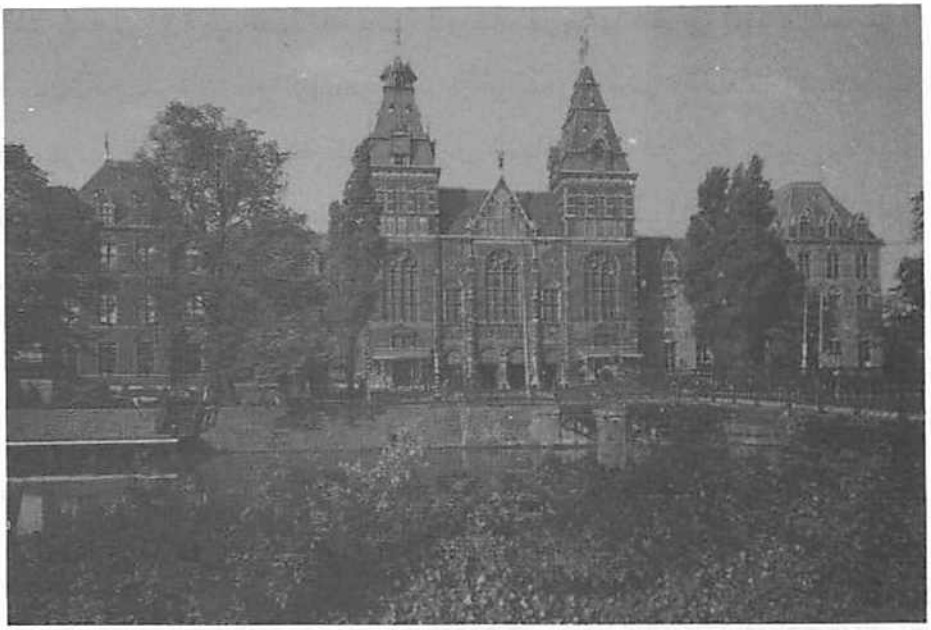

الزهور في أمستردام

نوع الحكومة: ملكية دستورية.

الاسم الكامل: مملكة البلاد الواطئة.

المناطق الإدارية: إثنا عشر إقليما هي: درينتي- فليفولند- فريسلند- جلدرلند- جرونيغن- ليمبورج- نورد- برابانت- نورد هولند- أوفريسيل- أوتريخت- زيلند- زويد هولند.

الأرض ومواردها: هناك فرق بسيط في الارتفاع يميز بين "البلاد الواطئة المنخفضة" الواقعة في الشمال والغرب عند أقل من متر واحد فوق مستوى البحر وبين "البلاد الواطئة العالية" الأكثر ارتفاعاً في الجنوب والشرق والتي يبلغ ارتفاعها ٣٢١ متر في أقصى الجنوب الشرقي.

هذا وتقع ربع البلاد تقريبا تحت مستوى سطح البحر عند أعلى المدّ كما أن ٢٥./. منها منخفضة لدرجة تعرضها للغرق لولا السدود المحيطة بها، والضخ المستمر للمياه الزائدة، وتسمى المنطقة المحاطة بالسدود والتي يجري منه تنظيم جدول المياه الـ"بولدر"، أما أدنى نقطة فتبلغ ٧,٧ تحت أدنى مستوى لسطح البحر، وتقع إلى الشمال الشرقي من مدينة روتردام.

الطقس: تشترك هولندا مع سائر البلاد الواقعة في الشمال الشرقي من أوروبا في طقس بحري شمالي، وتمارس الرياح السائدة والقادمة من الجنوب والغرب تأثيرا بحريا ميالا للاعتدال، ونظرا لحجمها الصغير والارتفاعات المنخفضة فإن الفروقات الجوية الإقليمية طفيفة جدا (لا تكاد تذكر).

ويبلغ متوسط الحرارة ١٧ درجة مئوية في شهر مايو و٢ درجة مئوية في شهر يناير، كما يبلغ متوسط تكثُّف البخار ٧٦٢ مليمتر في السنة

موزعاً بالتساوي ، ويختلف اختلافاً بسيطاً من سنة لأخرى، وقد تجلب العواصف الأمامية تغيرات سريعة في الطقس في أي وقت، وإن كان وقوعها غالباً ما يكون في الخريف.

تاريخ البلاد: احتلت القبائل الجرمانية بما في ذلك الباتافيين والفرنيسيين المنطقة قبل العهد الروماني، وفي القرن الثاني قبل الميلاد مدّ الرومانيون إمبراطوريتهم شمالاً حتى حدود نهر الراين وبقوا هناك حتى القرن الثالث الميلادي، ثم استوطنت قبائل الفرنك والسكسون هناك أثناء الهجرة الكبرى للقبائل الجرمانية التي بدأت في القرن الخامس الميلادي، وقامت قبائل الفرنك بضم البتافيين وإخضاع الفريسيين والسكسونيين في القرن الثامن بهدف ضم الأراضي الواطئة إلى إمبراطورية أوروبية موسعة تخضع لسيطرة الإمبراطور الفرنكي "شارلمان".

وبعد تفكك الإمبراطورية الفرنكية بوفاة "شارلمان" آلت معظم أراضي البلاد الواطئة إلى المملكة الفرنكية الشرقية، وأخذ الحكم الفرنكي يضعف تدريجياً بينما هاجم الـ"فايكنغ" المنطقة ونهبوها.

كما أدى ظهور عدد من الدول الإقطاعية وشبه المستقلة التي تدين بالولاء للإمبراطورية الرومانية إلى مزيد من التفكك في أوصال الإمبراطورية الفرنكية، وكان من أهم تلك الدول أسقفية "أوتريخت" و"دوقية برابانت وجاري" والأراضي الواقعة تحت سيطرة كونتات زيلندا وكونتات هولندا الذين يزدادون قوة.

وبدأ تعزيز إمبراطورية "شارلمان" مرة أخرى عندما سيطرت دوقية "بورغوندي" عام ١٣٤٨م وفي عهد "فيليب الشجاع" تم إعادة توحيد معظم الأقاليم المتفرقة عن طريق الزيجات وعمليات الشراء،

وعلى إثر زواج حفيدته وولية عهده "ميري البورغوندية" على ماكسيميليان الأول إمبراطور الإمبراطورية الرومانية عام ١٤٧٧م انتقلت الأملاك البورغوندية إلى آل هبزبورغ في النمسا ثم إلى السيطرة الأسبانية في النهاية.

جمهورية البلاد الواطئة المتحدة:

في عام ١٥٥٥- ١٥٥٦م ورث الملك فيليب الثاني ملك أسبانيا المعروف بميله الشديد لطائفة الرومان الكاثوليك من الإمبراطور شارل الخامس إمبراطور الإمبراطورية الرومانية وما تبقى من الإمبراطورية الأسبانية، وواجه منذ البداية معارضة شديدة ضد أسبانيا وضد الكتلة خاصة من طبقة النبلاء الهولنديين ومن البروتستانت في الأقاليم الشمالية.

وفي عام ١٥٦٨م تحولت الخلافات إلى ثورة أو تمرد عرف باسم "التمرد أو الثورة الهولندية" بقيادة الأمير ويليام الأول أمير مقاطعة أورانج ونتجت عن ذلك حرب الثمان سنوات ١٥٦٨- ١٦٤٨م وأثناء النزاع شكلت الأقاليم المتحدة وأعلنت استقلالها عن أسبانيا في عام ١٥٨١م ولم تعترف إسبانيا بذلك حتى وقت إبرام اتفاقية وستفاليا عام ١٦٤٨م بينما بقيت الأقاليم الكاثوليكية الجنوبية على ولائها لأسبانيا وتم تمييزها بلقب البلاد الواطئة الإسبانية ثم بـ"البلاد الواطئة النمساوية".

بعد حرب الخلافة الإسبانية توسعت التجارة وصناعة السفن توسعا كبيراً في القرن السابع عشر وأوجدت العصر الذهبي للبلاد الواطئة، ووجدت الأقاليم المستعمرة في كل من سيلان وجنوب إفريقيا وجاوا وسومطرة بواسطة شركة الهند الشرقية الهولندية، بينما أسهمت شركة

الهند الغربية الهولندية التي تم تأسيسها عام ١٦٢١م في إنشاء "البلاد الواطئة الجديدة" (هولندا الجديدة) واكتساب أقاليم في كل من البرازيل وكوراساو وسان مارتين.

ونتيجة للحروب الإنجليزية – الهولندية ١٦٥٢- ١٦٥٤م فقدت الأخيرة سيطرتها على البحار وهولندا الجديدة لصالح إنجلترا مقابل سورينام، وشهد عام ١٧٩٥م نهاية الجمهورية عندما أقام الفرنسيون جمهورية باتافيا ما بين ١٧٩٥- ١٨٠٦م وتبعتها مملكة هولندا ما بين ١٨٠٦- ١٨١٠م بقيادة لويس بونابرت وهو أخ لنابليون بونابرت، وتم ضم الأراضي إلى الإمبراطورية الفرنسية عام ١٩١٠م.

مملكة البلاد الواطئة:

عند تنازل الملكة جوليانا عن العرش عام ١٩٨٠م أصبحت ابنتها جوليانا هي الملكة، وكانت البلاد قد خضعت لحكومات ائتلافية أولا بقيادة أندرياس فان أجت ومن نوفمبر عام ١٩٨٢م بقيادة الديموقراطي المسيحي رود لوبيرس الذي تم انتخابه مرة ثانية عام ١٩٨٦م وثالثة عام ١٩٨٩م.

المسلمون العرب في المجتمع الهولندي:

تتحدد وضعية الإسلام والمسلمين في المجتمع الهولندي بالإطار القانوني والتشريعي الهولندي والسياسة العامة التي تسنها الدولة الهولندية تجاه المهاجرين بصفة عامة؛ كما تتحدد في مقام ثان بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية التي يوجد عليها المسلمون والعلاقات التي تربطهم بالمجتمع الهولندي؛ وقبل التطرق لهذا سنقدم أولا لمحة عن علاقة الدين بالدولة في المجتمع الهولندي.

الدين والدولة والمجتمع في هولندا:

يشكل الإسلام الديانة الثانية في المجتمع الهولندي بعد الديانة المسيحية، نظراً للعدد المتزايد للمسلمين في العقود الثلاثة المنصرمة، وتتميز هولندا منذ القدم (القرن ١٧ الميلادي) بالتسامح تجاه الأقليات الدينية، حيث استقبلت اليهود البرتغاليين والإسبانيين بعد سقوط الأندلس ثم البرتستانت المضطهدين خلال الحرب الدينية التي شهدتها أوروبا، كما التجأ إليها اليهود الألمان فيما بين الحربين العالميتين، وفي القرن العشرين استقبلت هولندا أفواجاً من اللاجئين من البلدان الشيوعية ومن العالم الثالث.

ورغم أن الفصل بين الدين والدولة في المجتمع الهولندي أمر يجري به العمل على مستوى مؤسسات الدولة وأجهزتها، فإن الفصل بين الدين والسياسة والمجتمع ليس قائماً في كل الأوساط الاجتماعية؛ ذلك أن هناك مؤسسات تربوية ومرافق اجتماعية وإعلامية وتنظيمات نقابية وأحزاب سياسية تنطلق من الدين وتستلهم منه أسس فكرها وممارستها.

الدولة الهولندية علمانية فإن حضور المعتقدات الدينية في عدد من المرافق من الحياة الاجتماعية مازال بيناً.

إن النظام القانوني الهولندي يسمح بحرية الاعتقاد، وينص الفصل الأول من الدستور الهولندي على مبدأ عدم التمييز العنصري على أساس المعتقدات أو الجنس أو العرق أو غيرها، ويمكن لكل المؤمنين من مختلف الديانات أن يقيموا شعائرهم بكل حرية.

لقد اعترفت الدولة الهولندية منذ سنة ١٩٨٣م أن استقرار المهاجرين في المجتمع الهولندي يكتسي طابعاً دائماً وسنت بناء على ذلك سياسة تستهدف اندماج الأقليات الثقافية في مختلف مجالات الحياة

الاجتماعية (الشغل، التعليم، المرافق الاجتماعية، الثقافية، الخ)، وقبلت بذلك التعدد الثقافي على المدى البعيد.

وتسعى الدولة الهولندية من خلال عدد من التدابير السياسية والإجراءات إلى حماية الأقليات من التمييز العنصري؛ وفي هذا الصدد أسست وزارة العدل الهولندية مكتباً وطنياً لمناهضة التمييز العنصري، وقد تم الشروع منذ بضع سنوات في غربلة القانون الهولندي من أجل حذف كل التحديات والعراقيل التي تحول دون المساواة بين الأجانب والأهالي.

وفي سنة ١٩٩٢م تم الاتفاق على البيان العام لمناهضة التمييز العنصري، الذي يعتبر بمثابة قواعد للسلوك للتنظيمات الحكومية وغير الحكومية من أجل محاربة الممارسات العنصرية.

وفيما يخص الوضعية القانونية للأجانب، ومنهم المسلمون فإن هولندا تحتل مكانة الصدارة بين البلدان الأوروبية في مجال تحويل الحقوق المدنية والاجتماعية للمهاجرين، ذلك أن المهاجرين يتمتعون بحق الانتخاب وحق تقلد الوظائف العمومية في أجهزة الدولة.

وتجدر الإشارة إلى أن هولندا في الوقت الحاضر هي البلد الوحيد في أوروبا الغربية، ولربما في العالم الغربي الذي يوجد فيه ثلاثة نواب مسلمين في الهيئة التشريعية، وهم ينتمون إلى مختلف التيارات السياسية.

أما بالنسبة لموقف الدولة الهولندية من الإسلام، فهو موقف إيجابي إذ أن أجهزة الدولة لم تتخذ قط موقفاً من القضايا التي تهم الإسلام والمسلمين كونها فئة مقصودة بعينها مثلما هو الحال في فرنسا وبريطانيا مثلاً، حيث قررت مؤسسات عمومية تابعة للدولتين- بريطانيا وفرنسا- منع البنات المسلمات المحجبات ومنع الكتب الإسلامية من دخول فرنسا،

ولم يحصل إلى حد الساعة أي حدث من شأنه أن يؤدي إلى المواجهة بين الدولة والإسلام والمسلمين، بل إن السلطات الهولندية المركزية والإقليمية والمحلية تسعى جاهدة إلى توفير المعاملة المماثلة للمسلمين والإسلام مثل الديانات الأخرى، لاسيما في القطاعات التي تحظى بالسند المالي للدولة مثل التعليم ووسائل الإعلام والعناية الروحية لفائدة المساجين والمرضى، وما يتعلق بالذبح الحلال.

فالتشريع الهولندي متقدم في عدد من الجوانب بالمقارنة مع البلدان المجاورة في ميدان الحقوق المدنية والاجتماعية وحتى الثقافية بتمويل من الدولة، فيوجد في هولندا ما يتراوح بين ٢٠ و٣٠ مدرسة إسلامية تمولها السلطات العمومية الهولندية، كما أن اللغة العربية تُدَرّس في المدارس الأساسية داخل أوقات الدراسة وخارجها، أما في الطور الثانوي فتُدرّسُ اللغة العربية كلغة أجنبية عصرية شأنها شأن اللغة الفرنسية أو الروسية أو الأسبانية يمكن أن يدرسها العرب وغير العرب.

كما أن القانون الهولندي يتيح للجاليات الدينية نفسها تنظيم التعليم الديني، لكن هذا يفترض أن تكون الجالية منظمة وتستطيع أن تتولى هذا التعليم من حيث البرنامج والتأطير؛ إلا أن ضعف الإمكانات المادية وضعف التنظيم يجعل المسلمين غير قادرين على الاستفادة من هذه الحقوق.

وبهذا المعنى يمكن القول إن الدولة الهولندية لا تصدر منها أفعال تكرس التمييز تجاه الإسلام، أي ما يسمى بالتعبير القانوني "التمييز العنصري المؤسساتي" ومع الأسف الشديد ما زال المسلمون ضعافاً من الناحية التنظيمية لكي يستفيدوا من الإمكانات التي يوفرها القانون الهولندي والحرية الدينية.

الواقع السكاني:

يشكل المسلمون العرب والترك أكبر الفئات المسلمة في المجتمع الهولندي، وإلى جانب هاتين الفئتين هناك أيضاً مسلمون منحدرون من المستعمرات الهولندية سابقاً مثل إندونيسيا وسورينام؛ وما فتيء عدد المسلمين من المهاجرين في هولندا يتزايد بوتيرة سريعة منذ منتصف الثمانينات، ويتجاوز عدد المسلمين اليوم نصف مليون مسلم، تتكون أغلبيتهم من العرب (المغاربة والتونسيين) والترك والسوريناميين –٥٥ ألف تقريباً). وهذا ما يبينه الجدول الآتي:

الجدول رقم (١): المسلمون في هولندا ١٩٧١– ١٩٩١م

السنة	عدد المسلمين	نسبته المئوية	عدد المغاربة والترك منهم
١٩٧١	٥٣,٩٧٥	./.٠,٤	–
١٩٨٤	٣٢٠,٠٠٠	./.٢,٢	–
١٩٨٥	٣٣٧,٩٠٠	./.٢,٣	٢٦٦,٠٠٠
١٩٨٦	٣٥٩,٠٠٠	./.٢,٥	٢٧٥,٠٠٠
١٩٩٠	٤٣٢,٧٠٠	./.٢,٩	٢٨٣,٠٠٠
١٩٩١	٤٧٥,٠٠٠	./.٣,١	٣٨١,٠٠٠
١٩٩٢	٥٠٤,٠٠٠	./.٣,٢	٤٠٣,٠٠٠

ونظراً لالتحاق عدد كبير من الزوجات والأبناء بأزواجهن أو بآبائهن في المهجر خلال السنوات العشر المنصرمة فقد تزايدت نسبة الأطفال والشباب، كما أن عدد الأطفال الذين يولدون في بلاد الهجرة أصبح يتزايد أيضاً، وتبلغ نسبة المواليد في أوساط المسلمين ١٧./. لدى المغاربة، ٢٢./. لدى التونسيين، و١٧./. لدى الترك.

وهكذا أصبحت الجالية المسلمة في هولندا تتكون أيضا من عدة أجيال وتتميز بفتوتها، ذلك أن سن ما يقرب من ٧٠./. منها (أي ١٣٨,٤٠٧) لا يتجاوز ٣٠ سنة.

الجدول (٢): الجيل الأول والجيل الثاني من المسلمين العرب في هولندا ١٩٩١م

	المجموع	الجيل الأول	الجيل الثاني
المغاربة	١٩٥,٥٣٦	./.٦٨	./.٢٩
التونسيون	٥٦٣١	./.٦١	./.١٥

وفيما يخص الجيل الثاني، فمن الملاحظ بصفة عامة أن٣٠./. (أي ٧٨,٣٧٧) من الجالية المسلمة العربية تتكون من أطفال وشباب لا تتجاوز سنهم ١٥ سنة؛ أما الشباب الذين تتراوح سنهم بين ١٥ و٢٩ سنة فيبلغ عددهم ٦٠,٠٣٠.

الجدول (٣): النسبة المئوية للأطفال من ٠سنة إلى ١٤ سنة

فئات العمر	٠-٤ سنوات	٥-٩سنوات	١٠-١٤ سنة
المغاربة	./.٤٣	./.٣٠	./.١٩
التونسيون	./.٣٦	./.٣٠	./.٢٠

الجدول رقم (٤): النسبة المئوية للأعمار من ١٥ سنة إلى ٢٩سنة

فئات العمر	١٥-١٩سنة	٢٠-٢٤ سنة	٢٥-٢٩سنة
المغاربة	./.١١	./.٨	./.٣
التونسيون	./.١١	./.٥	./.٢

ولقد كان من شأن هذه التغيرات السكانية، إن صحّ التعبير أن حصلت تحولات كيفية داخل الجالية المسلمة العربية والتركية، ذلك أن وجود نسبة كبيرة من الأطفال والشباب يطرح مشكلات التربية وتلقين القيم والمعايير الدينية للأجيال الصاعدة.

إن السؤال المطروح في هذا الصدد هو: كيف يمكن لهذه الأعداد الغفيرة من الأطفال والشباب المسلمين أن تحتفظ بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في مجتمع غير إسلامي يسود فيه الفصل بين الدين والدولة وتتعدد فيه الثقافات وفي تنوع في القيم الأخلاقية. وهذا ما ستتطرق إليه الفقرات التالية:

المشكلات الاجتماعية والاقتصادية:

لقد تم استقدام العمال المغاربة والتونسيين والترك إلى هولندا في منتصف الستينات، حينما كان الاقتصاد الهولندي مزدهراً، إلا أن أزمة البترول في سنة ١٩٧٣م، الناتجة عن حرب أكتوبر، وكذا عملية عقلنة الإنتاج التي شهدها الاقتصاد الهولندي منذ بداية السنوات الثمانين، والتي نتج عنها التخلي عن اليد العاملة البشرية واستعمال الآلات عوضها، قد أديا إلى تسريح أعداد كبيرة من العمال المهاجرين، وعلى رأسهم المغاربة والتونسيون والترك، ونتيجة لهذا ارتفعت البطالة في صفوف هؤلاء، وإلى يومنا هذا، فإن نسبة البطالة في أوساطهم مرتفعة جداً بالمقارنة مع الهولنديين.

ويوضح الجدول التالي نسبة البطالة:

الجدول رقم (٥): البطالة في أوساط المسلمين بهولندا، ١٩٩٢م

الفئة	المسلمون العرب (المغاربة)	المسلمون الترك	الهولنديون
نسبة البطالة	٣٦./.	٣١./.	٧./.

وتمس البطالة بوجه أخص الشباب المسلمين العرب والترك الذين يغادرون المدرسة دون الحصول على شهادة أو تأهيل مهني يمكنهم من الحصول على عمل،ومن جملة العوامل التي تكرس البطالة أيضا ممارسة أرباب العمل للتمييز العنصري، حيث أنهم يفضلون تشغيل الهولنديين فقط.

ويتمركز المهاجرون، وفيهم الجاليات المسلمة في المدن الكبرى الهولندية، حيث يسكنون في الأحياء القديمة التي هجرها السكان الأهالي، مما أصبح يطرح مشكلات معقدة على المهاجرين المسلمين أنفسهم، وأيضا على السكان الأصلاء، ذلك أن الوجود الكثيف في الأحياء الفقيرة، إلى جانب السكان الأصلاء الذين يعانون أنفسهم من البطالة يؤدي إلى توترات واصطدامات وإلى تزايد التمييز العنصري.

الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين:

إن العنصرية والتمييز العنصري تجاه المسلمين ظاهرتان توجدان في كل المجتمعات الغربية، ويمكن بصفة عامة أن نميز في هذا الصدد بين: أ- الأحكام المسبقة. ب- الصورة النمطية. ج- التمييز العنصري. د- العنصرية.

وتعتبر الصورة النمطية في حد ذاتها ظاهرة طبيعية وبشرية، كلما تعلق الأمر بمجموعة بشرية غريبة أو بعيدة لا يعرف المرء كثيراً عن

عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، ويمكن أن ندرج مختلف أشكال الصور السلبية السائدة عن الإسلام في المجتمعات الغربية ضمن هذه الأصناف الأربعة، فهناك أفكار سيئة عن الإسلام والمسلمين بدون خلفية عنصرية وهي ناتجة عن الجهل بحياة المسلمين والإسلام الحقيقي، فالهولنديون يتجاوبون مع وسائل الإعلام والمعلومات التي تفد لهم منها حول الإسلام والمسلمين بكيفية بسيطة وساذجة ويتخوفون من بعض المظاهر الخارجية للإسلام، وسبب ذلك أنه يصعب عليهم فهم إمكانية الجمع بين الإسلام والحياة العصرية، ويجهلون الكثير عن الإسلام والمسلمين كما أنهم يتخوفون مما يسمونه الأصولية العنيفة.

وإلى جانب هذا الصنف "البرئ" من الأحكام المسبقة والأفكار النمطية، هناك أيضا أفكار عنصرية تصدر من حامليها بوعي وشعور وبشكل مكشوف وصريح، وليس من الضروري أن ترتبط هذه التصورات العنصرية دائما بممارسات عنصرية، وتجد الأفكار العنصرية تجسيدها العملي لدى الأحزاب العنصرية وبعض وسائل الإعلام التي تتغذى منها.

ومما لا شك فيه أن العوامل الخارجية لها علاقة بتقلبات السياسة الدولية، والتغطية التي تقوم بها وسائل الإعلام للتطورات السياسية تلعب دورا كبيرا في تكريس صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين، فلقد أصبح الإسلام بالنسبة لوسائل الإعلام الغربية مصدر خوف وإرهاب وعنف، وهكذا أصبح ينظر إليه في الرأي العام وحتى في بعض الأوساط السياسية وكأنه خطر على الدولة الغربية ومصالحها وأهداف سياستها الخارجية.

وتستغل وسائل الإعلام مشاعر الخوف وعدم الشعور بالأمان لدى السكان الأهالي للترويج لأشكال جديدة من الأفكار النمطية حول الإسلام

والمسلمين؛ فإذا كان الفكر العنصري تجاه الإسلام يستمد أصوله من الدراسات التاريخية المشوهة لتاريخ الإسلام والمسلمين والتي تنتجها الأوساط الأكاديمية في الغرب، فإن الصور النمطية الجديدة مجرد صور ومشاهد يومية تُنقل إلى مشاهدي الأفلام (في التلفزة والفيديو والسينما)، وهكذا يتم إضفاء طابع تكنولوجي على تصورات خاطئة تشوه صورة الإسلام والمسلمين، وبذلك يكون الفكر العنصري تجاه المسلمين قد شهد طفرة نوعية جعلته يصبح أكثر جماهيرية وانتشاراً من ذي قبل، وبالتالي أكثر خطورة على الإسلام وأكثر فتكاً بالمسلمين.

وتحتل أفعال بعض المسلمين العرب سبباً متميزاً في حملة التشويه التي تشنها وسائل الإعلام يومياً، حيث يتم الربط بين الإسلام وبعض الأحداث في البلدان العربية كالحكم بالإعدام على مهربي المخدرات الترك بالمملكة العربية السعودية أو جريمة الخادمة الفليبينية في الإمارات العربية المتحدة، أو بعض الأحداث المتعلقة بالأقلية المسيحية في البلدان العربية،مثل الأقباط في مصر.

وليس من الغريب أن يصرح أعداء الإسلام بأن إخضاع الإسلام والمسلمين لن يتم بتقزيم الإسلام وتشويهه: "إن العلاقة بين العرب والإسلام علاقة متميزة، ذلك أن العرب هم نخبة الأمم في المجتمعات الإسلامية.

فالعرب هم أصل الإسلام والإسلام بينهم هو الأصفى ولا تشوبه مؤثرات أخرى، والنتيجة هي أن بعض الأصوات ترتفع بين الفينة والأخرى لتطالب بالتصفية النهائية للإسلام لأنه مصدر تهديد مثلما يطالب بعض المتطرفين من المسلمين بالقضاء على الغرب وهناك من يرى من الغربيين أن تقويض الحضارة الإسلامية "شرط جوهري لإقرار العدالة".

وفي هذا الصدد أصبحت هولندا أيضاً تشهد منذ بداية التسعينات ظهور أشكال من العنصرية لم يسبق لها نظير، وأصبح تقليد التسامح الذي عرفت به هولندا يتآكل، فلقد تزايد عدد الشكاوى ضد العنصرية من طرف المهاجرين، كما أن عدد الدعاوى المتعلقة بالتمييز العنصري، والتي بت فيها القضاء الهولندي، ارتفع من ٦٠ في سنة ١٩٩١م إلى ٩٩ في سنة ١٩٩٢م.

وبموازاة هذا تزايد عدد الاعتداءات العنصرية على المهاجرين منذ سنة ١٩٩١م بوتيرة سريعة، ولاسيما العرب والترك، وقد ارتبط تزايد هذا العنف ببروز الأحزاب السياسية العنصرية وكونها قوة انتخابية، وقد تركزت هذه الاعتداءات العنصرية على المساجد (رمي القنابل والمتفجرات) واكتست أيضاً طابع هجوم على ممتلكات المسلمين وتهديدات موجهة لأشخاصهم.

ولقد أصبح التمييز العنصري في البلدان الغربية بمختلف الأشكال التي يتخذها قضية سياسية خطيرة في البلدان الغربية التي يوجد فيها المهاجرون، وليست العنصرية خطراً يجثم على المهاجرين وحدهم فحسب، بل إنها تهدد المؤسسات الديمقراطية والنظام الاجتماعي برمته في المجتمعات الغربية.

الصعوبات الناتجة عن فشل الشباب في التعليم:

نتيجة للصعوبات الناتجة عن الفشل الدراسي للشباب وعدم توفر إمكانات الشغل بالنسبة لهم بدأت تظهر في العقد الأخير ملامح تمرد الشباب المهاجر على المجتمع الهولندي ورفضه، ويتجلى هذا في القلاقل والإصطدامات مع الشرطة وكذا في النسبة العالية للانحراف والجريمة في أوساطهم.

ويواجه الشباب المهاجر صعوبات في الاندماج في المجتمع الهولندي، ولاسيما في مجال العمل والتعليم، وتنهج البلدان الغربية سياسات تسعى إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين الذين يعانون في الغالب من البطالة وتراكم المشكلات.

المساجد في هولندا:

يتزايد عدد المساجد في هولندا بصفة مطردة لم يكن يتخيلها أحد من قبل لا من المسلمين ولا من غيرهم، حتى أناف عددها على ثلاثمائة مسجد، وكنت عزمت على أن أثبت قائمة كاملة بها، غير أنني رأيت أن ذلك يطول، فرأيت – بدلاً من ذلك– أن أثبت هنا قائمة بالمساجد في هولندا التي قدمت لها الرابطة مساعدات أو التي تلقت منها طلبات بالمساعدة ولا تزال تنظر في ذلك حتى يكون ذلك مبنياً على ما في سجلات رابطة العالم.

م	اسم الجهة والمشروع	صاحب الطلب	ملاحظات
١	مسجد طيبة أهل السنة الجالية الإسلامية في امستردام زيد– أونيدرليد	رئيس المسجد	١٠,٠٠٠ دولار أمريكي في ١٤٠٥/٩/١٣هـ
٢	مسجد الهدى اللينوي بغيانين– أستريا– زيد بي ٤١٣١ .	عمرو اشهود	١٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٨هـ
٣	المسجد الأقصى بلاهي 01 Wagen strat 512 As Denhagg Holland	أمين أتسن	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٨/١١هـ
٤	جمعية مسجد الفتح في مدينة الفين إن دربن 01 Wagnstrat As Denhagg, Holland	واكرادا محمد عمر كاتب	٢٠,٠٠٠ جيلدرما ما يعادل ٥٠ ألف ريال عام ١٤٠٥هـ

٥	مسجد الأمة (آيا صوفيا سابقا) Emma St. 71 Vlaardingen	محمود بن إبراهيم	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/٥/٢٧هـ
٦	مسجد بيت الرحمن قرية ريد ركيرك Koolemees 265- 2986	عبدالحميد سامانيري	٥,٠٠٠ جيلدر في ١٤٠٥/٤/٢٤هـ
٧	مسجد الجمعية الإسلامية في روتردام- هولندا	محمود جوبال	قيد الإجراء
٨	مؤسسة المسجد الكبير بأمستردام B- 4424 Amsterdam (Holland)	الشروطي محمد الصديق	١٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/٨/٢٩هـ
٩	المركز الثقافي التركي بمدينة برغن 4611 HP Bergan OP Zoom	يوسف سيوري	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٦/١٠/٧هـ
١٠	الجمعية الإسلامية مسجد السلام في روموندو Ummom 1009- AP. Amsterdam- Holland	البخاري عبدالقادر	١٠٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٨/٥/١٢هـ
١١	مسجد الرحمة جمعية مسلمي الترانيوش 5200 BN Denbosh- Holland	برنيش محمد	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٨/٥/١٢هـ
١٢	مسجد السلطان أحمد بمدينة دلفت Koornmarkt 4AD- 2611 EH Delf- Holland	أحمد فياض	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٦/١/٢هـ
١٣	مسجد دار السلام في لاهي 2562 ED Den Haag Holland	بشير الدين قريشي	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٧/٤/٢٦هـ
١٤	مسجد سيدنا إبراهيم الجمعية الإسلامية كنالن ايلاند اترخت- هولندا	زعناني الحسين	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٧/٤/٢٦هـ

١٥	المؤسسة الصـــومالية بمدينـــة آســـن ٩٤٠٠	شريف جعفر	صرف النظر بأمر السفارة
١٦	جمعية نور الإسلام في لاهاي شارع سنجير رقم١٨٨	عبدالرحيم مرادين	صرف النظر بأمر السفارة
١٧	جمعية الحضارة الإسلامية المغربيـــة مسجد الرحمن في بوسكوب	أزوتي ميمون	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٧/١٠/١٠هـ
١٨	رابطـــة العمـــل الإســـلامي بمدينـــة أمرسفورت- مسجد التوحيد- ستريت ٤	محمد اليحياوي	٤٠,٠٠٠ ريال في عام ١٤١٢هـ
١٩	منظمة الرابطة الإسلامية المغربيـــة بمدينة أوتريخت- مسجد الفتح	أحمد البجوني	٦٥,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٤هـ
٢٠	مسجد المركز الإسلامي بمدينة اسفورد Ermuurd Eeerd 227 Utrecht, Holland	توفيق تاشبنز	١٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٩/١٠هـ
٢١	مسجد الجمعية الإسلامية انشخدى Dr. Bentnemstraat 29 Enshede	محمد زيان	١٠٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٩/١٠هـ
٢٢	لجنة مؤسسة مسجد النور في روموند Roermond Burg	فوامي الطاهر	٧٠٤٧٧,٧٨ جيلدر
٢٣	المركز الإسلامي في أمستردام مسجد الفاتح Rozengracht 148 Amsterdam 1016 CB- Holland	إبراهيم كومز	٢٠٠,٠٠٠ ريال عام ١٩٨٣م
٢٤	مسجد الجمعية الثقافية الإسلامية بمدينة زتهن 7201 CZ Zutrhen- Holland	فضل كويهي	٢٠,٠٠٠ ريال عام ١٤١٠هـ
٢٥	مسجد السلام بمدينة تفرودن هـــازي لازستريت ٣٩ 3442 EM Woerden- Holland	صادق شريف	٣٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٤/٤/٢٧هـ

٢٦	مسجد الفتح ببرخن ابازوم Zoom Begen op- Holland	أوبالي محمد	قيد الإجراء
٢٧	مسجد الرابطة الإسلامية في امستردام	لكبير محمد	قيد الإجراء
٢٨	مسجد الجمعية الإسلامية 4572 CA Oldenzaal The Netheriland	خليل ابراهيم بد	قيد الإجراء
٢٩	مسجد مؤسسة بوسم- ١٤٠٠ في امستردام	مدير المؤسسة	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٧/١هـ
٣٠	مسجد النصر بروتردام 3022 HM Rotterdam	-	٢٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٦/٢هـ
٣١	مسجد مولانا الجمعية الإسلامية بروتردام	نافز سنغور	١٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٦/٣هـ
٣٢	مسجد أمير الدين الهولندي	-	-
٣٣	مسجد المركز الإسلامي الثقافي في تيلبرج 5041 MB- Tilburg	رفيق أحمد قريشي	٧٥ ريال سنويا
٣٤	مسجد دار الهجرة لمؤسسة الجالية الصومالية 3072 CK Roterdan- Hollandam- Holland	الشيخ عبدالناصر علي الحاج	٢٣٠,٠٠٠ ريال
٣٥	مسجد الأمة التابع لجمعية نداء الإسلام وين هيلدر- شمال هولندا	عمر كوماسي	صرف النصر بأمر من السفارة
٣٦	مسجد السنة زان ستار 19- 541 LZ Koog AD Zaan- Holland	-	٤٠,٠٠٠ ريال عام ١٤١١هـ
٣٧	مسجد الجمعية الإسلامية أبي بكر الصديق-ميدنة الميراستان	محمد زبوج سلام	التحضيرية
٣٨	مسجد الرحمن هوف دروب E- A21- 31	محمد الوالي	٤٠,٠٠٠ ريال

٣٩	مسجد المحسنين Heerlen, Holland	-	قيد الإجراء
٤٠	مسجد كولتيه روتردام Erosmustrat- 134 Rotterdam-Holland	-	٢٥,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٨هـ
٤١	مسجد الموحدين De- Blinkert Strea 2, 5701 ND Holland Halmood	-	٢٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٨هـ
٤٢	الجمعية الإسلامية (مسجد) Vianan- Holland	-	١٠,٠٠٠ ريال
٤٣	مسجد الجالية العربية الإسلامية بمدينة زيفير	محمد السباعي	قيد الإجراء
٤٤	مؤسسة مسجد الرحمن بمدينة المرستاد Al Merastad Stad	لوكيلي محمد	قيد الإجراء
٤٥	مسجد الرحمن بمدينة امستردام Van Ostadestr 393 1074 VZ Amsterdam	محمد أبوعلا	صرف النظر بأمر من السفارة
٤٦	مسجد السلطان أحمد مدينة زانستاد شمال هولندا	أحمد السيد	
٤٧	المركز الإسلامي الاجتماعي مسجد الأمير سلطان- سلدر هلت ١٦٧ امستردام	ابراهيم الهان	رأت السفارة مساعدتهم بالكتب
٤٨	جمعية نداء الإسلامي Moslim W. Associatıon Den Helder I-A 1784 Amentraat	رئيس الجمعية	قيد الإجراء
٤٩	الجمعية الإسلامية المغربية Marokaanse Islam Vereniging	-	٢٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٧هـ

٥٠	مؤسسة أبي بكر الصديق Nijmegan (Holland)	مدير المؤسسة	٧٥,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٦هـ
٥١	مسجد معمارسنان- المركز الإسلامي التركي Turk Islam Hooigracht 30- A 2312 KT Leiden- Holland	الجالية الإسلامية	٢٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٦هـ
٥٢	مؤسسة مسجد الموحدين De Blinkertsestraat 2 5701 ND Helmond	-	٢٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٠٧هـ
٥٣	مؤسسة مسجد الهجرة Oliyf Tak Artaur Van Amesterdam- Holland	مصطفى عبدالسلام إمام المسجد	٥٠,٠٠٠ ريال
٥٤	مسجد المؤسسة الإسلامية الإفريقية EB DEN Haag, Netherland	إدريس عبدالحميد	قيد الإجراء
٥٥	رابطة المركز الإسلامي الدولي Bogoni Astraat 1, 6708 ET Wegeningen, Holland	محمد نظام علي	
٥٧	مسجد التوحيد Van Beu Ningen Streat 137- Holland	أحمد يوسف عبدالرحمن	
٥٨	مسجد الجمعية الإسلامية في امستردام في مدينة نيميخين	-	-
٥٩	مسجد المركز الإسلامي في مدينة هلموند	محمد أحمد الغربي	-
٦٠	المؤسسة العربية للتعليم- هولندا أوشريخت 4 3505 AB Utrecht	رئيس المؤسسة	-
٦١	رئيس الجمعية الإسلامية في روتردام 3527 BB/ Rotterdam- Holland	رحمت تاريجان	قيد الإجراء

٦٢	مسجد السليمانية	طلب تعيين داعية	حصل على المساعدة من إدارة التعليم
٦٣	مسجد الأنصار - دلفت Koornmark 48F 2611 EH Delfet, Holland	محمد المعناوي	لدى اللجنة التحضيرية
٦٤	محمد الحق في هولندا 8250 Aedronten- Holland	محمد الكاركاري	٥٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٢٠هـ
٦٥	مسجد الجمعية الإسلامية مسجد ومدرسة النوبة Randdijk-21 3400CA- Ijssselstein- Holland	يحيى بوياق	٣٧,٥٠٠ ريال عام ١٤٢٠هـ
٦٦	طلب مساعدة المسجد- دلفت	الطلبة المقيمين في هولندا	لدى اللجنة التحضيرية
٦٧	مسجد جمعية أبي بكر الصديق Clemencean Strt- I 1314 RI Al Mere- Holland	خليفة محمد إمام المسجد	٥٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٢٠هـ
٦٨	مسجد الفتح- ألغن- إنديرين- هولندا	محمد أبارني	لدى اللجنة التحضيرية
٦٩	مسجد المركز الإسلامي الثقافي هارلم Rek- Nr. 560 194641 Postbus- 4108 2003 EC Haarlem Holland	القائمين على المشروع	١٠٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٢١هـ
٧٠	مسجد المركز الثقافي الإسلامي GR. V. Prinsterer Iaam 4902 KD Assen	بوعبيس	٧٥,٠٠٠ ريال عام ١٤٢١هـ
٧١	مسجد جمعية نداء الإسلام في نيدرلينـد- هولندا	-	قيد الإجراء

المشاهدات

سألت الأخ الاهدل عن الحدود الهولندية لأننا قاربنا الوصـــول إليهـــا فقال: إذا انتهت هذه المصابيح الضخمة المقامة في هذا الطريق الدولي فقـــد وصلنا إلى هولندا لأن بلجيكا هي التي تضئ مثل هذه المصابيح أرضها.

وانتهت رؤية المصابيح الكبيرة وانتهت معها الحـــدود البلجيكيـــة، ودخلنا إلى الأراضي الهولندية بدون أية علامة غير ذلك، إلا ما يشـــبه النصب أو اللوح وهو كالشاهد الكبير قد أقيم على جانبي الطريق، وليس عنده أحد، ولا مكاتب يراها المرء ولا يوقف سيارته أحد، ولا يسأله عن مقدمه أو عن وجهته، بل لا يسأله عن شخصيته أو جنسيته، حتـــى ولا لافتات ترحيب بالقادمين كالتي تكتب في العادة على حـــدود البلـــدان، أو حتى على حدود الولايات في بعض الدول وإن كان القادم إليها لا يـــزال في الدولة نفسها.

فمثلاً لم أر لافتة كتب عليها (مرحباً بكم في هولندا) أو أي شـــيء يدل على أننا في هولندا غير ما ذكرته.

ولا شك في أن ذلك لم يغب عن أذهان الهولنديين، والبلجيكيـــين، ولكنهم أرادوا من ذلك ألا يشعر القادم بأنه قدم إلى بلاد غريبة.

وذكرت بأسف بالغ حادثة وقعت لي أنا وصديقي الشيخ عبدالعزيز بـــن محمد القويفلي وكنت آنذاك أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة الإســـلامية فـــي المدينة المنورة وهو يتولى عمادة كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة.

وهو أننا كنا في بيروت وذهبنا بالسيارة إلى دمشق، كما كنا نصنع في السابق ودون أن نحصل على سمات دخول إلى سوريا، لأن سوريا لم تكن تطلب سمة دخول من أي عربي.

وعندما وصنا الحدود البرية التي تفصل بين سوريا ولبنان، وهي مكان يسمى المصنع، امتنع ضباط الجوازات السوريون أن يختموا جوازاتنا بالدخول إلى سوريا وردونا من حيث جئنا إلى لبنان، ثم ركبنا بالطائرة إلى دمشق ولم يعيدونا هذه المرة لأنهم يقولون: إن الذين يصلون بالطائرة من العرب لا يطالبون بسمة دخول.

والذي لفت أنظارنا آنذاك شيئان أولهما: لافتة في مكتب الحدود تقول: البعث حزب على الحدود، و الثاني: أنه لا توجد في لبنان سفارة سورية يمكن أن نحصل منها على سمة الدخول.

ولا أدري سبب ما حصل ولكنه استمر فترة ثم عادوا إلى ما كانوا عليه من قبل و هو عدم مطالبة أمثالنا نحن السعوديين بالحصول على سمة دخول لسوريا.

وقد ألغي هذا النظام بعد مدة يسيرة وعادت الأمور إلى ما كانت عليه في سوريا من قبل من عدم مطالبة العرب بسمة دخول إلى سوريا.

هذا ولم تكن المصابيح الكهربائية الشاهقة الارتفاع هي التي انتهت وحدها عندما انتهت الأراضي البلجيكية، ودخلنا في هولندا، بل إن الطريق نفسه قد أصبح أقل جودة، وليس معنى ذلك أن الطريق في هولندا غير جيد، حاشاه من ذلك، وإنما هو في بلجيكا أكثر جودة بل هو فاخر.

ومن الأشياء اللافتة للنظر هنا في طريق بلجيكا وهولندا أنه ليس على من يسلك هذه الطرق السريعة الفاخرة أن يدفع رسوماً عند المرور بسيارته فيها كما تفعل أكثر البلدان في الولايات المتحدة وغيرها، وإنما المرور عليها كله بالمجان.

وصلنا مدينة (بريدة) بسرعة بعد الدخول إلى هولندا فهي تبعد داخل الحدود نحو خمسة كيلومترات أو ستة.

ورأيت فيها قطاراً يسير بالكهرباء لا تصدر عنه أية أبخرة أو أدخنة تلوث الجو، فذكرت قطارات الصين الشعبية التي لا تزال تسير بالفحم، وتخلف وراءها سحباً من الدخان الكثيف الكريه، فضلاً عما يسببه نقل الفحم وإعداده للقطار ثم إلقاؤه في مرجل القطار من توسيخ وتلويث.

وأذكر أنني كنت مرة أثناء زيارتي الأولى للصين الشعبية على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي مسافراً مع الوفد والمرافقين من مدينة (لانجو) عاصمة مقاطعة (كانسو) في الشمال الغربي من الصين إلى مدينة (نن شوان) عاصمة مقاطعة (نن تشا) بالقطار وهو يسير بالبخار، فتوقف القطار في محطة لتموينه بالفحم فرأيت أكوام الفحم الحجري تلوث الأرض برمادها وسوادها، ورأيت وقّادة وهي المرأة التي توقد القطار بمعنى تضع الفحم في مراجله، وقد جللها غبار الفحم قبل احتراقه، وهي في حالة مزرية تستدعي الرثاء والإشفاق.

وقد ذكرت ذلك في كتاب: «داخل أسوار الصين» الذي كتبته عن تلك الزيارة.

مدينة (دور درخ):

تركنا مدينة (بريدة) دون أن ندخلها وأمعن الأخ الأهدل بسيارته في الريف الهولندي الذي ظهرت فيه الأبقار الهولندية الضخمة الشهيرة، وصارت أقرب المدن إلينا مدينة (دور درخ) وتبعد عن (بريدة) نحو ٣٠ كيلومتر، ولن ندخل هذه المدينة مثلما أننا لم ندخل إلى مدينة بريدة، وذلك

لكون برنامجنا حافلاً بزيارة غيرها، وإنما سنتوقف في مدينة بعدها اسمها (ريدر كريك).

ومر الطريق فوق جسر على لسان من البحر، فلم أعجب لذلك لأننا في البلاد الواطئة: هولندا، وإنما الذي عجبت له أن تكون الأعشاب والأشجار الوحشية وهي التي لم تزرع أو تغرس، وإنما نبتت طفيلية قد جللت شاطئ هذا اللسان، والخليج الضيق من البحر وكأنما هي على شاطئ نهري عذب المياه، وليست على شاطئ بحر ملح.

فذكرت أن ذلك هو بسبب كثرة الأمطار التي تغسل أرض هذه الأعشاب من الأملاح وترويها في الوقت نفسه، كما أن التبخر في هذا الخليج وأمثاله أقل كثيراً مما هو عليه في بحار البلدان الحارة كبلادنا، لذلك تكون ملوحة ماء البحر هنا أقل مما هي عليه في بلادنا، وإن كانت مياها بحرية ملحة.

وأما المنازل في هذا الريف، فإنها غير كثيفة، بل غير كثيرة فيما رأيته منها من الطريق، وذلك خلاف ما كان في ذهني عن كثافة السكان في هولندا نظراً لضيق الأرض وكثرة السكان.

وأذكر أنني عندما كنت في الصين الوطنية (تايوان) في زيارة رسمية قبل أيام، وقد اشتملت الزيارة على جولة في سائر أنحاء جزيرة تايوان بعضها بالسيارة وبعضها بالطيارة وبعضها بالقطار، وعجبت من كثرة السكان في الجزيرة بحيث أن المرء لا يكاد يرى فيها مكاناً خالياً من القرى أو الريف المسكون من خلال ما يشاهده في الطريق، وقال لي أهل تلك الجزيرة: إن جزيرتهم فيها أعلى نسبة من الكثافة السكانية بعد هولندا.

ولا شك في أنه ليس من المؤكد أن يكون ما نراه الآن هو بالضبط مثل ما هو موجود في سائر أنحاء هولندا، وإنما نذكر هنا مـــا شـــاهدناه وننوه بما قد يكون خلافه إذا اقتضى الأمر.

وقبل الوصول إلى (دور درخ) سلكنا نفقاً تحت نهر اتســـع بعـــده الطريق كما هي العادة حيث تكون الطرق أوسع بالقرب من المدن مـــن أجل أن تستوعب السيارات التي تسير في المدينة إلى جانب الســـيارات الأخرى التي تسير مع الطريق الدولية.

بلدة ريدر كريك:

تبعد (ريدر كريك) عن دور درخ باثني عشر كيلومترا وهي التـــي سنزورها من أجل المسجد الذي فيها.

وهي أشبه بالقرية الكبيرة الحديثة عدلنا إليها من الطريـــق العـــام السريع إلى طرق أخرى كلها نظيف وجيد.

وسرنا مسافة قليلة فوقعنا فيها فكان أول ما رأيناه منها أبنية عالية متعددة الطوابق، وسط ريف أخضر منسق أكثر ما فيه ظهوراً وأعظمه عناية، الطرق والشوارع المنسقة حتى في الأماكن التي ليس عليها بيوت، واللافتات الكثيرة التي لا يضل من يقرأها، والإشارات الواضحة إلى ما يكون على الطريق من منشآت أو أبنية مقصودة هامة.

ولقد عجبت من وجود هذه الأبنية المتعددة الطوابق (العمارات) في هذه المنطقة الريفية فقلت ربما كان ذلك من أجل تـــوفير الأرض، مـــع الإشارة بأن البلدة لا تتألف كلها من هذه الأبنية، وإنما في أغلبها بيـــوت منفردة من طابق واحد.

بلاد الدراجات:

أول مكان في هولندا لاحظت فيه كثرة الدراجات والخطوط الخاصة بها التي وضعت لتسير فيها الدراجات دون غيرها من المركبات هو هذا المكان.

وأغرب ما رأيته أنهم وضعوا لهذه الدراجات إشارات مرورية خاصة بها لا تتفق في كل الأحيان مع إشارات المرور الموضوعة للسيارات، وذلك أن خطوط الدراجات تنحرف أحياناً إلى جهة لا يجوز أن تنحرف إليها السيارات وبالعكس.

ورأيت الناس هنا من راكبي الدراجات يحترمون إشارات المرور هذه فيقفون عندها مع أنه يكون بإمكانهم مخالفتها لو أرادوا، ولم يخشوا عقاب الحكومة لخفتها ولطف حجمها كما نرى بعض المتخلفين يفعلون بسياراتهم الصغيرة عند مخالفة إشارات المرور إلى الأرصفة، أو المرور من أركان في الطريق غير الرئيسية.

ولا عجب أن نجد للدراجات هذه المكانة من العناية في (هولندا) التي اشتهرت في أوروبا بأنها بلاد الدراجات.

ومن الملاحظ هنا أن راكبي الدراجات ليسوا من الشبان وحدهم كما هو الأغلب في معظم البلدان الأخرى، وإنما الناس هنا من سائر الأعمار يركبون الدراجات حتى الشيوخ الطاعنين في السن والعجائز المسنات، ولقد رأيت عجوزين هنا على دراجتين وقفتا بدراجتيهما عندما أغلقت إشارة المرور دونهما.

وتبعد بلدة (ريدركريك) عن مدينة (روتردام) الشهيرة بخمسة عشر كيلومترا فقط.

دخلنا مع شارع ذي اتجاه واحد بجانبه خط منفصل عنه بحاجز مخصص لركاب الدراجات، الذين رأيتهم كثيراً في البلدة وأكثرهم عليهم مظاهر الثراء والغنى من ملابس نظيفة جيدة، ووجوه تترقرق فيها دماء العافية، أو هذا هو ما يظهر من حالها.

وعندما أبديت إعجابي للأخ الأهدل بهذه الخضرة الشاملة، قال: إنها تذهب كلها في الشتاء ويحل محلها الثلج الشامل، حيث تنخفض درجة الحرارة بضع عشرة درجة مئوية تحت الصفر، وحينذاك يصبح السفر الذي يبدو فيها الآن ممتعاً سفراً محفوفاً بالمخاطر، لأن المسافر يخاف على سيارته من الانزلاق ويخشى على نفسه أن يموت من البرد فيما لو تعطلت وهو خارج المدينة أو في مكان ليس بقربه أحد.

في بيت الرحمن:

و(بيت الرحمن) هو اسم مسجد (ريدر كريك) رأينا المسجد من أول الشارع الذي يقع عليه بطلائه الأبيض النقي وقبته العريقة الإسلامية ومنارته الرشيقة التي ارتفعت هنا كما يرتفع اصبع التشهد بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وكم كان سروري بمرآه نظيفاً ناصع البياض، جميل الشكل في هذه البلاد الخضراء الجميلة المظهر كما رأيتها هذا اليوم.

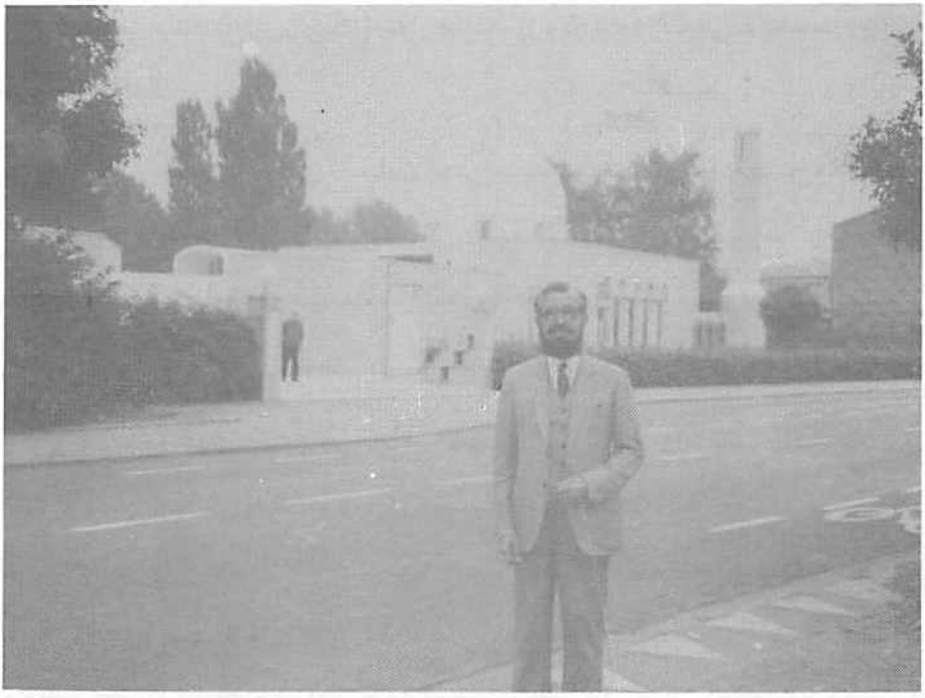

المركز الإسلامي بتلبوريخ مسجد الرحمن في هولندا والمؤلف في الرصيف المقابل له

وجدنا في انتظارنا عند باب المسجد إخوة لنا من العاملين فيه كان بلغهم خبر قدومي، ومنهم إمام المسجد الشيخ حمدي بن رفيع الدين وهو هولندي الجنسية، إندونيسي الأصل، والشيخ سفيان الثوري وهو داعية في هذه المنطقة مبتعث من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في بلادنا يقوم بالدعوة إلى الله، ويدرس في المدرسة الإسلامية الملحقة بالمسجد، وكلاهما من تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، والأخ أحمد رفيق قريس وهو هولندي الأصل والفرع مسلم جديد أسلم قبل ١٥ سنة، وتعلم العربية حتى صار يتكلمها الآن بطلاقة ومتزوج من مصرية مسلمة، ويعمل في بلدية مدينة (روتردام) القريبة من ريدر كريك ثلاثة أيام في الأسبوع، وبقية

الأيام لا عمل له فيها فيدور فيها على المساجد في هولندا للدعوة والإرشاد وتبصير الناس في دينهم، ويشرف متطوعاً على المركز الإسلامي للدعوة في جنوب هولندا، الذي أصبح تابعاً لرابطة العالم الإسلامي، ولكنه لم يستكمل ما يلزم له.

ووجدنا معهم أخاً سودانياً يدرس التنمية الإدارية في جامعة أمستردام في مرحلة الدكتوراه وهو محمد شيخ إيكا.

داخل مسجد الرحمن مع المسئولين عن المسجد

تجولنا معهم في المسجد والأماكن الملحقة به فألفيناه نظيفاً كل النظافة مبنياً على طراز فني جميل.

وقد كلف بناؤه حوالي مليوني قولدر هولندي أي ما يعادل نحو مليون دولار أمريكي، بنته الحكومة الهولندية بنفقتها وفاء لوعد كانت قد قطعته على نفسها- فيما قيل لنا- لعمال مسلمين كانت قد استقدمتهم من إندونيسيا للعمل في هولندا وقد مضى على ذلك (٣٥) سنة قبل أن يتم المسجد.

وأسماه المسلمون (بيت الرحمن) لأن هذا من الأسماء الشائعة عندهم للمساجد، ولأن قبته بنيت على هيئة قبة المسجد الأقصى في بيت المقدس.

وافتتح للصلاة في شهر أكتوبر عام ١٩٨٥م.

وفي داخل المسجد كانت لنا جلسة مختصرة مع هؤلاء الإخوة تناولت شئون المسلمين في المنطقة وما يتعلق بالدعوة إلى الله في هذه المنطقة منها.

وقد رأيتهم عملوا في نوافذ المسجد شيئاً غير مألوف إلا في البلدان الحارة وهو أنهم جعلوا النوافذ في حائطي المسجد من الزجاج مستطيلة كاستطالة أنصاف الباب من أسفل إلى أعلى أعلاها على هيئة أقواس عربية.

وهذا يجعل التدفئة فيه مكلفة لشدة البرد في هذه البلاد، إلا أنه يعطيه طابعاً إسلامياً إضافياً.

وقد زين داخل المسجد وملحقاته بلوحات وملصقات عربية إسلامية، ويتبعه عدة مرافق منها قاعة اجتماع للنساء، ومكتبة.

وتبلغ مساحة الأرض التي تتبع المسجد وبني مع مرافقه على جزء

منها ألفاً وخمسمائة متر مربع بقي ما لم يبن منها بمثابة حديقة وافنية مكشوفة تحيط بالمسجد.

خارج مسجد الرحمن وفي الصورة صبية من الهولنديين

وعندما أردت التقاط صورة في شارع المسجد قبل مغادرته كان صبية- جمع صبي- من الهولنديين الشقر يلعبون فالتفوا عليّ ببراءة يريدون الظهور في الصورة.

من ريدر كريك إلى روتردام:

ومن الذين لا يعرف من مثقفي قومنا مدينة روتردام أو يسمع بها ومن الذين لم يسمع بمدينة امستردام إلى جانب مدينة روتردام فيتساءل عن معنى الاسمين لأنهما يشتركان في وجود كلمة (دام) في اخرهما؟

والجواب أن كلمة (دام) تعني السد على النهر، وهي المستعملة في الإنكليزية لهذا المعنى و(امستر) تحريف لكلمة (امستل) هي اسم النهر.

غادرنا بلدة (ريدر كريك) في الرابعة والنصف فوصلنا (روتردام) بسرعة لأن المسافة بينهما تبلغ (١٥) كيلومتراً كما تقدم.

وكان أول المعالم في مدينة (روتردام) عند وصولها هو أن مررنا فوق جسر من الحديد الصلب الذي أقل بصلب أقيم فوقه على هيئة أقواس واسعة على الطريقة القديمة لأن هذا الجسر قديم وهو مقام فوق خليج روتردام الشهير الذي تمر منه البواخر الثقيلة في طريقها لميناء روتردام الذائع الصيت مع ضيقه الشديد ولكنه عميق المياه.

وتمر البواخر الصغيرة والمتوسطة تحت هذا الجسر دون الحاجة إلى فتحه، أما البواخر العالية فإن جزءاً من الجسر يفتح لها وعندئذ يتوقف مرور السيارات، ثم يعاد إلى حالته فتمر فوقه السيارات وقد رأيت مرور السيارات فوقه هذا النهار كثيفاً جداً.

وقد زاد زحام السيارات على الخط السريع الذي سلكناه بعد هذا الجسر، وذلك أن هذا الوقت هو وقت انصراف الموظفين من أعمالهم إضافة إلى السيارات الكثيرة التي تحفل بها هذه المدينة العالمية في الأوقات المعتادة.

هذا والجو معتدل بالنسبة إلى أوروبا فقد رأيت الآن ميزاناً كبيراً للحرارة في الشارع سجل درجة الحرارة ثلاث عشرة درجة مئوية.

ثم مدينة روتردام:

دخلنا مدينة روتردام نفسها مع شوارع قد حفلت بالجسور حتى رأيت الجسور في بعضها ثلاث طبقات بعضها فوق بعض، وكلها غاصة بالسيارات، ورأيت الدراجات التي اشتهرت بها هولندا تشارك السيارات في عبور هذه الجسور فتصورت لو أن كل راكب دراجة انتقل بسيارة خاصة به كيف تكون حالة الازدحام هذه في الشوارع؟

ويلاحظ المرء الذي يدخل المدينة لأول مرة أن هواءها ملوث بدخان السيارات والعربات الأخرى لاسيما أن السيارات بينها عدد من الشاحنات التي تنقل البضائع والسلع من هولندا وإليها.

وقد لفت نظري في بيوت هذه المدينة الكبيرة المؤلفة من عدة شقق أن أكثرها خالٍ من الشرفات (البلكونات) وإنما نوافذها في جدرانها كنوافذ البيوت القديمة فلا أدري أذلك لأمر أمرت به حكومة هذه البلاد أم هو لشيء اختاره الناس لأنفسهم، بالنظر إلى برودة الجو في أغلب فصول السنة بحيث لا ينتفع بالجلوس المعتاد في شرفات المنازل، والظاهر أن هذا هو الصحيح، إذ رأيت بعض الشرفات في أبنية قليلة.

كما لاحظت ضخامة الأشجار في الشوارع مما يدل على قدم غرسها، وذلك أمر طبيعي لأن هذه البلاد الأوروبية قد انتبهت إلى غرس الأشجار في شوارع المدن وتنسيقها والعناية بها قبلنا نحن الشرقيين بأزمان طويلة.

غير أن حالة الأرصفة في هذه المدينة لم تعجبني، فبعضها يقل مستواها حتى عن مستوى الأرصفة في مدننا التي صارت تنافس المدن العالمية في هذا الميدان- ولله الحمد-.

مسجد النصر:

قصدنا رأسا (مسجد النصر) في المنطقة الغربية من قلب المدينة الذي كان يسمى المنطقة الغربية الجديدة وبالهولندية (نيو فا شتن) ولكنه لم يعد الآن جديداً ويقع المسجد على شارع سيدام من هذه المنقطة.

مسجد النصر في روتردام

وكان كنيسة اشتراها الإخوة المسلمون في عام ١٩٨٢م وحولوها إلى مسجد، فنزعوا الصلبان ورفعوا مكانها شعار أهل الإيمان وهو الهلال فوقه النجمة، والشهادتان الموحدتان: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكان بناؤه كنيسة في عام ١٩٣١م، وسبب بيعه للمسلمين أن أهله يقولون: إنهم لم يجدوا الآن أحداً يصلي في هذه الكنيسة، فكأن القاصدين إلى هذه الكنيسة في انحسار في الوقت الذي كان فيه المصلون في ازدهار، والإسلام في هذه البلاد في انتشار- ولله الحمد-.

كان في االإستقبال عدد من الإخوة المسلمين على رأسهم الأخ الكريم (علي تاشي) رئيس جمعية المسجد، والأخ عبدالوهاب شاري إمام المسجد، وكلاهما من المغرب.

وقد عقدنا معهم جلسة مفيدة في المسجد قدم فيها هؤلاء الإخوة المغاربة الكرام الشاي المغربي المعطر بالنعناع ومعه أنواع من الحلوى والبسكويت على عادة الإخوة أهل المغرب في كرم الضيافة والسخاء بالمال للضيوف.

وإنني أقول منذ عهد طويل على ضوء تجربتي وخبرتي بالبلاد التي اكتسبتها من رحلاتي في سائر أنحاء الأرض: إن أهل المغرب هم أكرم أهل الأرض، فهم أكثر العرب المعاصرين كرماً على الإطلاق، والعرب فيما عرفناه من أمرهم وليس من أجل التعصب لكوننا منهم هم أكرم أهل الأرض في تقديم المال للضيوف.

وقد حدثونا بأمور سارة من أمور المسلمين في هذه البلاد بعامة وعن أمر أهل هذا المسجد بخاصة.

من ذلك أنهم ذكروا أن المصلين يوم الجمعة يبلغ عددهم (١٥٠٠) مصلٍ وفي الأوقات المعتادة في غير صلاة الجمعة يؤدي الصلاة في المسجد عدد في حدود (٢٥٠) مصلياً.

وذكروا أنهم أقاموا مدرسة إسلامية في قاعة أسفل هذا المسجد يدرس فيها الآن خمسمائة من أولاد المسلمين.

المؤلف داخل مسجد النصر في روتردام

وذكروا أن النفقات الضرورية المتكررة للمسجد كالنور والماء والتدفئة هي من تبرعات المسلمين في هذه البلاد.

وقد ذكروا لي بالتقدير المبلغ الذي وصلهم من المملكة العربية السعودية، وساعدهم على شراء هذه الكنيسة وتحويلها إلى مسجد وأنه مبلغ جيد.

المساجد في روتردام:

زرنا هذا المسجد فقط في مدينة (روتردام) على اعتبار أنه مثل على المساجد الموجودة فيها لأن الوقت لم يسعفني بزيارتها كلها، وإلا فإن هناك في روتردام ثمانية وعشرين مسجداً ومركزاً إسلامياً، بمعنى أن يكون بيتاً اتخذه المسلمون للصلاة فيه والاجتماع على أمور دينهم.

وبعض هذه المراكز اتخذها المسلمون مساجد بنية أن تكون مؤقتة بمعنى أنهم يطمحون إلى أن يستطيعوا بناء مسجد مستقل له هيئة المسجد أو أن يجدوا مكاناً مناسباً في قاعاته ككنيسة يشترونها ويحولونها إلى مسجد.

ومسجد النور الذي نزوره الآن يعتبر من مساجد المغاربة بمعنى أن الذين قاموا على جمع التبرعات لشرائه ثم قاموا على العناية به، وتسيير شؤونه هم من إخواننا المغاربة، وإلا فإن المسلمين من سائر الطوائف يؤدون الصلاة فيه إذا أرادوا، كما هو واقع بالفعل.

ويقال القول نفسه بالنسبة للمساجد التي يقال إنها للأتراك أو للإندونيسيين، إلا أن هذه قد تكون الموعظة والدروس الدينية فيها باللغة التركية أو الإندونيسية، مما يصعب على المسلم العربي فهمه.

وعلى هذا الاعتبار فإن أكبر عدد من المساجد في (روتردام) هو لإخواننا الأتراك، إذ يبلغ عددها خمسة عشر مسجداً يليهم المغاربة وعدد مساجدهم سبعة.

ثم الباكستانيون ولهم ثلاثة مساجد، فالهنود ولهم مسجدان ثم الإندونيسيون ولهم مسجد واحد.

فالإندونيسيون أقل عدداً في المساجد من غيرهم في هولندا، مع أن القياس يقتضي أن يكونوا أكثر من غيرهم لأن هولندا كانت تستعمر إندونيسيا، وكان الإندونيسيون آنذاك يعتبرون من الرعايا الهولنديين، تجوز لهم الهجرة إلى هولندا والإقامة فيها، ولكن يظهر أن الإندونيسيين لا يحبون- عادة- الهجرة إلى هولندا والإقامة في أوروبا.

أما المسلمون الآخرون وبخاصة الأكثر منهم عدداً في هولندا الآن من الأتراك والمغاربة، فإنهم جاءوا في الأصل إلى هولندا عمالاً أسهموا بجهودهم في إدارة عجلة الاقتصاد الهولندي في وقت من الأوقات، ثم اكتسبوا حق الإقامة فيها وبعضهم حصل على الجنسية الهولندية حسب القوانين المرعية في البلاد.

إلى لاهاي:

في الخامسة والثلث غادرنا مدينة (روتردام) قاصدين (لاهاي) عاصمة هولندا ويسمونها دنهاخ ويكتبون اسمها على لوحات الطريق (دنهاج)، وتبعد (لاهاي) (٢٨) كيلومتراً عن (روتردام).

سار الطريق في ريف أخضر رأينا فيه أعداداً كبيرة من الأبقار الهولندية الأصيلة المعروفة بذلك في العالم.

وقبل الوصول إلى العاصمة مررنا بمجمع للطرق فيه نفق وجسور ألفت أربع طبقات بعضها فوق بعض تمر منها كلها السيارات، بل هي حافلة بها.

وقد كثرت أعداد السيارات عند الوصول إلى لاهاي ولكن رغم ذلك كان الهدوء هو السائد فلا أبواق ولا أصوات من خلف السيارات

مزعجة، وقد أنارت شوارعها رغم كون الشمس لم تغرب بعد، ولكن ذلك كان بسبب الضباب، أو شيء شبيه به، وإلا فإنه ليست هناك رياح ولا أمطار لحسن حظي، مع أن هذه البلاد الهولندية مشهورة بذلك حتى إنها كانت مشهورة بالطواحين الهوائية لكثرة هبوب الرياح فيها.

إحدى الطواحين الهوائية في هولندا

والموعد المهم في لاهاي هو حضور مأدبة العشاء التي تقيمها السفارة السعودية تكريماً لي هذه الليلة وموعدها في الثامنة، لذلك قررنا أن نواصل السفر.

إلى امستردام:

وهي المدينة الهولندية المشهورة بأشياء كثيرة كان منها في القديم جسورها المتعددة التي ذكر بعضهم أنها تبلغ ألفاً، ومنها مطارها الذي ركبت منه في أول رحلة لي إلى البرازيل قبل ثماني عشرة سنة، فقامت طائرة الشركة الهولندية المعروفة (ك ل م) من امستردام إلى ريو دي جانيرو في وقت لم أعرف فيه أنا وأمثالي إلا النزر اليسير عن واقع الحياة في البرازيل.

اخترقنا مدينة (لاهاي) من جهة من جهاتها نسابق الضوء لنرى من امستردام في النهار ما لا نستطيع رؤيته أو تصويره في الليل.

وتبعد (امستردام) عن لاهاي (٤٨) كيلومتراً.

ورغم قصر هذه المسافة فإن المناظر بينهما كانت مناظر الريف الأخضر الندي وفيه شيئان مما عرفت به هولندا يريان بكثرة.

أولهما: هذه الأبقار الهولندية الأصيلة الضخمة، وهي عندهم أنواع منها ما يربى لأجل اللحم فتصدر لحومها إلى الخارج سلعة رائجة في هذه الأيام ومنها ما يربى من أجل اللبن والزبد، وتجفف ألبانها وتصدر للخارج أيضاً في أنحاء العالم، هذا عدا ما تستهلكه البلاد في داخلها من اللبن ومشتقاته.

وثانيهما: طواحين الهواء وهي طواحين الحبوب التي تدار بقوة الريح، وقد أغنى توفر الكهرباء عن هذه الطواحين، ولكن بعضها أبقي لمجرد أنه من الأشياء القديمة المميزة بكثرتها لهذه البلاد الهولندية، وبعضها أبقوه يستخرجون به الماء من آبار ارتوازية صغيرة في الأرض.

وهي جميلة الشكل رأيت ثلاثا منها متقاربة واقفة، ولكنها حسنة المظهر مما يدل على أن القوم يصونونها ويجددونها، وواحدة منها تدور مراوحها وهي بجانب هذا الطريق الدولي السريع مباشرة.

وقبل الوصول إلى امستردام بدا مطارها الدولي الشهير جهة اليمين، قد أمتد أحد مدارجه على جسر فوق هذا الطريق ذاهبا إلى جهة اليسار.

في مدينة امستردام:

أول ما رأيناه منها صف طويل من الحانات وهي البارات التي تشرب فيها المسكرات ثم ولجنا المدينة التي بدت ذات شوارع واسعة ضخمة، ومحلات تجارية كبيرة أكثر الأبنية الكبيرة فيها مكسو بالآجر البني اللون.

وبدت المدينة حديثة ذات عراقة ظاهرة يتذكر المرء إذا رآها المدن الأوروبية العريقة التي ضمت إلى مجدها التليد مجداً طارفاً بما كسبه لها أبناؤها من أموال وخبرات أثناء جولاتهم في العالم البعيد، أو إن شئت قلت: إنها بدت كالعاصمة الاستعمارية العريقة، مع أنها ليست العاصمة السياسية للبلاد الهولندية.

شوارع القنوات:

شارع مائي في امستردام

أهم ما رأيته يميز هذه العاصمة من مميزات كثيرة هو جريان القنوات فيها بين الشوارع في بعض الأحيان حيث تمر بسيارتك من شارع ممتد من الشرق إلى الغرب مثلاً فتراه شارعا معتادا كالذي يكون في مدينتك إذا كنت مثلي تسكن في مدينة حديثة، ولكنك واجد الشارع الذي يليه وهو يسامته أي يوازيه ليس شارعا مثله، وإنما هو قناة مائية تجري فيها القوارب الصغيرة وسوف ترى بعض الناس الذين تقع بيوتهم على هذا الشارع المائي- إن صح التعبير وهو صحيح- قد ربطوا قواربهم أمام بيوتهم لأنهم يستعملونها كما يستعمل أهل الشوارع الجافة له السيارات.

ثم نجد بعد ذلك شارعاً معتاداً مزفلتاً تقع بعده في شارع مائي هو قناة من هذه القنوات المتعددة التي تميز مدينة امستردام.

وهي فروع من نهر كان يغمر المنطقة قبل إنشاء هذه المدينة وهو نهر (امستل) وقد بنى الأقدمون عليه سداً وهو (دام) الذي يؤلف المقطع الأول من اسمها.

مسجد محمد الفاتح:

وسواء أسمي هذا المسجد بمسجد الفاتح أو مسجد الفتح، فإن وجوده على هذه الصفة التي هو عليها الآن هو فتح مبين حقاً، فقد كان كنيسة ضخمة مشهورة واقعة في قلب مدينة امستردام التجاري المهم اشتراها الإخوة الأتراك فكسروا صلبانها ووضعوا بديلاً عنها شعار المسلمين وهو الهلال وأزالوا مظاهر الشرك وعبادة غير الله وكتبوا في مكانها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

رأينا هذا الجامع من شارع معترض فوق شوارع القنوات وشوارع الزفت، عالي البناء واضح المعالم، تنعكس على أبراجه التي أصبحت منائر بقايا ضوء الشمس الغاربة كما غربت عنه شمس الشرك، وأشرقت في باطنه شمس الإسلام.

ويقع على شارع رئيسي عام إلا أن باب الدخول إليه من شارع خلفي دخلنا منه فألفينا في الطابق الأرضي منه جماعة من الإخوة الأتراك في قاعة واسعة فيها مكتبة لا بأس بها، وفيها منشورات وكتب إسلامية.

وعندما بدأنا الإطلاع على أركان هذا المسجد نهض أحد

الموجودين فأذن لصلاة المغرب في السادسة والثلث، ثم نهضوا جميعاً فدخلوا في صلاة المغرب فور فراغ المؤذن من أذانه وصلى بهم إمامهم.

وجميعهم فيما رأيناه من أمرهم من الإخوة الأتراك، والأتراك هم الذين قاموا على شراء هذه الكنيسة وتحويلها إلى مسجد جامع، وتسميته باسم السلطان محمد الفاتح الذي وصف بهذا الوصف لأنه الذي فتح القسطنطينية عاصمة الروم آنذاك، وهي الآن مدينة اسطنبول العظيمة، ولم يكن عدد المصلين كبيراً، بل كان في حدود العشرين.

وقد توضأنا في أماكن الوضوء في المسجد، فكان الماء شديد البرودة لأنهم لم يعتبروا أنهم قد دخلوا في فصل البرد الحقيقي، إذ درجة الحرارة فيما أظن الآن هي في حدود (١٠) درجات وكانت (١٣) درجة وقت العصر.

أخذنا في استجلاء بناء هذا المسجد العظيم الذي أكرر القول بأنه كان كنيسة ضخمة فخمة البناء يكفي أن قاعة الصلاة فيه يرتفع وسطها بمعدل ثلاث طبقات أو أربع ترفع سقفها أعمدة على أروقة رومانية فوقها أعمدة أخرى.

ولم نطل المكث مع هؤلاء الإخوة الذين يصعب وجود من يتكلم العربية فيهم، بل تركناهم للجولة في:

قلب مدينة امستردام:

وقلب مدينة امستردام ليس واحداً متساوياً الأجزاء بل فيه المحلات التجارية الكبيرة ومكاتب الشركات، وفي جزء منه هذا المسجد مسجد الفاتح العظيم ووصف العظيم يستحقه المسجد كما يستحقه الرجل الذي يسمى به وهو السلطان محمد، ولكن في قلب امستردام أيضاً أشياء في غاية السوء والانحطاط.

بيوت قديمة في أمستردام

فمثلاً تجولنا في ساحة تسمى (ساحة دام) ودام هي السد كما تقدم، وذلك أن مدينة امستردام تنخفض أجزاء منها عن مستوى سطح البحر بخمسة أمتار ويحميها من فيضانه سد قوي.

وقد سميت امستردام لكونها أقيمت قرب سد على نهر (امستل) الذي حرف اسمه إلى (امستر) بالراء.

وفي هذه الساحة يكثر باعة المخدرات وذكر لي بعض الإخوة أن الحكومة لا تمنع بيع بعض أنواع المخدرات كالحشيش هكذا قالوا لي عندما سألتهم عن كون الحكومة لم تمنع هؤلاء، على أنهم من المتخفين الذين يعرفهم المتعاملون معهم، وربما كانت الحكومة الهولندية تغض الطرف عنهم على اعتبار أنهم يبيعون على السياح الذين يقصد بعضهم هذه المدينة من أجل اللهو.

قاذورات المدينة:

لولا أن هذه القاذورات التي سنتكلم عنها الآن تمارس هنا باسم الحرية الشخصية التي جاءت بها المدنية الغربية وبالغت فيها لما كان هذا العنوان دقيقا، ولو كان أولى به أن يكون (قاذورات البشرية) أو نحو ذلك.

قال لي الأخ عبدالله الأهدل: سأوريك كيف يضيع بعض أبناء المسلمين، بل وبناتهم في هذا الجو الغربي المنحل، وأرجو أن تقتنع من وجوب السرعة في توفير المعاهد الإسلامية، ودور التربية لأبناء المسلمين، إذا شاهدت ذلك.

فهذه الأماكن التي سنذهب إليها هي مباذل هولندا، ولكن طائفة من الذين يمارسون هذه المباذل فيها هم من أبناء المسلمين مع الأسف، وستحكم عليهم بأنهم كذلك من إلقاء النظرة المجردة عليهم لأن ألوانهم ومظاهرهم تدل على ذلك.

وتقع أماكن اللهو في الجزء القديم من مدينة امستردام بشوارعه الضيقة التي تشبه الأزقة وبازقته التي تشبه السراديب، بحيث لا يتسع بعضها لمرور أكثر من شخص واحد.

جهدنا في أول الأمر في أن نجد موقفاً لسيارتنا في هذه المنطقة لأن شوارعها لا تتسع لوقوف أكثر من سيارة واحدة، وقد ملئت كلها بالسيارات التي بعضها للساكنين في تلك المنطقة، وبعضها لزائريها.

ثم أخذنا نتمشى في زحام من الناس في منطقة يصح أن تسمى كلها ماخورا، بل لا يكفي ذلك في تسميتها حتى تنعت بالماخور القذر، لأننا رأينا فيها لافتات كتب عليها بخط واضح لدينا في ذلك العمل مخنثون!

وأما أكثر المنطقة فإنها مخصصة للدعارة، بل كلها بيوت دعارة، ولكنها من نوع غريب موغل في المجاهرة والاستهتار.

فالعاهرات يسكن في غرف على الشوارع والأزقة يكون في الغرفة الواحدة سرير أو سريران وامرأة جالسة على أحدهما، أو في كرسي بجانبها متهيئة لذلك العمل القذر وعلى باب تلك الغرفة أو نافذتها إن كانت النافذة مفتوحة والباب مغلقاً ستارة من القماش تسدلها عليها، فلا يراها من في الشارع عند الممارسة، ثم تزيحها بعد خروج من فجر بها لتنتظر غيره يقع في شباكها.

والذي لاحظته مع الأسف الشديد أن معظم العاهرات هن من النوع الأبيض اللون الأسود الشعر، وهو اللون الغالب في البحر الأبيض المتوسط، وأما الشقراوات اللائى هن من الأوربيات الواضحات فإن عددهن قليل.

وليس معنى هذا أن الأوروبيات المذكورات أكثر عفة من غيرهن، ولكن أكثرهن يترفعن عن ممارسة هذه المهنة الحيوانية الوضيعة، ويعتبرن أنهن يمكن أن يجدن من يريدونهن من الرجال بطريقة المخادنة والمخاللة بدون بيع وشراء واستئجار وكراء.

ولقد رأيت في هؤلاء البغايا عدداً من السوداوات الفاحمات السواد، ولا أدري كيف يجدن من يقع في شباكهن.

لأنني لاحظت أن البغايا من البيضاوات ينادين من يمر بهن، لقلة من يقبل عليهن، وبعضهن تعرض جسدها في ثياب فاضحة، وإن كان ذلك يضيع في الفضيحة الكبرى التي هن عليها، وهي ممارسة البغاء علناً.

وبعضهن يرقصن في جحورهن ولا أقول حجراتهن لأنها بالفعل بمثابة الجحور الضيقة، وذلك ليفتنّ من يراهن بزعمهن.

والغريب أن هذه الجحور التي تعد بالمئات وهي واقعة على الشوارع في الأزقة الضيقة يرى من يمر بها كل من فيها فإنني لم أر بغيا واحدة يدخل إليها رجل واحد إلا شخصاً واحداً عليه مظهر الأوروبي الجنوبي وهو في منتصف العمر، رأيته يكلم واحدة ثم راح وتركها، مما يدل على أن سوقهن غير رائجة، إلا أن أعداداً كبيرة من الناس وأكثرهم من المتسكعين والفضوليين قد غصت بهم هذه الطرق والأزقة.

ولقد رأيتُ شاباً عرفنا بسرعة من منظره أنه عربي بيده زجاجة شرب يشرب منها في الشارع وهو واقف، فلما رآنا ننظر إليه باستنكار قال بعربية واضحة: عاونونا بالدعاء. ونحن لا نعرفه وهو لا يعرفنا بدون شك.

والحقيقة أن هذه المنطقة من مدينة امستردام القديمة تعج بالقاذورات وكبائر الفواحش التي من أهونها عندهم الخمر والزنا وفيها غير ذلك المخدرات وسائر الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

والشيء الذي آلمني جداً أن معظم الموجودين فيها هم من ذوي المظهر العربي، وربما يكون بعضهم من غير العرب ممن يشابهونهم، وأما الأوروبيون الخلص فإنهم فيها قليل، وإذا رآهم المرء فيها رآهم مسرعين فيعرف أنهم لم يكونوا من المتسكعين الذين يقتلون أوقاتهم، بل يقتلون أنفسهم في هذه الأماكن.

والعجب من الحكومة الهولندية التي لا تفعل شيئاً تجاه هذه الأمور، بل تعتبرها مباحاً من المباحات تصدر التراخيص القانونية لمن يعملون فيها وتحميهم ممن يريدون أن ينكروا عليهم فعلهم بالقوة.

وذلك كله باسم الحرية الشخصية والمدنية التي لا تتدخل في سلوك الشخص إذا لم يتدخل بشكل قسري في شئون الآخرين.

ولكن الموضوع ليس بهذا الشكل من كل النواحي، بل هو من ناحية كون بعض الناس من المواطنين أو من يعيشون على هذه الأرض الهولندية يريدون أن يضروا أنفسهم ويضروا غيرهم عن رضى وطواعية نتيجة ضعف بشري، أو انهيار في الشخصية، كمن يحاول الانتحار لسبب من هذين السببين أو لغيرهما مما يشبههما فهل يكون موقف المجتمع منه سلبياً، فيتركه وهو يقتل نفسه بنفسه باسم الحرية الشخصية، وعدم التدخل في شئون الآخرين، إذا لم يؤذوا غيرهم؟

وتحيط بهذا الحي حوانيت فيها المباذل المطبوعة والمكتوبة معروضة على الناس ظاهرة بشكل تتقزز منه النفس، وحتى الحيوان لا ينحط إلى هذه الدرجة.

رأيت بعد ذلك في حانوت بهذه المنطقة منظراً مطبوعاً ينفر منه حتى الحيوان بطبعه ذلك أننا رأينا مكتبة فيها جريدة الشرق الأوسط السعودية التي تصدر في لندن وهي بتاريخ اليوم فاشتريناها ورحت أبحث عن دفتر صغير، فإذا بهذه المكتبة مليئة بمناظر المباضعة، ولا نقول: المضاجعة فقد تعدى الأمر عندهم هذا.

كما أنه في بيئة مثل هذه البيئة القذرة ربما لا يعتبر بعض الناس عرض صور ما يكون بين الرجل والمرأة شيئاً خادشاً للحياء، وأهل المكتبة لا يعتبرون ذلك، لأنهم قد مرنوا على الفحش وعلى معايشة الفجور.

ولكن الشيء الذي رأيته وتقززت منه نفسي هو ما لفت نظري إليه

صاحب المكتبة وهو يقول بالإنكليزية: (وذ أنمال) أي مع الحيوان، ثم فتح لي مطبوعاً ملوناً على هيئة مجلة فاخرة الطباعة وأخذ يقلب صفحاته كأنما كان يظن أن ذلك يجعلني أشتري منه نسخة.

وهو يقول: هذه مع الكلب، وهي صورة واضحة لامرأة مع كلب، وأخرى مع خنزير.

والعياذ بالله حتى من منظر الخنزير، فكيف بامرأة تسمح لنفسها في أن يقاربها ذلك الحيوان القبيح، وتكررت صورة الكلب في مناظر مختلفة مع صور النساء المطبوعة في هذه التي تشبه المجلة، ورأيت من المناظر المخزية القرد وهو لاصق بالمرأة وصوراً لعدد آخر من الحيوانات لا أود ذكره.

وكل ذلك مع نساء بيض أوروبيات عليهن مظاهر الترف و الغنى مما يحمل على القول: بأنه لم يكن مرادهن من ذلك مجرد التكسب بالتصوير مع هذه الحيوانات وهي تفعل الفعل القبيح.

مما جعلني أتيقن من أن الإنسان إذا خلا قلبه من الإيمان، ولم يكن مربى تربية مستقيمة فإنه ينزل إلى رتبة أدنى من رتبة الحيوان.

فأنثى الحيوان على سبيل المثال لا تمكن نفسها من ذكور من الحيوانات الأخرى، وإنما تقتصر في ذلك على حيوان من نوعها، وربما كان ذلك من الفصيلة نفسها أو ما يقرب منها كالفرس والحمار.

وأما ما يبعد عنها فإن ذلك لا يكون منها فلا يكون الأمر بين البقرة والحمار، ولا بين الكلب والشاة مع أن الفرق بينها أقل من الفرق ما بين الإنسان وهذه الحيوانات وبخاصة الدنيئة منها كالقردة والخنازير.

وقد تقززت نفسي وعلاني الكدر، فأسرعت أغادر هـذه المنطقـة سائلاً الله تعالى أن لا يصيبها بعقاب عام قبل أن أغادرها.

العودة إلى لاهاي:

مررنا ببيت أحد الإخوة المسلمين في لاهاي من أجل أن يصـحبنا لبيت السفير السعودي الذي يقع في ضاحية خارج قلـب المدينـة علـى مسافة ٢٠ كيلومترا.

وقد خرجنا من لاهاي ومعنا في السـيارة الأخ (عبدالواحـد فـان بومل) وهو مسلم هولندي أصيل اسلم بنفسه، وتعلم العربية حتى صـار يجيدها إجادة تامة، ويعمل الآن في الصحافة والإعلام ويستخدم ما يعرفه من العربية والدين الإسلامي في دعوة بني قومه الهولنديين إلى الإسلام.

خرجنا من المدينة إلى ضواح جيدة إلا أن شوارعها ليست واسعة، ثم وصلنا الحي الذي فيه بيت السفير وهو ضاحية غارقة في الأشـجار الباسقة، حتى اختفت فيها بيوت الوجهاء وذوي اليسار بين تلك الأشجار، إضافة إلى حدائق البيوت نفسها، إلا أن الدليل الأخ عبدالواحـد أخطـأ البيت، فصرنا نتردد في شوارع هذا الحي المتعامدة المتشابهة.

وقد سألنا بعض المارة فلم يفيدونا بشيء، ووجـدنا خريطـة فـي مفترق للطرق توضح أسماء شوارع الحي وأرقامهـا، وهـي مضـاءة بالكهرباء على هيئة الإعلان الذي يكون في شوارع مدننا مرفوعاً عـن الأرض كما ترفع السبورة.

مأدبة السفارة السعودية:

وجدنا في الاستقبال في بيت السفير الذي تملكه المملكة العربيـة السـعودية

ويعتبر جزءا من السفارة الأخ القائم بالأعمال عبدالله الحمدان لأن السفير غائب عن لاهاي، وقنصل المملكة وباقي أعضاء السفارة وعددهم قليل.

كما حضر المأدبة معنا الأخ محمد رفيع قريس والشيخ سفيان الثوري، وشخصان أو ثلاثة لا أذكر أسماءهم.

وقد أنست بالإخوة أعضاء السفارة السعودية واستفدت منهم فوائد جمة عن العرب والمسلمين في هذه البلاد الهولندية.

وكانت المأدبة عربية بطعامها وإعدادها، وأخبرني الأخ عبدالله الحمدان بأن طباخ السفارة هو من الإخوة الباكستانيين.

والبيت ملك السفارة كما قدمت، ولذا يعتبر جزءاً منها وإن كان بعيداً عنها، إذ السفارة تقع داخل مدينة (لاهاي) مررنا بها مروراً دون أن ندخلها.

والبيت واسع وجميل، تحيط به حديقة واسعة مثل سائر البيوت في هذه المنطقة.

العودة إلى بلجيكا

العودة إلى بروكسل:

امتد بنا الحديث في دار السفارة السعودية إلى وقت لم أكن أريد أن يمتد إليه، ولكن الجلسة فيها كانت ممتعة، فلم نغادرها إلا بعد الحادية عشرة بقليل.

ونحن سننام في بروكسل عاصمة دولة أخرى وهي بلجيكا أنا في فندقي هناك والأخ عبدالله الأهدل عند أهله فيها والمسافة بين العاصمتين الهولندية والبلجيكية تناهز المئتي كيلومتر، فودعنا الأخ الكريم عبدالله الحمدان ومن معه من أعضاء السفارة وقصدنا بلدة ريدر كريك لنوصل الأخ الكريم محمد رفيع قريس إلى بيته هناك.

ثم واصلنا سفرنا إلى بروكسل فوصلناها في الواحدة بعد منتصف الليل.

وفي هذا الوقت المتأخر من الليل لم يعترض سيارتنا معترض عند الحدود ما بين بلجيكا وهولندا ولا في أي مكان آخر من الطريق، بل لم يشر إلينا أي شخص بالوقوف، وبالتالي لم يسأل أحد عنا، وإلا كان في ذلك إحراج لي لأنني لا أحمل جوازا، ولا أية أوراق أخرى تثبت (هويتي) وكان الأخ عبدالله الأهدل قد أخبرني بأن ذلك لن يكون فيه مشكلة لأن أحدا لن يسألنا في الطريق، وهكذا كان.

كما أنني لم أر أي أثر لسيارة الشرطة أو المرور التي توجد في مثل هذه الحالة في الطرق السريعة لحفظ الأمن وضبط المخالفين، كما يكون ذلك ظاهرا في طرق الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال.

يوم الثلاثاء ١٤٠٩/٢/٢٣هـ:

اجتماع عمل في السفارة:

كان موعد الاجتماع في السفارة السعودية في بروكسل في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر وذلك لبحث أوضاع المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل الذي يرأس مجلس إدارته السفير السعودي في بروكسل الأستاذ إبراهيم بكر ومديره هو مرافقنا الأخ عبدالله الأهدل، وله مجلس إدارة يتولى فيه السفير الباكستاني هنا أمانة الصندوق.

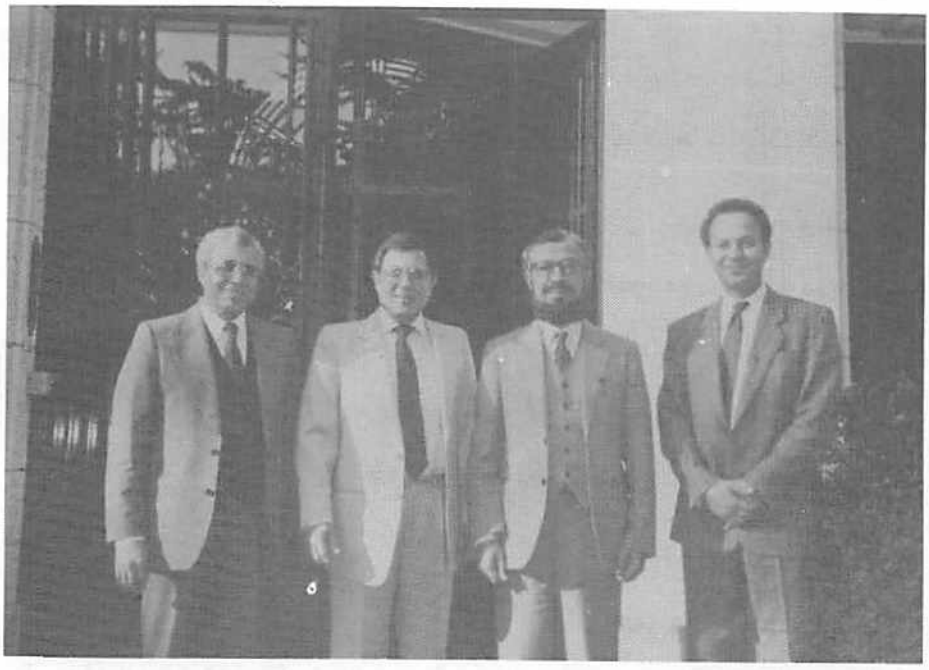

صورة تذكارية مع أعضاء السفارة السعودية ببروكسل السفير عن يمين المؤلف وعن يساره الدكتور فيصل بن حسين زيدان القائم بالأعمال في السفارة ببلجيكا

حضر الاجتماع السفير والوزير المفوض في السفارة الأخ عمر بامانع والقنصل الدكتور فيصل زيدان، وهو ابن الأديب المعروف محمد حسين زيدان.

وبحثنا أوضاع المركز الثقافي الإسلامي من جميع الوجوه، وبخاصة الوضع الحالي الحرج الذي يعاني منه لأنه يتسع ويزيد لحاجة العمل الإسلامي إلى ذلك في الوقت الذي لا تزيد موارده المالية.

وكان السفير قد أرسل برقية عاجلة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة يناشدها فيها حل أزمة المركز والإسراع في إرسال معونة مالية مجزية فاجتمعت لجنة المساعدات في الرابطة وهي لجنة كان صدر بتأليفها أمر ملكي خاص يرأسها الأمين العام للرابطة، وأتولى أنا وظيفة نائب الرئيس فيها وتضم في عضويتها اثنين من الأمناء العامين المساعدين في الرابطة، وممثلا عن وزارة الخارجية برتبة وكيل وزارة وهو الشريف محمد بن فايز في الوقت الحاضر.

وقررت اللجنة تحمل جميع المبالغ التي على المركز وهي التي تؤلف العجز المالي الحالي في ميزانيته وقدرها سبعمائة وخمسون ألف ريال سعودي، وذلك على دفعتين: إحداهما تصرف فوراً بصك (شيك) حملته بنفسي وسلمته للسفير في هذه الجلسة، أما الدفعة الثانية وقدرها- كالأولى- ثلاثمائة وخمسة وسبعون ألف ريال سعودي فتصرف في أول السنة المالية القادمة التي تحل بعد ٣ شهور.

وقد جئت هنا لبحث جميع الأمور المتعلقة بالمركز، ومن ذلك

محاولة التوفير من مصروفاته والاتفاق على مبلغ معين تسهم به الرابطة، ويكون فيه حل مستمر لمشكلته فلا يحتاج مرة ثانية إلى الاستنجاد بالرابطة على هذا الشكل.

وقد تحققت خلال زيارتي وبحثي مع جهات متعددة من جدية هذا المركز ومن الفائدة العظيمة التي يقدمها للعمل الإسلامي في هذه البلاد التي أخذ الدين الإسلامي ينتشر فيها بسرعة- ولله الحمد- واتخذنا مع السفير السعودي محضراً مفصلاً بكل ما ينبغي عمله من الرابطة ومن مجلس إدارة المركز في المستقبل ووقع المحضر السفير وأنا والأستاذ عبدالله الأهدل، ومن ذلك تحديد ميزانية المركز وما سوف تتحمله رابطة العالم الإسلامي منها.

مأدبة السفير:

استمرت جلسة المباحثات في السفارة أكثر من ساعتين غادرت السفارة بعدها مع السفير الأخ إبراهيم بكر على سيارته التي يرافقه فيها حارس خاص في كل الأوقات، وذلك للانتقال إلى بيت السفير لمأدبة الغداء التي يقيمها فيه.

وقد حضر المأدبة عدد من موظفي السفارة منهم الوزير المفوض فيها والقنصل ومدير مكتب الخطوط السعودية في بروكسل.

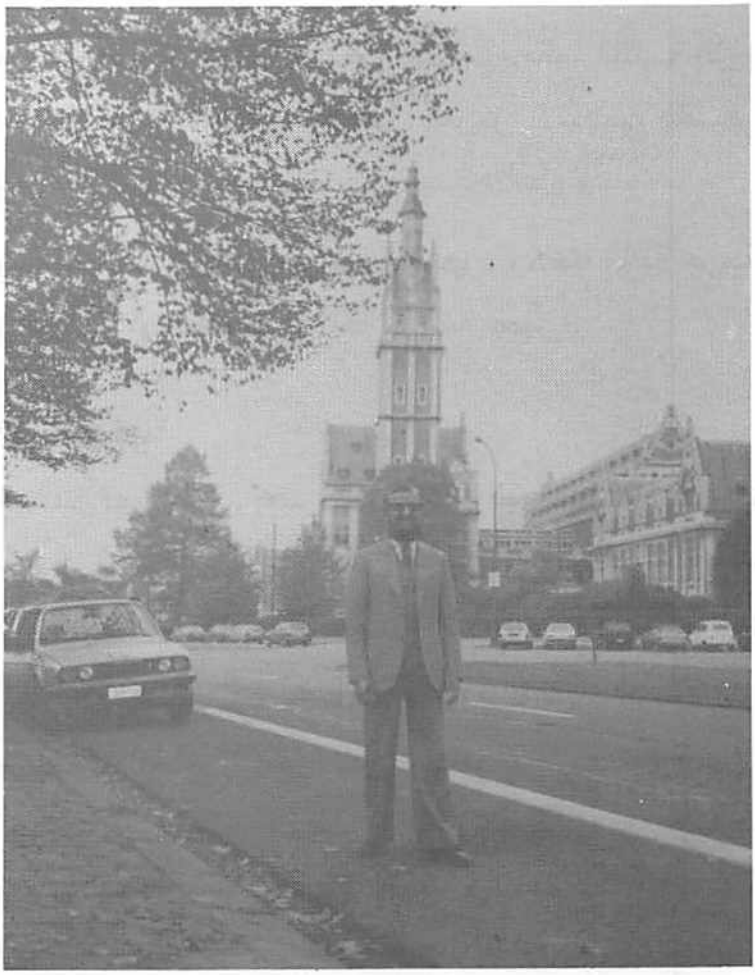

صورة شارع فرانكلان روزفيلت عن يمين المؤلف مقر السفارة السعودية ومن ورائه مبنى جامعة بروكسل الحرة

وقد تحدثت مع السفير عن لقائي الأول به أثناء عمله سفيراً للمملكة في كاراكاس عاصمة فنزويلا، وذلك عندما قدمت إلى هناك منتدباً في مهمة رسمية تتعلق بالمراكز الإسلامية في المنطقة والعمل الإسلامي في تلك البلاد، واتخذت معه محضراً بالخطة التي ينبغي أن تسير عليها المملكة العربية السعودية في التعامل مع المسئولين عن المراكز

الإسلامية في فنزويلا ومنطقة البحر الكاريبي، مثلما اتفقنا الآن على اتخاذ محضر بما تم الاتفاق عليه حول المركز الإسلامي الثقافي في بروكسل وقعه السفير ومدير المركز الأستاذ الأهدل وأنا.

وتناولنا طعام الغداء على مأدبة السفير، وكانت مأدبة عربية سخية دسمة ثم خرجنا من عنده في الساعة الرابعة عصراً.

في حي عربي:

استأنفنا الجولة على بعض المساجد والمراكز الإسلامية في بروكسل بعد الخروج من عند السفير مباشرة ومع ذلك لم يتسع الوقت لكل ما أردنا رؤيته منها كما أن ما أردنا رؤيته ليس هو كل المراكز والمساجد لأنها كثيرة تحتاج زيارتها إلى وقت أطول.

وإنما اختار الأخ الأهدل والذين وضعوا برنامج الزيارة معه الإطلاع على نماذج مختارة لبعض الاعتبارات مثل أهميتها بذاتها، وصلتها ببلادنا وبالرابطة، ولكونها طلبت مساعدة تحتاج إلى التأكد منها ومن تقرير حجمها والإطلاع الشخصي من مسئول في الرابطة.

ومررنا بحي فيه كثير من اللافتات المكتوبة بالعربية قرأت منها ونحن نسير في السيارة (بنك الوفاء) و(مقهى المسيرة) و(أسفار عبر الصحراء) على محلات ومكاتب مختلفة فيه.

وذكر لي الأخ الأهدل أن فيه مسجدين وأن العرب يكثرون فيه ويسمى (ميدي) بمعنى المتوسط، وفيه مقر بلدية مدينة بروكسل، لذا طاب لي أن أجعل العنوان هذا يشير إلى هذه الصبغة العربية فيه وإن لم تكن غالبة عليه كله.

مسجد التوحيد:

استقبلنا فيه رئيس جمعية المسجد الأخ حمادي بن سالم وإمام المسجد الشيخ عبدالسلام الصنهاجي، وأمين صندوق المسجد الأخ زيان الحمدي، والمسئول عن التعليم فيه عبدالهادي غوتي وكلهم من المغرب كما كان في الاستقبال عدد من الإخوة الآخرين.

في مسجد التوحيد ببروكسل عن يمين المؤلف إمام المسجد: عبدالسلام الصنهاجي، وعن يساره عبدالله الأهدل ثم مؤذن المسجد: زَيَانُ الليحِمْدِي

وقد سارعوا بتقديم الضيافة في غرفة ملحقة بالمسجد وهي الشاي المغربي الأخضر ذو النكهة العطرية المميزة، والحلوى المغربية وهي عدة أنواع.

وفي أثناء ذلك أخبرنا هؤلاء الإخوة الكرام أن المسجد افتتح في عام ١٩٨٢م وأن في هذا الحي حوالي ٦٠./. من السكان هم مسلمون أغلبهم من العرب، وفيهم أتراك وأفراد من الباكستان وتونس والجزائر.

وبعد جولة في المسجد ومرافقه أرونا بيتين مجاورين للمسجد ذكروا أنهم اشتروهما للمسجد لأنهما عرضا بثمن مناسب والمسجد محتاج لهما ويعملون على إعدادهما ليكونا مدرسة لأولاد المسلمين ويكون فيهما مرافق أخرى تابعة للمسجد، وطلبوا مني أن تساعدهم رابطة العالم الإسلامي في هذا الأمر فوعدتهم خيراً.

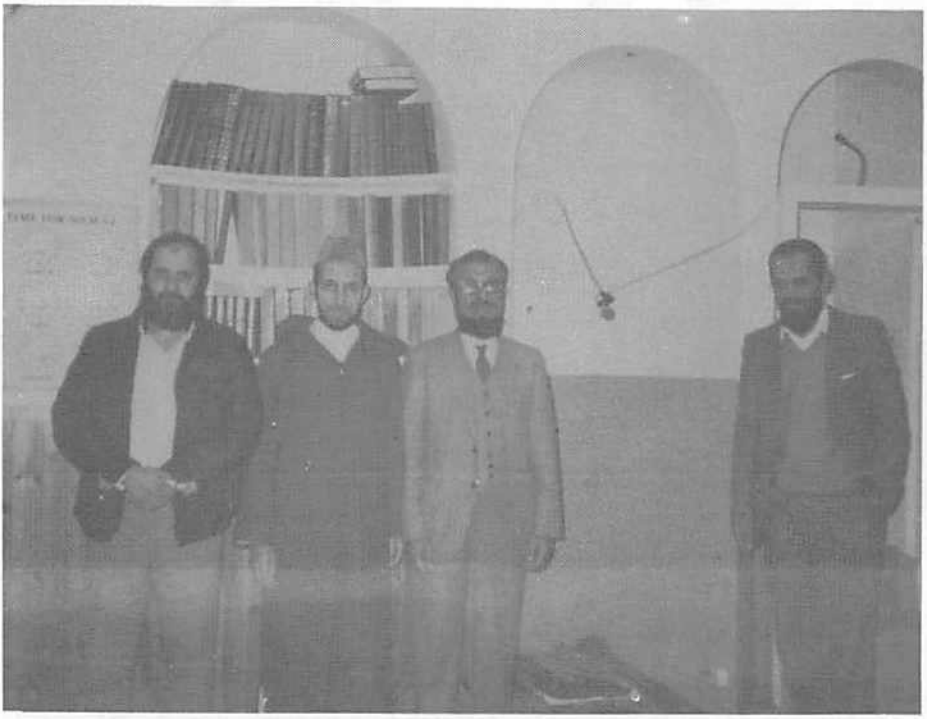

عند محراب مسجد التوحيد ببروكسل، عن يمين المؤلف إمام المسجد: عبدالسلام الصنهاجي والأخ حَمَّادي مسؤول المسجد

المظاهرة التي أفسدت البرنامج:

صادف مرورنا من مسجد إلى مسجد في أحياء متفرقة من مدينة بروكسل مرور مظاهرة ضخمة عطلت سير السيارات كلها فصارت إشارة المرور تفتح خضراء ولكن السيارات لا تسير لأن المظاهرة المؤلفة من صفوف متراصة كانت طويلة إلى درجة عجيبة، حتى خيل إليَّ أنها لن تنقضي فقد بقينا محبوسين في السيارة كسائر الناس الذين تلقوا هذا الحبس بصبر عجيب فيما يظهر- لأنهم قد اعتادوا عليه.

أما أنا فإنني برمت بالأمر- وقال صاحبي الأخ الأهدل وهو الذي يقود السيارة: إنني أود أن أخرج من هذه المعمعة، ولكن كيف فصفوف المتظاهرين طويلة متصلة وهي تسير على مهل وبيننا وبينها سيارات واقفة، والشرطة تراقب هذه المسيرة ولا تفعل شيئاً.

ولا شك في أن ذلك نابع من شعورهم بكون المواطن له حق الإعراب عن رأيه بوسائل منها تنظيم المظاهرات والمسيرات، ولكن أليس للمواطن الآخر الحق في أن يجد طريقاً له يمضي فيه إلى حال سبيله دون أن توقفه مثل هذه المظاهرة عن ذلك؟

وقد رفع المتظاهرون أعلاماً خضراء كثيرة وهم من العاملين في المستشفيات في البلاد من ممرضين وممرضات وفنيين وانضم إليهم غيرهم.

وهم فيما قيل لنا يطالبون الحكومة بزيادة أجورهم وتحسين ظروف عملهم.

وقد وجد الأخ الأهدل الفرصة للإفلات من الصف الطويل الذي وقفت فيه السيارات ثلاثاً ثلاثاً الواحدة بجانب الأخرى، والسير مع شارع جانبي

ولكننا وجدنا الشارع الذي يفضي إليه مقفلاً أيضاً بالسيارات الواقفة.

وطال انتظارنا وأفسدت هذه المظاهرة برنامجنا بإضاعة وقت كنا فقدنا بعضه من قبل، وحتى عندما استطعنا الإفلات منها كانت بقية الشوارع التي لم تمر بها مكتظة بالسيارات وقد ركد السير في بعضها.

مسجد الخليل:

قصدنا حي (مولم بيك) الذي يقع فيه المسجد فاخترق الطريق جسراً فوق نهر صغير يصح أن يسمى بالقناة لأنه كذلك اسمه (ليزيل).

المؤلف في الشارع الذي يوجد فيه مسجد الخليل ببروكسل- ببلجيكا

ويقع في حي قديم اسمه (مولم بيك) يكثر فيه المسلمون حتي قال لي بعضهم: إن ٦٥./. من سكانه هم من المسلمين وأكثرهم من المغاربة.

وصلنا مسجد الخليل فوجدنا فيه جماعة من الإخوة المسلمين المسئولين عن المسجد وكلهم من المغاربة منهم رئيس جمعية المسجد (العروسي محمد) وإمام المسجد الأخ محمد التوزكاني.

وقد أسس المسجد في عام ١٩٨٥م جمعوا التبرعات فيما بينهم وحصلوا على معونة مالية من رابطة العالم الإسلامي ومن الأخ بغلف من الأثرياء في بلادنا، حتى اشتروا هذا المكان الذي كان مرآباً للسيارات واسعاً فحولوه إلى مسجد ولا يزالون يعملون في ترميمه وإعطائه المظهر المناسب للمسجد.

ذكروا لنا أن عدد الذين يؤدون صلاة الجمعة فيه سبعمائة مصل وفي أوقات الصلاة المعتادة مائتان من المصلين.

ثم رأيناهم أعدوا فصولاً دراسية لأولاد المسلمين الذين ذكروا أن عددهم يبلغ (٣٥٠) طفلاً والمراد بهم أطفال جماعة هذا المسجد فيها فصول دراسية كمسجد التوحيد الذي سبق ذكره، فقد شاهدت فيه أربعة فصول دراسية واسعة مجهزة بالمقاعد الدراسية المناسبة، ولكنهم ذكروا أنهم يردون الآن من يريد الالتحاق بالدراسة لأن الأماكن والمقاعد المعدة لديهم قد امتلأت بالطلاب.

مسجد الخليل ببروكسل ، المؤلف وعبدالله الأهدل مع أحد مسؤولي المسجد

ويلاحظ أن هذا المسجد ومسجد التوحيد الذي قبله بل أكثر المساجد في الأحياء الداخلية من المدينة ليست لها منارات لأنها في الأصل بيوت ومحلات أخرى اشتراها المسلمون وحولوها إلى مسجد لعدم وجود الأراضي الخالية التي تقام عليها المساجد ذات المظهر الإسلامي الخالص في البناء، ولو وجدت تلك الأراضي فإن الصعوبة تكون في القدرة المالية على هدم المكان وبناء مسجد ذي مرافق عامة متكاملة في مكانه.

المسلمون يزيدون والسكان ينقصون:

لمناسبة الحديث عن وجود أطفال من أطفال المسلمين لا أماكن لهم في هذه الفصول الدراسية الدينية سألتهم عن عدد الأسرة المسلمة في الغالب فذكروا أنها تكون متوسطة العدد في العادة إذا قيست بمقياس عدد الأسرة في بلادنا الإسلامية، أما إذا قيست بمقياس الأسرة عند الأوروبيين كالبلجيكيين مثلاً فإنها تبدو كبيرة جداً.

ولذلك يخشى بعض سكان البلاد الأصلاء أن تقفز نسبة المسلمين في هذه البلاد إلى درجة لم يكونوا يتصورونها، لأن السكان الأصلاء الذين هم الأوروبيون صاروا منذ فترة لا يزيد عددهم، ثم صاروا ينقصون حسب الإحصاءات.

أما المسلمون فإنهم يزيدون من جهتين إحداهما الزيادة الحقيقية التي تتمثل في كثرة النسل بالنسبة إلى سائر السكان، والثانية: من جهة القلة النسبية التي تسير عليها الأكثرية في الإنسال، وإذا استمر ذلك لسنوات طويلة، فإن نتيجة سوف تظهر للعيان زيادة في المسلمين ونقصا في الآخرين.

هذا إلى جانب زيادة حقيقية في عدد المسلمين ناشئة عن إسلام عدد من أهل البلاد وانضمامهم إلى الصف الإسلامي المتنامي.

قائمة بالمساجد في بلجيكا:

والقول فيها هنا كالقول الذي سبق في مساجد هولندا: إنها المساجد التي لها معاملة مسجلة في رابطة العالم الإسلامي ليس غير، وهناك عشرات المساجد غيرها بعضها شاهدته هنا ومر ذكره، وبعضها لم أذكره.

م	اسم الجهة والمشروع	صاحب الطلب	ملاحظات
١	مسجد السلام بمدينة لييج Chau Ssee Des No.6 4020 Liege	بوسحابه عبدالقادر	٤٠,٠٠٠ ريال في١٤٠٥/٩/٨هـ
٢	مسجد المركز الثقافي في هوبوكن Achturendagstratt 16 a 2660 Hoboken- Antwerpen	سعيد المداوشي	٢٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٣/١/١٥هـ
٣	مسجد في مدينة برنكن (جمعية العمال الأتراك) Noordwyk St.13 3582 Beringen	يلماز بيضايت	-
٤	مسجد الجمعية الإسلامية بمدينة بروج Saint- Beunostraat20 8000 Brugges	حيدر حسين	قيد الإجراء
٥	مسجد جمعية المسلمين في هوطهالن Vzw Islamitische Mosque Elzenst Ratt14 3530 Houthalen Hel	الخطاب محمد	-
٦	مسجد الرحمة بروكسل شارع اكلوزي توج رقم ١٠	المقدم محمد	٧٥,٠٠٠ريال في ١٤١٨/٥/١٢هـ
٧	الجمعية الإسلامية عبدالله بن مسعود 37 Rue Pierre De Coster	-	قيد الإجراء
٨	مسجد المهاجرين Rue De Villers. 57 7350 Hensies	آية الله مسعود	-
٩	مسجد الفتح Moskee Al Fatah St Bernar Dse Steen Weg 424 B- 2020 Kiel And Werpen	بنحد ومحمد	٣٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٦/٣/٨هـ
١٠	المركز الثقافي الباكستاني- مسجد الجمعية للجالية الباكستانية	الشيخ عبدالحكيم- إمام المسجد	قيد الإجراء

	U3- Ruede Ruisseeu 1080- Brxelle		
١١	مسجد مارشيان أوبون Rovidence 36, 38, 40- 6030 Marchienne Au Pont	إمام المسجد	قيد الإجراء
١٢	الجمعية الثقافية الإسلامية بيرخم- أنتورين- ٢٧	بوجو أحمد	-
١٣	مسجد الأزهر شارع سان جوس رقم ١٨- بروكسل	أحمد الهيفي	-
١٤	مسجد لوكرن Mecdid Lokeren Koephandel 19- 9000	بكروكوني	٦٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/٤/٩هـ
١٥	مسجد المؤسسة الإسلامية- بيزغيم - بروكسل 200 Rue De Beyseghem 1120	المعمر مصطفى	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٧/٧/٢٢هـ
١٦	مسجد السكينة المؤسسة الإسلامية بمدينة فارسيان	سلامة مصطفى	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/١٠/١٠هـ
١٧	مسجد المؤسسة الإسلامية في انتورين- ٢٠٠٨- بلجيكا	حبيب محمد صدقةالله	٢٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٧/٢/٢٥هـ
١٨	مسجد هرستال والمركز الثقافي التركي ريوستيشن ٢٤	حسني دابان	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/٤/٩هـ
١٩	الجمعية الإسلامية في مناج (مسجد مناج غرانداليو)	سعدالدين غونغور	٧٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/٤/٩هـ
٢٠	المسجد الإسلامي التركي في روترسكي حدود هولندا	محمد عابد قويان	٣٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٥/٣/١٠هـ
٢١	مسجد النصر- مناج المؤسسة الإسلامية- بروكسل	السبكتاني أحمد	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٦/٣هـ
٢٢	مسجد المحسنين في سان جيل - بروكسل	عباده ميمون	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٤/٦/٣هـ

٢٣	جمعية الهداية في بروكسل	د/ جمعية المسعودي	-
٢٤	مؤسسة جمعية الهداية في شاولروا- بلجيكا	هناء محمد	قيد الإجراء
٢٥	الجمعية الإسلامية للإيمان والعمل مسجد النور- بلجيكا	عيسى البخاري	٢٠,٠٠٠ دولار أمريكي في عام ١٤٠٢هـ
٢٦	جمعية مسجد يوسف في مدينة ديقم ١٩٢٠	رئيس الجمعية	٣٠,٠٠٠ فرنك فرنسي
٢٧	مسجد القرس الميناسترات ٧١ - بلجيكا	شوكيري عبدالرحيم	٦٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٢/٦/٥هـ
٢٨	مسجد أهل الله هماس درس ١٨ ديو بروكسل ١٠٣٠	هماس إدريس	٨٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٢/٦/٥هـ
٢٩	مسجد الجمعية الإسلامية في لوفير ديو دي يوئي ٧٨	عثمان قورت	٧٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٧/١٠/١٠هـ
٣٠	رابطة التعاون الإسلامي- مسجد الخليل في بروكسل- شارع ولونوا رقم ٤٠ بروكسل ١٠٨٠	محمد أحمد التجكاني	قيد الإجراء
٣١	مسجد شارورا	-	٨٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٢/٦/٥هـ
٣٢	الجمعية الإسلامية مسجد الهجرة في سان جوس	حسن أونال	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٦/٥/٢٩هـ
٣٣	مسجد قباء- بروكسل- ١٠٣٠ الجمعية الثقافية الإسلامية	المرابطي محمد	٣,٦٠٠ ريال في ١٤٠٠/٦/٥هـ و٨٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٢/٦/٥هـ
٣٤	الجمعية الإسلامية الثقافية- بروكسل المسجد والمدرسة	د. إدريس باشا	٣٣٦,٠٠٠ ريال في ١٤٠٠/٦/٥هـ
٣٥	مسجد بومل اتك شرت ٥٧ لومل- بلجيكا	مصطفى يلدز	٣٣,٠٠٠ ريال

			في ١٤٠٤/٧/٩هـ
٣٦	مسجد جمعية الأزهر بوارغم- بلجيكا	قاسمي عزوز	قيد الإجراء
٣٧	مسجد هلال مدينة نكالاس- المركز الثقافي	حنفي كلونج	-
٣٨	جمعية الإيمان والعمل (جمعيـة المتقـين) بروكسل	جماعة مسجد المتقين	-
٣٩	جمعية الفاتحة مسجد الرحمن بمدينة موسكورون	-	-
٤٠	مسجد عقبة بن نافع وراند شرت- ٣٩ ٩٠٠٠- جنت- بجيكا	عبدالقادر المزياني	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٧/٦/١٧هـ
٤١	مسجد السنة في بروكسل- نهج بلسي رقـم ١٦-١٨ بلجيكا ١٠٧٠ بروكسل	-	١٠١,٣٦٥ ريال في ١٤١١/٣/١٣هـ
٤٢	مسجد التوحيد- جمعية المركز الإسـلامي في بروكسل	حمادي بن سالم	٥,٥٠٠ دولار عام ١٤٠٤هـ ١٠٠,٠٠٠ فرنك بلجيكي في ١٤٠٤/٥/٢٦هـ ٢٠٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٨/٨/٥هـ
٤٣	جمعية الثقافة الإسلامية التعاونية مسجد التوحيد في كانت	محمد سنل	٤٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٦/١٠/٢٠هـ
٤٤	مسجد حضرة عباس الجمعيـة الإسـلامية للأتراك في انتورين	يحيى خنورك	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٧/٧/٣٠هـ
٤٥	مسجد الرحمة بمدينة شارلوره	بنيدر صالح	١٠,٠٠٠ في ١٤٠٤/١٢/٢٩هـ
٤٦	مسجد مناج ايوبنيو رقم ٣٥ مناج ٦٥٣٨	الظريف إدريس	٦٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٢/٦/٥هـ
٤٧	مسجد اردن أودي بان ٣٦٣٠- بلجيكا	كمال أولو حوء	٨٠,٠٠٠ ريال في ١٤٠٢/٦/٥هـ

٤٨	مسجد الموحدين في بروكسل	رئيس المسجد	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٧/١٠/٢٩هـ
٤٩	جمعية مسجد أولوغ ريو ١٠١- ٩٩ بروكسل	زكي أوسته	٦٠,٠٠٠ ريال في ١٤١٩/٦/٢هـ
٥٠	جماعة مسجد بلال بمدينة ليبج بلبيج- ٤٠٠٠	-	قيد الإجراء
٥١	مسجد المركز الإسلامي الثقافي بروكسل	-	قيد الإجراء
٥٢	مسجد الاتحاد الإسلامي بركسل	علي سعيد جالكون	٣٠,٠٠٠ ريال عام ١٤١٤هـ
٥٣	مسجد النور التابع للجمعية الثقافية الإسلامية انترس ٢٠١٨	عبدالسلام العدى	٥٠,٠٠٠ ريال في ١٤٢٣/٤/١٦هـ
٥٤	المركز الإسلامي في ميدنة لياج	نصر الدين الموساوي	١٠٠,٠٠٠ ريال في ١٤١١/١٠/١٥هـ
٥٥	مسجد التوبة في مدينة بايغر	أيوت الجلالي	١٨,٠٠٠ ريال في ١٤٠٦/٤/٧هـ
٥٦	مسجد الوحدة بمدينة فرنيار	فكرت جيلان	٢٥,٠٠٠ ريال في ١٤١٣/١١/١٣هـ
٥٧	اتحاد المساجد والجمعية الإسلامية	التجاني عبدالوهاب	-
٥٨	مسجد يونس أمره ام	-	٥٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٢٠هـ
٥٩	مسجد أبي بكر الصديق الجمعية الإسلامية الإفريقية بروكسل	أمير الجمعية	قيد الإجراء
٦٠	مسجد مطار بروكسل	-	٢٠,٠٠٠ دولار عام ١٤٠٧هـ
٦١	مسجد جمعية الرابطة الثقافية الإسلامية بمدينة روتس	زرى مامون	١٢,٠٠٠ ريال عام ١٤٢٠هـ
٦٢	مسجد الرحمن في بروكسل ١٢١٠	-	قيد الإجراء

٦٣	مسجد التوحيد ١٠٠٠- بروكسل	-	قيد الإجراء
٦٤	مسجد زيد بن حارثة	-	عام ١٤٢٢هـ
٦٥	لجنة الدين الإسلامي بروكسل	ابن عيسى	-
٦٦	مسجد الغفران بروكسل ١٠٧٠- ريو	عبدالسلام	٧٥,٠٠٠ ريال عام ١٤٢١هـ
٦٧	مسجد جمعية الإيمان الجالية الإفريقية في أنتورين	-	لدى اللجنة التحضيرية
٦٨	مسجد الجالية الإسلامية مسجد الإيمان- مدينة موتس	العربي القناوي	٦٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٢٢هـ
٦٩	مسجد الفتح ويج ٢٨٥ انغرس كيل انترين- هوبوكن	الشيخ مصطفى	١٠٠,٠٠٠ ريال عام ١٤٢١هـ
٧٠	مسجد بلال بيج ريوندرولدي ٢٢٣ جلين ٤٣٠١ بيج ٤٠٠٠	إمام المسجد	٥٠,٠٠٠ ريال
٧١	مسجد جمعية التضامن الثقافية بروكسل بي- ١٠٨٠	عبدالناصر حياشيش	قيد الإجراء
٧٢	مسجد السلام (تينن)	-	قيد الإجراء
٧٣	مسجد الفتح ١٠٧٠ بروكسل	عبدالسلام فهاجي	قيد الإجراء
٧٤	مسجد المركز الإسلامي الثقافي للبوسنيين	نظام جيكتش	قيد الإجراء
٧٥	مسجد مدينة ختم النبوة بمدينة بيج	محمد يوسف بخاري	قيد الإجراء
٧٦	مسجد الرحمن ريودي ٣٨ ورويز ٤٨٠٠	محمد بن محمد	قيد الإجراء

المدرسة المهنية:

عندما خرجنا من مسجد الخليل رأينا بالقرب منه مدرسة مهنية أغلب الذين خرجوا منها هم من أولاد المسلمين ما بين بنين وبنات وذلك واضح من ألوانهم ومظاهرهم، ثم أخبرنا الإخوة المرافقون من المسلمين سكنة هذا الحي أن ذلك هو الواقع، وأن كل طلاب هذه المدرسة وطالباتها هم من أولاد المسلمين، إنهم يريدون لأولاد المسلمين أن يكونوا من أرباب المهن المتوسطة وأن لا يحصلوا على شهادات عليا!

فسألتهم عما إذا كانت توجه عراقيل خاصة أمام أولاد المسلمين تحول بينهم وبين التعليم الجامعي؟

فأجابوا بالنفي، إلاّ أشياء تتصل بالمسلمين أنفسهم، وبحاجتهم إلى التعليم السريع الذي يكسبون به قوتهم، ويعاون الأولاد به أسرهم.

فقلت لهم: إنه ينبغي لكم، بل يجب عليكم أن تقوموا بحملة لتبصير المسلمين بفوائد التعليم الجامعي لهم ولأولادهم، بل لمستقبلهم كلهم، لأن من يتعلم تعليماً عالياً يتأهل لأن يشغل منصباً عالياً في وظائف الدولة أو الشركات والمؤسسات العامة فيعمل على مساعدة المسلمين، وتيسير قضاء حوائجهم والدفاع عن مطالبهم عن هذا الطريق.

ولا شك في أن هذا الأمر مهم، ولا يمكن أن يقوم به أفراد غير متعلمين وغير شاعرين بأهميته، وإنما الواجب أن يتعاون المسلمون وبخاصة مفكريهم، وذوي الرأي فيهم عليه حتى لا يظل الجيل الحالي من أولاد المسلمين جيل عمال محدود الدخل كما عليه آباؤهم من المهاجرين الأول.

في حي المسلمين:

مع أن المسلمين منتشرون في أحياء عديدة من مدينة بروكسل فإن نسبتهم تختلف فيها قلة وكثرة، أما الحي الذي ندخله الآن فقد اتفقت إجابات الذين سألتهم عن نسبة المسلمين فيه على أنهم أكثرية ساحقة فمن قائل من أهل الحي المسلمين المهتمين بأمور المسلمين عامة إنهم يبلغون فيه نسبة ٨٠./. ومن قائل ٧٥./. وما سمعت من نزل بهم عن هذا التقدير.

وهذا يجعله بأغلبية سكانه يستحق أن يسمى بأنه حي للمسلمين، ولو كان المسلمون على درجة عالية من الوعي بحقوقهم ومن الفهم لأمور دينهم الفهم الصحيح، ومن القدرة على فرض مطالبهم لأحالوا هذا الحي إلى حي إسلامي متميز بالفعل في مظهر شوارعه ومحلاته وسائر ما يتصل به.

ويسمى ذلك الحي (اشكار بيك) وأكثر المسلمين فيه هم من المغاربة، يليهم الأتراك في العدد، ثم يأتي مسلمون من بلدان أخرى ولكن عددهم قليل.

والقصد من دخول هذا الحي هو زيارة (مسجد النور) فيه وهو واحد من أكبر المساجد الكثيرة في هذا الحي.

وجدنا في الاستقبال الأخ الشيخ مصطفى النوحي إمام المسجد وهو من الدعاة النشطين معروف بذلك بين أوساط المسلمين في هذه البلاد وهو كثير التجول لهذا الغرض في بلجيكا وغيرها.

داخل مسجد النور ببروكسل والذي يلقي الدرس هو الشيخ يحيى المصري

كما وجدنا رئيس جمعية المسجد الأخ عيسى البخاري ومؤذن المسجد الأخ ذا النون وكلهم مغربي وقد صعدنا إلى الطابق الأعلى من المسجد المؤلف من طابقين وعقدنا اجتماعاً مع الشيخ مصطفى النوحي، وبعض الإخوة المسلمين.

حدثونا عن المسجد أنه أسس في عام ١٩٧٥م فهو إذاً من المساجد القديمة في هذا الحي وأقيمت أول جمعة فيه عام ١٩٧٥م كذلك كان عدد المصلين في الجمعة الأولى عشرين شخصاً أما آخر جمعة صلوها قبل أيام فقد ذكر لي الأخ مصطفى والإخوة الآخرون يسمعون ويوافقون على قوله: إن عدد المصلين فيها كان حسب تقديرنا ما بين ثمانمائة إلى ألف مصلٍ.

وقبل مدة أحصيناهم فكانوا أزيد من ثمانمائة والآن زادوا وقد فعلنا ذلك من أجل أن المسجد ضاق بهم، ونفكر في طريقة نجعله بها يستوعب عدداً أكبر من المصلين.

سبعة عشر مسجداً في حي واحد:

قلت للأخ مصطفى النوحي وإخوانه: إن هذا تقدم عظيم ومسجدكم كما ذكرتم صليت أول جمعة فيه في عام ١٩٧٥م وهذا عهد قريب، فقبل ذلك التاريخ بل قبل ٢٠ سنة كم مسجداً في الحي وكم كان عدد المصلين فيه؟

فأجاب: قبل عشرين سنة لم يكن يوجد مسجد واحد فضلاً عن أن يكون فيها مصلون وكل هذا الذي حدث هو في أقل من عشرين سنة.

وقال الأخ عبدالله الأهدل مدير المركز الإسلامي الثقافي في بروكسل الذي يتابع إنشاء المساجد ويطلع على أحوال المسلمين: إن في حي (اشكار بيك) هذا ثمانية عشر مسجداً.

فاستكثرت ذلك وأردت أن أتأكد من صحته من أهل الحي أنفسهم، فقال الأخ مصطفى النوحي: إن المساجد فيه كثيرة ولا أعرف عددها الآن، ثم أخذوا يعدون أسماءها واحداً واحداً وبأسماء أهلها حتى بلغت ١٧ مسجداً وأنا أتابع ذلك ووعدوني بأن يعطوني قائمة بهذه المساجد، قالوا: وآخرها مسجد أقامه الإخوة الألبانيون الذين يقيمون في هذا الحي، ولا أدري أهو السابع عشر أم الثامن عشر، ولكنني تأكدت منهم وهم جماعة عارفون من عدد المساجد السبعة عشر في هذا الحي وحده من أحياء مدينة بروكسل الذي هو حي (اشكار بيك).

وهذا- بلا شك- فتح عظيم ونصر مبين، بنيت هذه المساجد واكتظت بالمصلين حتى يبلغ عدد المصلين صلاة الجمعة في مسجد واحد منها وهو مسجد النور هذا زهاء ألف مصل.

وكل ذلك حدث في مدة لا تزيد على عشرين سنة، والمهم- أيضاً- في الأمر أن المسلمين أخذوا الآن يشعرون بالحاجة إلى الفقه في دينهم، والمعرفة به ثم تعريف الآخرين بحقيقته، وهذا تحسن نوعي- إضافة إلى التحسن في المقدار الذي ذكرته-.

ومن شواهد العناية بالحصول على المعرفة الإسلامية أننا عندما أردنا الدخول إلى المصلى الرئيسي في هذا المسجد مسجد النور قال الأخ مصطفى النوحي: إن فيه درساً معقوداً للإخوة وإنهم منشغلون فيه ولو تريثنا قليلاً لم نقطع عليهم درسهم، ومكناهم من السلام عليكم وتحيتهم.

ثم حدثنا أهل المسجد عن تعليم أولاد المسلمين عندهم وما يؤملونه من التوسع في ذلك في المستقبل كما أخبرونا أنهم يأملون في توسعة المسجد عن طريق شراء بيت مجاور له، لأنه صار يضيق بهم كما تقدم.

وفي الختام دخلنا المصلى الرئيسي ووجدنا القوم في درس ديني فرمينا لهم بالسلام و التقطنا صوراً تذكارية في محراب المسجد.

مأدبة السفير الجزائري:

وجدت في برنامج الزيارة تناول العشاء في بيت السفير الجزائري في بروكسل هذه الليلة، وقال الأخ الأهدل: إن السفير رجل مصلٍ مؤمن وإنه يهتم بأمور المسلمين، كما يهتم بشئون المركز الثقافي الإسلامي، وقد طلب مني أن يستضيفك على مأدبة عشاء خاصة يقيمها في بيته، وذلك حباً فيكم، ثم من أجل أن يتحدث معك في أمور المركز كما قال لي.

شارع رويال في بروكسل

استقبلنا السفير الأخ (سيدي أحمد الغزالي) في بيته بحفاوة وهو شخص ذو مكانة كبيرة في بلاده، ومن ذلك أنه كان وزير البترول فيها في عهد سابق، وقد حدثني عن هجوم الإرهابيين على وزراء البترول في فينا وأنه كان بينهم ومعهم الشيخ أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية في بلادنا آنذاك.

وذكر لي ما كنت سمعته في حينه من أن المهاجمين كانوا قرروا إطلاق سراحه على اعتبار أنه من دولة غير رجعية وإنما تحارب الاستعمار، وإنه رفض ذلك وأبى إلا أن يقاسم الوزراء الآخرين الذين أخذوا رهائن فقال: هذا صحيح، فقد رفضت الحرية لي وحدي، وقلت:

لابد من أن نتحرر جميعاً أنا وزملائي من قبضة المرتهنين أو أن نبقى في الارتهان معاً.

كانت المأدبة جزائرية ضمت (الكسكسو) بل كان هو الطبق الرئيسي فيها.

فذكرت هنا قول المسمى بالحبيب وهو أبورقيبة رئيس جمهورية تونس المعزول عندما سئل عن حدود المغرب العربي قال: حيث يؤكل الكسكس، ويلبس البرنس.

وقد استمرت هذه المأدبة على أحاديث مفيدة عن أوضاع الإخوة الجزائريين وغيرهم من المسلمين في الأقطار الأوروبية وانتهت في الساعة الحادية عشرة.

الأتوميوم أو رمز السوق الأوروبية المشتركة:

زرنا هذا النصب الذي يسمونه الأتوميوم في هذه الساعة من الليل بالذات، لأنه ينار فيكون له رونق وجمال لا يكون له في النهار، وقد أقيم في بروكسل مقر السوق الأوروبية المشتركة عند مرور سنة واحدة على إنشاء السوق، وذلك في حي يسمى (قران بلاس) أي القصر الكبير، ويتألف مما يشبه العمود العالي المجوف في جوفه مصعد صغير يتسع لثمانية أشخاص، وقد علقت به كرات ضخمة على عدد الدول التي كانت مشتركة في السوق آنذاك.

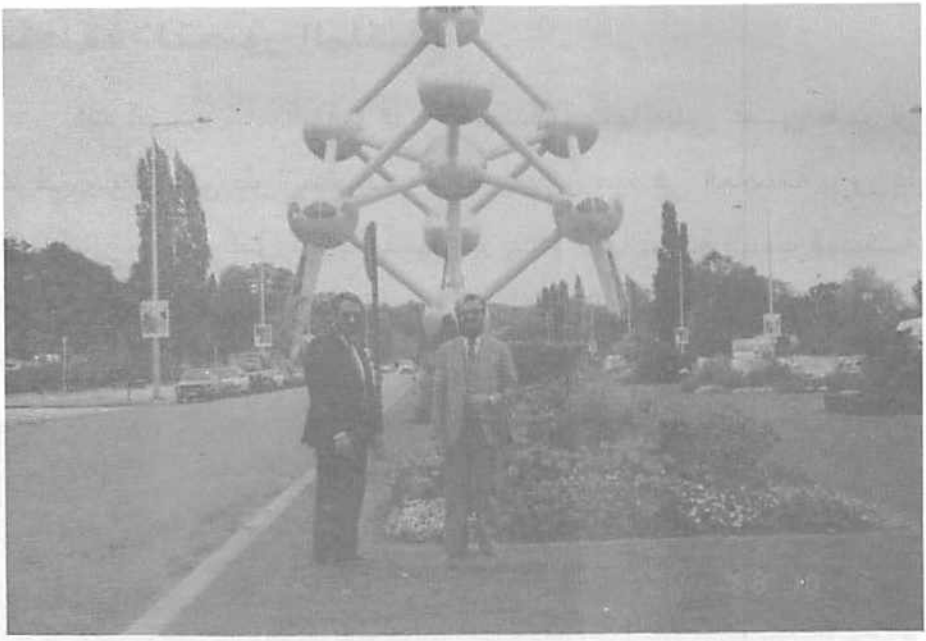

عند رمز السوق الأوروبية المشتركة مع الأستاذ الأهدل

وفي وسط هذه الكرات تقوب تسطع منها أنوار بصفة خاصة فتبدو تتلامع كأنها النجوم عند تحرك هذه الكرات.

وهي من الضخامة والارتفاع بحيث أن أعلاها يساوي ارتفاع عدة طوابق، ولا يمكن تصويرها ليلاً، إلا بطريقة فنية خاصة لأن أنوارها تدخل في بؤرة المصورة فتفسدها.

وقد نسقوا الساحة التي تقع فيها تنسيقاً بديعاً من زهور جميلة في مناطق محدودة مخططة تخطيطاً فنياً إلى تجميل الأشجار التي فيها بصفة خاصة، وأمام هذا النصب أو الرمز الفني الجميل لقيام منظمة السوق الأوروبية المشتركة يقع مقر معرض صناعي مهم.

منطقة القصور الملكية:

هذه قصور شاهقة ذات أبراج متعددة بعضها مبني على طراز شرقي وآخر على طراز غريب وتحيط بميدان مهم في العاصمة يزورها كل من يزور بروكسل لرؤية بنائها الغريب ولأنها بمثابة قلب المدينة القديم وتسمى بالقصور الملكية مع أن الملك وباقي أفراد الأسرة الملكية لا يسكنون فيها.

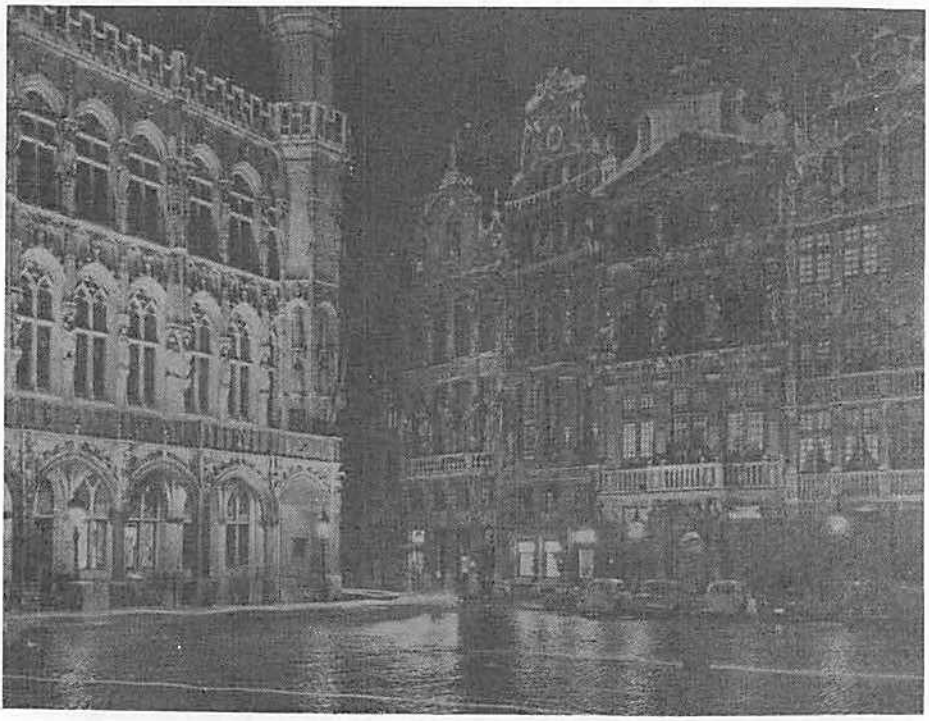

القصر الكبير في بروكسل في الليل

وقد رأيت فيها في هذه الساعة المتأخرة من الليل جماعة من الشرطة يمنعون السيارات أن تقف فيها، محافظة على أن يبقى المرور منها سهلاً وهي تحيط بميدان يسمى باسمها هو الذي يمنع فيه وقوف

السيارات وكنا في سيارة الأخ الأهدل، فأردنا أن نقف لاستجلاء منظرها ونحن في السيارة فأسرع الشرطي يطلب منها عدم الوقوف.

وفيها جزء مبني على طراز البناء الإسلامي تعلوه منارة عالية كمنارة المسجد ويعتبرونها هنا من المعالم التاريخية لمدينة بروكسل، مع أنها ليست موغلة في التاريخ ولكن آثار البناء القديم في بلادهم قليلة، لذلك اعتبروا هذه وأمثالها تاريخية قديمة، ولو كان لديهم ما لدى البلدان العربية مثل مصر التي تضم آثارا ترجع إلى خمسة آلاف عام ومثل سوريا التي فيها آثار رومانية وآثار إسلامية قديمة لكان اهتمامهم بها أقل.

ثم عدت إلى الفندق عند منتصف الليل في الثانية عشرة.

يوم الأربعاء ١٤٠٩/٢/٢٤هـ:

وجدت في غرفتي بطاقة جميلة موضوعة في ظرف مكتوب عليه اسمي كاملاً، تقول: إنه يسر مدير فندق حياة رجنسي بروكسل أن يدعوكم لحضور حفلة كوكتيل تستمر من الساعة السادسة والنصف إلى السابعة والنصف تكريما لنزلاء الفندق، من أجل أن يتعارف بعضهم مع بعض.

وقد عجبت من هذه العناية بالضيوف التي قصد منها الدعاية للفندق ولن أتمكن من حضور هذه الحفلة لأنني سأغادر بروكسل في ذلك الموعد بإذن الله، وحتى لو كنت مقيما فإنني لن أحضرها لأنها كوكتيل، وعمادها في العادة الشراب، والالتقاء بالأتراب، حتى ممن في سن الشباب.

الاجتماع بموظفي المركز:

المركز الثقافي الإسلامي في بروكسل تابع لرابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد فهي تنفق عليه، وتعين مديره الذي يسمى إمام المركز، وتدفع رواتب العاملين فيه، ماعدا قلة ممن تدفع حكوماتهم رواتبهم مثل ثلاثة من مشايخ الأزهر يعملون في المركز مبتعثين من الأزهر نفسه، وعلى نفقته.

صورة تذكارية مع موظفي المركز الإسلامي في بروكسل

ولذلك طلب موظفو المركز من الأخ عبدالله الأهدل تنظيم اجتماع معي خاص بهم لبحث أوضاعهم، وطرح شكاواهم من بعض الأشياء.

فكان ذلك ضحى هذا اليوم حضره أكثر من عشرين منهم وألقى

أحدهم كلمة بالنيابة عنهم تضمنت ما ذكر وجرت معهم مناقشة طويلة في كل ذلك، وكان أهم ما بحثوه نقص رواتبهم التي ترسلها الرابطة نتيجة لانخفاض قيمة الدولار الأمريكي بالنسبة إلى قيمة الفرنك البلجيكي وغيره من العملات الأوروبية فالرواتب لم تنقص لما كانت عليه بالريال السعودي ولا بالدولار الأمريكي ولكنها نقصت عما كانت عليه بالنسبة إلى الفرنك البلجيكي الذي هو عملة هذه البلاد وبه يشترون، ومنه ينفقون.

الحديقة الخمسينية:

هكذا يسمونها نسبة إلى كونها فتحت بعد مرور خمسين سنة على استقلال هذه البلاد البلجيكية.

عند بوابة الحديقة الخمسينية في بروكسل

وهي مهمة جداً وأهميتها لنا أن المركز الثقافي الإسلامي يقع في ركن منها، بل كان موضعه جزءاً لا يتجزأ منها إلى أن أهداه الملك بودوان ملك بلجيكا للملك فيصل بن عبدالعزيز أثناء زيارته لبلجيكا من أجل أن يكون مركزاً إسلامياً، نظراً لأهمية موقعه وكونه بني على طراز إسلامي تعلوه منارة شاهقة كأنها منارة مسجد جامع.

وقد قصد بانوه في ذلك الإطراف والفائدة من رؤية هذا المبنى على الطراز الإسلامي في بلادهم، وهو أمر كان شائعاً عند كثير من الدول فمثلاً في حديقة تيفولي الشهيرة في كوبنهاجن عاصمة الدانمارك توجد أبنية على أطرزة مختلفة منها واحد بني على الطراز الإسلامي.

وتحيط هذه الحديقة الخمسينية بالمركز الإسلامي من جميع جهاته إلا من جهة مدخله من الشارع فإنه يقطع استدارة الحديقة عليه.

وتطل الحديقة من إحدى الجهات على ميدان غير واسع ولكنه بالغ الأهمية من حيث وجود مبنى السوق الأوروبية المشتركة عليه، ولكونه سيكون أيضاً عليه مبنى البرلمان الأوروبي الذي لا يزال العمل في بنائه جارياً.

والطريف في أمر هذه الحديقة أنها غير مقسمة في الوسط بين القسم الفرنسي والقسم الفلمنكي من العاصمة بخلاف بقية الأشياء المهمة فيها.

فما كان من هذه الحديقة جهة الجنوب فهو فرنسي وما كان منها جهة الشمال فهو فلمنكي ولكن وسطها يمثل الوحدة الوطنية.

وقيل لنا: إن البيوت في الجانبين من هذه الحديقة يتكلمان لغة مختلفة فالجنوب يتكلم فرنسية والشمال يتكلم الفلمنكية.

قالوا: وأسهمت هذه الحديقة في حل إشكال واجه بابا الفاتيكان

عندما زار العاصمة البلجيكية، وكان من عادته أن يقبل أرض الدولة التي يزورها وفي بلجيكا كان من الصعب أن يحدد المكان الذي يقبله من العاصمة لأنه لا يليق أن يقبل قسماً من أرض البلاد دون سائر الأرض كالمطار مثلاً الذي يقع في القسم الفلمنكي أو القصر الملكي الذي يقع في المنطقة الفرنسية، قالوا: فقبل أرض هذه الحديقة الخمسينية التي تعتبر أرضاً غير مقسمة بين الفريقين، بمعنى أنها ليست كلها واقعة في قسم من القسمين دون غيره.

وكنا نتجول في الحديقة وأوراق الأشجار فيها مثل باقي أشجار المدينة تتساقط بسرعة حتى إنها تجلل السيارة التي تقف تحتها.

ولذلك رأينا عدداً من العمال معهم عربات خاصة تشبه الجرارات الزراعية الصغيرة وهي تنظف أرض الحديقة من هذه الأوراق الصفر المتساقطة، والغريب أن بعضها ليس أصفر جافاً تماماً، ومع ذلك يتساقط بكثرة.

ولكن الريح التي كانت تهب شمالية كانت باردة ذكرتني بريح كانت تهب جنوبية باردة في أقصى جنوب الأرض، وهو الجزيرة الجنوبية من نيوزلندا شرقي استراليا.

وقال لي أصحابنا هنا: إن هذه الريح الباردة التي هبت اليوم ليست هي السبب في سقوط أوراق الأشجار لأن اليوم الذي قدمت فيه كان شامساً دافئاً، ولكن السبب هو حلول موعد سقوطها ففي شهر أكتوبر يبدأ سقوط هذه الأوراق سواء أكانت هناك ريح باردة أم لم تكن.

ولقد رأيت من أمر هذه الأوراق المتساقطة من الأشجار أمس واليوم شيئاً متعباً لعمال النظافة لأنها ملأت الأرصفة والساحات المشجرة، وصارت الريح تطيرها فتنشرها في الأرض.

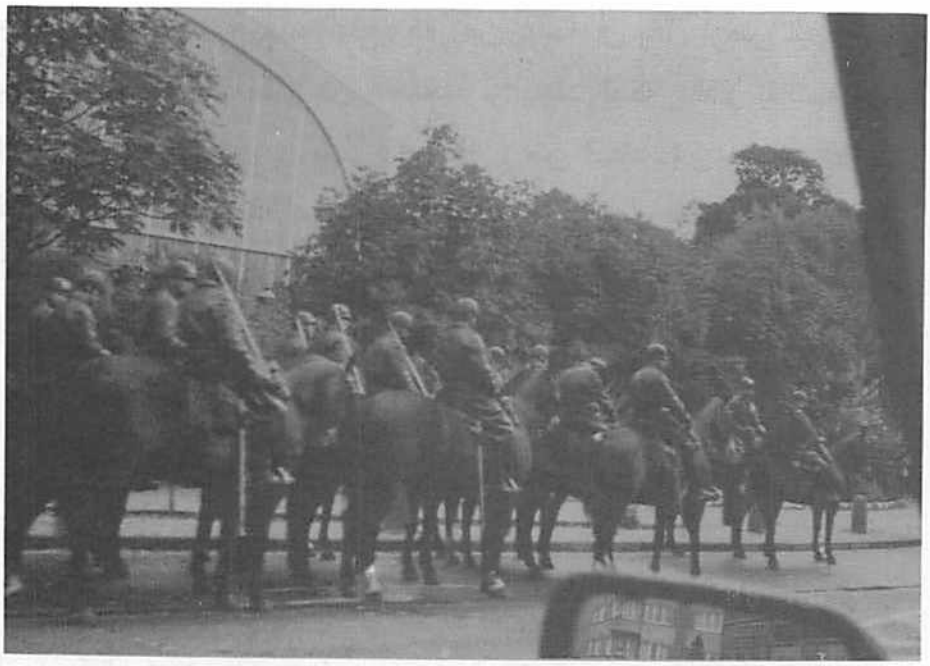

كوكبة من الخيالة في الحديقة الخمسينية في بروكسل

وكانت لنا وقفة في جانب آخر من هذه الحديقة الخمسينية وهو ميدان أمام بوابة تصل إليها اسمها (تيرفبورن) تشبه قوس النصر في باريس رأينا جنوداً من الخيالة، وراكبي الدراجات النارية يتجمعون فيها وهم في زي لهم عجيب، ولسنابك خيولهم وقع على أرض الشارع يكاد يكون متناسقاً، وذلك في منظر لهم جميل.

إلى واترلو:

(واترلو) موضع اشتهر في أوروبا كلها وكان ذا أثر حاسم في تاريخها لكونه وقعت فيه معركة فاصلة بين بريطانيا وحلفائها من جهة وبين فرنسا حيث تواجهت تلك القوات في ١٨ يونيو عام ١٨١٥م، وهي من الوقعات التي غيرت مجرى التاريخ الأوروبي.

وقد بلغ من ضخامة تلك المعركة أنه قتل فيها ما يقدر بأربعين ألف جندي وسقط فيها عشرة آلاف جواد بسبب هجمات قوة الفرسان الفرنسية المتتالية على مشاة القوات المتحالفة.

ويقدر عدد الجنود الذين اشتركوا في المعركة بمائة وثمانية وثلاثين ألف جندي منهم ٦٧ ألف جواد، بريطاني وهولندي وبلجيكي من القوات المتحالفة في مواجهة ٧٧ ألف جندي فرنسي.

وتقع قرية (واترلو) التي نشأت بالقرب من مكان الموقعة على مسافة ٢٥ كيلومتراً من بروكسل.

اخترقنا شوارع بروكسل الفاخرة، حتى خرجنا إلى الريف مع طريق جيد تحيط به أشجار الغابات التي تكاد تغلقه بكثافتها وهي- بالفعل- تغلق البصر دون أن يرى ما خلفها من الطريق، فقد حافظوا عليها هكذا طبيعية دون أن يسمحوا حتى بتهذيبها أو تشذيبها.

وجدناهم قد بنوا في (واترلو) بناء يشبه الأهرام يعلوه تمثال أسد ضخم وقيل لنا: إن هذا الأهرام بني من التراب الذي تحولت إليه جثث الجنود وهذا مبالغة مثله في ذلك مثل سبب الخصب العظيم الذي رأيناه في تربة المنطقة، وهي سوداء رأينا فيها مزارع للخضروات وقال أحد العامة: إنها صارت خصبة هكذا من جثث الجنود.

وهذا لو فرض أنه كان صحيحا في أول الأمر فإنه لا يستمر بعد ذلك.

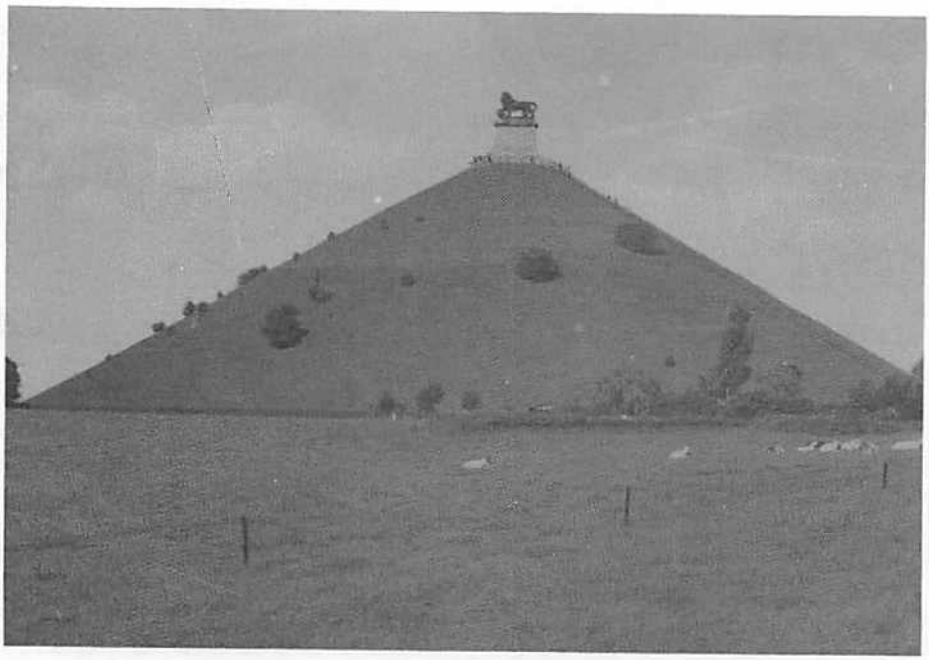

الهرم عليه الأسد في واترلو

كانت الريح باردة والمطر ينزل رذاذاً بعد أن كان نزل في الصباح ولم تنجل السماء، ودخلنا متجراً صغيراً في القرية التي نشأت بجانب الموقع وتسمى (واترلو) يبيع صوراً تذكارية ومصنوعات يدوية محلية.

أما القرية فإنها نشأت صغيرة وما تزال كذلك فالعادة في مثل هذه البلدان الأوروبية المتعلمة ألا يكون هناك انفجار سكاني يجعل كل القرى والمدن تتضخم على الأيام تضخماً سريعاً.

العودة إلى بروكسل:

لم ننفق كثير وقت في (واترلو) وإنما أسرعنا بالعودة إلى بروكسل لأن لدينا سفراً إلى مدينة (انتورب) ثانية المدن في بلجيكا وهي التي مررنا بها عندما سافرنا إلى هولندا ولم نقف.

فسلكنا عند العودة طريقاً أخرى قبيل دخول المدينة، وكانت سيارات الشحن كثيرة على هذا الطريق أكثر مما هو متوقع ومنها سيارات محملة بالأخشاب المفصلة إلى قطع معينة.

ومررنا قبل الوصول بمنطقة صناعية اسمها (فيل فورد) يشقها الطريق السريع، وعلى اليمين منا مفاعل نووي يولد الطاقة الكهربائية ويوفر منها مقادير كبيرة ربما كانت هي السبب الذي مكن البلجيكيين من إنارة جميع الطرق في بلادهم بالكهرباء حتى عرفت بالبلاد التي لا تعرف الظلام كما سبق.

وفي منطقة (فيل فورد) هذه ثلاثة مساجد اثنان منها قدمت الرابطة مساعدة لهما، وهي متصلة بمدينة بروكسل.

وذهبنا إلى (الاتوميوم) رمز السوق الأوروبية المشتركة فالتقطت له صوراً في النهار لم أستطع التقاطها في الليل.

إلى مدينة انتورب:

وهي ثانية المدن البلجيكية تقع على خليج متصل ببحر الشمال ولذا هي ميناء مهم، وفيها عدد من المساجد لذلك وضع المسئولون في المركز فقرة لزيارتها في برنامج الزيارة الذي كان يمتد في الأصل إلى يوم الجمعة، ولكنني لم أتمكن من إكماله بسبب اضطراري للسفر إلى البرازيل هذه الليلة.

غادرنا بروكسل إلى (انتورب) دون أن يصحبنا الأخ الأهدل لأنه كان لديه اجتماع مقرر في وزارة العدل لأمور تتعلق بالمركز وأناب عنه الأخ (عبدالمنعم البرقاشي) نائب مدير المركز وهو من المغرب، وهو الذي يسوق السيارة بنفسه.

شارع بوثانيك في بروكسل

وركب معنا في السيارة الدكتور علي الكنيفي من مصر ويشغل وظيفة مهمة في المركز، والأستاذ إبراهيم بوالهنا من المغرب وهو مسئول عن التعليم الإسلامي بالفرنسية في المركز.

كان المطر يهطل وكنا مشفقين من ضيق الوقت، إذ يتضمن البرنامج تناول الغداء مغربياً خالصاً في بيت أحد الإخوة المسلمين هناك ثم زيارة مسجد الوحدة للمسلمين في المدينة، والاجتماع بأهله، وإن اتسع الوقت لغير ذلك زرنا مساجد أخرى قبل العودة إلى بروكسل لمغادرتها إلى البرازيل عن طريق مطار فرانكفورت في ألمانيا.

وقد منعنا المطر الذي كان يهطل مدراراً من الإسراع في السير فلم نصل إلا في الواحدة وهو الموعد الذي كان مقرراً أن ننتهي فيه من تناول الغداء.

قصدنا منزل الأخ الحاج عزوز محمد من ناحية السادي في المغرب وهو عامل متقاعد وبيته من طبقة واحدة نظيف وهو مؤجر بأجرة مخفضة من شركة تعاونية اجتماعية، ومعه الأخ (الآدمي إدريسي أحمد) من ناحية فاس في المغرب أيضاً، وهو إمام جامع الوحدة للمسلمين في هذه المدينة مدينة (انتورب).

والأخ ولاّد محمد عبده نائب الإمام، ثم حضر رئيس جمعية المسجد الأخ (الحراق محمد) وهو مغربي أيضاً.

فانتظمت في قاعة الجلوس في بيت هذا الأخ المغربي الكريم جلسة أخوية مفيدة.

وكانت الموائد قد وضعت عليها أنواع النُّقل وهو الذي يسمى الآن بالمكسرات من أغلى الأنواع، وزجاجات الشراب الحلال.

ومضينا في حديث طويل مفيد عن أحوال المسلمين في هذه البلاد الأوروبية بعامة، وفي هذه المدينة بخاصة.

ثم صحونا لضيق الوقت فأستاذنا بالانصراف غير أن القوم استمهلونا، وأشاروا إلى أن الغداء قادم، ثم جاء الشاي المغربي الأخضر المعطر ومعه الشاي الشرقي الذي يسمونه في المغرب بالأكحل بمعنى الأسود لأنهم يسمون الأسود أكحل على اعتبار أنه في لون الكحل.

حديث المساجد في أنتورب:

كان من الحديث المفيد عن المساجد في هذه المدينة المهمة من مدن بلجيكا ما قاله الإخوة أن المسجد الذي قاموا على تأسيسه، وهم يتعهدونه الآن وهو مسجد الوحدة للمسلمين ومعناه (مسجد وحدة المسلمين) قد كان في أول الأمر مركزاً في بيت معتاد ويسمونه المسجد القديم ذكروا أنه أسس في عام ١٩٧٩م، وهو ثاني المساجد تأسيساً في المدينة.

أما المسجد الجديد فقد اشتروه في عام ١٩٨٤م وهو بعيد عن موقع القديم، وذكروا أن مجموع المساجد في مدينة انتورب هو ٢٥ خمسة وعشرون مسجداً ١٧ منها للعرب الذين أكثرهم من المغاربة، و٧ مساجد للأتراك ومسجد واحد للهنود.

وكرروا ما ذكره غيرهم من أن مرجع نسبة المساجد إلى العرب أو الأتراك هو بسبب اللغة، حيث إن الأتراك لا يستفيدون من الدروس التي تلقى بالعربية مثلاً.

وأن المسلمين من جميع الأجناس يحضرون الصلاة في أي مسجد من المساجد دون أي فرق بينهم وبين أهله الذين قاموا على تأسيسه كما هو ظاهر.

وبعد فترة من الوقت بدأت المائدة مغربية سخية، بل غاية في السخاء والمائدة المغربية تأتي شيئاً فشيئاً وعليك أن تتخذ الاحتياط لنفسك فلا تملأ بطنك من الطعام الذي يقدم في أول الأمر فقد يكون بعده طعام هو أحب إلى نفسك أن تأكل منه ولكنك لا تجد له مساغاً.

وهكذا بدأت المائدة اليوم بخروف مصلي وهو المطبوخ على وهج النار وقد قسموه في إناءين من أجل أن تتسع المائدة للإخوة الحاضرين، وقد تحلق

حول كل مائدة طائفة من الإخوة، وجاءوا معه بالخبز المغربي الثقيل الوزن، اللذيذ الطعم، فأكلنا ما شئنا دون أن يخبرنا مخبر أن هناك طعاما آخر سيحضر، كما جاءوا بالسلطة بسخاء ظاهر رغم ارتفاع ثمنها في هذه البلاد.

ثم جاء صاحب البيت الأخ العزيز (عزوز محمد) بالفاكهة أنواعاً منوعة في كثرة لافتة للنظر.

ولم نفرغ من الغداء إلا في الرابعة وكان المقرر أن نفرغ في الثانية.

في مسجد الوحدة للمسلمين:

أسرعنا بالسيارة إلى زيارة الإخوة المجتمعين في المسجد الذين لم يحضروا المأدبة التي كانت موضوعة في البرنامج وكان المطر لا يزال ينزل والوقت متأخرا، إذْ عليَّ أن أكون في مطار بروكسل في الخامسة والنصف على أبعد تقدير لأن من المقرر أن أغادرها إلى فرانكفورت بعد السادسة بقليل.

فألقيت كلمة عجلى في المجتمعين في المسجد الذين أبدوا تبرمهم من تأخرنا في القدوم عليهم وكان قيل لهم: إنني سأحضر قبل ذلك، ولم أكن أنا قد علمت باجتماعهم، وإنما كنت أظن أننا سنزور المسجد بعد الغداء.

واعتذرنا إليهم بضيق الوقت، وبأنني لا أستطيع أن أبقى لأن عليَّ أن أعود إلى بروكسل ومن هناك أخرج للمطار فعذرني أكثرهم وأظهروا اقتناعهم، غير أن أحدهم رفع صوته قائلا: ما هذا؟ طلبنا أن نجتمع معك في بروكسل ولم نحضر الاجتماع؟، والآن نحن ننتظر منذ فترة ولم يتيسر، إن هذا تلاعب ممن وضع البرنامج.

وكان هذا موقفاً مؤسفاً لي داعياً للإحراج، ولكن ماذا أفعل والأمر ليس بيدي.

العودة إلى بروكسل:

انتدب الأخ الحراق محمد رئيس جمعية المسجد بأن يدلنا على طريق الخروج إلى الطريق السريع لأننا كنا في حي سكني داخل المدينة ويصعب الاهتداء بسرعة إلى الطريق.

ثم تركنا عندما وصلنا الخط السريع، وكان المطر لا يزال يهطل وهطوله يعطل سرعة السير، لأن الشاحنات الكثيرة الضخمة التي تسير في الطريق تخوض مياه المطر تنشر عجلاتها فيضاناً من المياه على هيئة رشاش يتجمع كالضباب على يمين السيارة ويسارها فلا يرى السائق الذي يكون خلفها الطريق أمامه.

ووصلنا بروكسل في وقت مناسب غير أن القوم ذكروا أن المشكل هو ما اسموه بعنق الزجاجة وهو وسط المدينة في هذه الساعة التي هي ساعة انصراف الموظفين وتقارب الخامسة فنزل أحدهم يجري على قدميه، ووجد الأخ الأهدل وكانت حقائبي في سيارته وهو واقف في الشارع، وقد بلغت الساعة الخامسة والثلث فأسرعنا بالذهاب إلى المطار.

وانتهت إجراءات الترحيل بسرعة فائقة لأن مكتب الدرجة الأولى ليس عليه أحد، والقوم متقدمون في الإدارة، فأسرعت إلى مسجد المطار لصلاة العصر.

ووجدت السفير الأخ إبراهيم بكر جزاه الله خيراً في المطار قد خرج لتوديعي ومعه أركان السفارة ومدير مكتب الخطوط السعودية، فوقعنا محضراً في المطار وقعنا مسودته في ختام الاجتماع في السفارة.

وانتهزنا الفرصة لالتقاط صورة تذكارية داخل المسجد في مطار بروكسل وهو صغير المساحة إلا أنه جميل البناء والأثاث، وذو مظهر إسلامي أيضاً في البناء تقر به عين كل مسلم يصل إلى هذا المطار حتى لو

لم يكن داخلاً إلى مدينة بروكسل، لأنه في منطقة العابرين التي هـــي منطقـــة المغادرة الدولية، لاسيما أنهم قد كتبوا لافتات بعدة لغات تشير إلى مكانه.

عند محراب مسجد المطار ويظهر في الصورة عن يسار المؤلف سفيرخادم الحرمين الشريفين ببلجيكا الشيخ إبراهيم بكر وبجوار السفير الوزير المفوض عمر بامانع وعن يمين المؤلف مدير المركز عبدالله محمد الأهدل وبجواره الوزير المفوض الدكتور فيصل محمد حسين زيدان

من بروكسل إلى فرانكفورت:

شحنت حقيبتي من بروكسل إلى (ريودي جانيرو) في البرازيل لأنه من المقرر أن أبقى في مطار فرانكفورت ساعتين ونصفاً أغادر بعـــدها إلى (ريودي جانيرو) في البرازيل.

وغادرت شركة لوفتهانزا الألمانية للطيران في الساعة السابعة إلا ربعاً على طائرة من طراز بوينج ٧٣٧ وقد تأخرت عن موعدها المحدد في الأصل عشر دقائق وهو لا يعد تأخيراً كما قدمت.

ولم يكن في مقاعد الدرجة الأولى أحد سواي، فهي كلها خالية، مع أنه ليس فيها إلا ثمانية مقاعد في صفين، كل صف أربعة مقاعد، أما الدرجة السياحية فإنها مليئة كلها بحيث لم أر فيها مقعداً واحداً خالياً.

وكلهم من الأوروبيين أو ذوي المظهر الأوروبي.

والواقع أنني جعلت أتأمل الموضوع والأوروبيون كلهم في السياحية وأنا وحدي في الدرجة الأولى، ووجدتني أقول لنفسي: إنني لو كنت في مكانهم لما ركبت إلا السياحية لأنهم يتميزون بالنظافة والنظام، والأدب مع الجار في المقعد.

فهل العربي أغنى، أم أسخى؟ أم الأمر غير هذا وذاك؟

وقد ظهرت مدارج مطار بروكسل وهي مضاءة بقوة ربما كان مصدرها وفرة الكهرباء عندهم لكونهم يحصلون عليها من المحطة الذرية.

كما بدت المدينة عندما قامت الطائرة تتلألأ شوارعها بالأنوار القوية، وكانت ضيافة الدرجة الأولى سرطاناً من سرطانات البحر بعد المقدمات المعتادة من الاربيان وهو الروبيان بالعامية، أو الجمبري عند المصريين، وكان الطبق الرئيسي من لحم البط معه البطاطس والخضرات، ونوعان من العنب هما فاكهة العشاء مع الحلوى.

ولم يكن في أسفل الطائرة ما يشغل النظر لأن الوقت ليل، والجو غائم في بعض الأماكن وإن لم يكن غيماً مطبقاً، وإذا تكشف الغيم لم يعدم الناظر تحته أنواراً ساطعة على الأرض، لأن القارة الأوروبية كلها معمورة، وقرى الريف كلها مكهربة.

في مطار فرانكفورت:

قبيل الوصول إلى مطار فرانكفورت انكشف الغيم فظهرت الأرض الألمانية ساطعة الأنوار، حتى كدنا نصل فاتضحت المدينة وما حولها تسبح في الأنوار، ولكن شوارعها كما تبدو من أضوائها ليست مستقيمة في امتدادها كما في شوارع الأحياء الحديثة في جدة والرياض.

وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن درجة الحرارة في فرانكفورت هي الآن (١٤) درجة مئوية وهذه درجة مناسبة غير أنني لن أدخل المدينة.

هبطت الطائرة في مطار فرانكفورت في السابعة والنصف بعد طيران استمر (٤٥) دقيقة وجددت عهداً مضى عليه ثلاث سنين بهذا المطار عندما وصلت إليه نهاراً وأنا قادم من وارسو عاصمة بولندا بعد زيارة رسمية لها للإطلاع على أحوال المسلمين هناك.

وأفضى بنا الدخول إلى قاعة المغادرة وهي قاعة العابرين في المطار، ومنها تتفرع البوابات التي تغادرها الطائرات، ولكن هذه القاعة التي هي أشبه بعدة قاعات تتصل بعضها ببعض هي أقل مما هي عليه المطار من سمعة في اذهان الناس، فهي أقل مظهراً وتنظيماً فضلاً عن أنها أقل مستوى في الناحية الفنية من مطار شارل ديغول أحد المطارات الثلاثة الكبيرة لمدينة باريس.

وليس معنى هذا أن الألمان قد قصروا بهذا المطار عن أن تكون فيه جميع الوسائل التي تجعله مطاراً حديثاً مؤهلاً لتسيير حركة الطيران العالمي الذي يمر به، وإنما لكون مطار شارل ديغول هو أحسن منه مظهراً، وأجود فناً، وأكثر تنظيماً.

وقد حفل هذا المطار وكأنه أحد المطارات المتعددة في لندن

بالمسافرين من ألوان مختلفة ولكنه دون مطار لندن المشار إليه.

كانت رحلتي إلى ريودي جانيرو مع الخطوط البرازيلية العالمية المسماة (فارج) حسبما حجزته لي الخطوط السعودية في بروكسل، ولكنني لم أجد من يمثل الشركة حاضراً في المطار عند وصولي وذلك من أجل أن أطمئن على كون حقيبتي قد شحنت بالفعل إلى ريودي جانيرو، ولكنني وجدت من الموظفات في شركات الطيران الأخرى في المطار من طمأنتني على ذلك وأخبرتني أن موظفو الشركة البرازيلية سيحضرون إلى مكاتب الترحيل قبل قيام الطائرة بساعة ونصف.

فاشتريت عدد اليوم من صحيفة الشرق الأوسط السعودية، وهي موجودة في كل المطارات الرئيسية في أوروبا وجعلت أتسلى بقراءتها في القاعة العامة مع سائر الركاب، ولو كان موظفو الشركة قد بكروا بالحضور لكان من الممكن أن يدخلوني قاعة ركاب الدرجة الأولى.

ثم نادى المنادي على ركاب الطائرة البرازيلية فانطلقت جموع من الناس ذات مظهر برازيلي ولغة لاتينية مميزة، ولو لا أنهم خصصوا لركاب الدرجة الأولى مكتباً خاصاً لتعبت في الوقوف والانتظار مع العلم بأن هذا المكتب خاص بالركاب العابرين، أما الذين ركبوا من فرانكفورت بالفعل فإنهم قد انهوا إجراءات سفرهم في المكاتب المعتادة وهي كثر.

وبعد أن ازدحم الركن المخصص قبل بوابة المغادرة بالركاب حتى لم يجد بعضهم فيه مقعداً صاروا ينادون على الركاب الذين مقاعدهم في آخر الطائرة مجموعة مجموعة إلى أن جاء دور ركاب الدرجة الأولى.

والحديث عن الرحلة إلى البرازيل له كتب أخرى والله المستعان.

الإسلام والمسلمون في بلجيكا

المسلمون في بلجيكا (٥٠٠) ألف، ٥٠./. في العاصمة، و٢٠./. في أسوارى (الماس) ثم في منقطة لياج وشارلوا ثم مونيس على الترتيب.

والمسلمون ككل الأتراك أكثر في القسم الفلمنكي والعرب أكثر في القسم الفرنسي. وأكثر المسلمين جاءوا عمال مناجم الفحم من عرب وأتراك.

وهذا تقرير بعث به المركز الإسلامي في بلجيكا إلى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، وهو صادر عن خبرة بالموضوع، وتجربة للوضع.

قال التقرير:

إن المراقب لحياة الجالية المسلمة في بلجيكا، ولحركة العمل الإسلامي هناك، يجد- بلا معاناة- أن خطراً يهدد أمر الإسلام والمسلمين في هذه البلاد ألا وهو: ضياع الجيلين الثاني والثالث من أولاد المسلمين في قاع الحياة الأوروبية.

فمنذ أن توافد العمال من شمال إفريقية وتركيا في الستينات والسبعينات من هذا القرن للعمل في بلجيكا، استقر بهم المقام في هذه البلاد، وقد اصطحب البعض منهم أسرهم، وأسس البعض الآخر أسراً في المهجر، ومع الأيام بدأت تظهر على السطح مشكلة الأبناء والبنات، وكيفية تربيتهم وتنشئتهم دينياً واجتماعياً وثقافياً، في الوقت الذي يفتقر فيه العامل المهاجر إلى الوعي الديني والثقافي، وبطبيعة الحال لم يجد الطفل وولي أمره أمامهما إلا الحضانة البلجيكية والمدرسة البلجيكية والشارع البلجيكي وجمعيات الرعاية الاجتماعية البلجيكية، وكلها ذات طبيعة مختلفة دينياً واجتماعياً وثقافياً، بدأت الفجوة تتسع رويداً بين الأبناء والآباء واشتعل صراع الأجيال، وسادت الغربة الجميع، وبدأ الشارع

يستقطب الأبناء، مما نجم عنه ما يلي:

١- تشير إحصاءات الأمن في بلجيكا إلى أن أبناء الجيل الثاني من المغتربين المسلمين يمثلون نسبة مؤسفة (إذا قورنت بعددها الكلي) في مجال جرائم الأحداث والسرقات والتورط في المخدرات والخمور.

٢- استقطبت الجهات المشبوهة بعض أطفال المسلمين، وهيئتهم لأعمال العنف والتطرف.

٣- أصبح من المألوف أن تجد الأسرة المسلمة تتردد على دور الرعاية الاجتماعية ومراكز الشرطة كأطراف في قضية صراع الأجيال مع أبنائهم وبناتهم.

٤- درجت بعض الدول العربية على أن توفد بعثات من المدرسين لتعليم اللغة العربية لأبناء جاليتها بواسطة الكتاب المدرسي في البلد الأم، مما زاد في تنفير الطفل من اللغة العربية، وازداد بذلك عدد الذين استعجم لسانهم.

ولم يقف المركز الإسلامي والثقافي ببلجيكا مكتوف اليدين أمام هذه الظاهرة الخطيرة، التي تعتبر لب وجوهر العمل الإسلامي في بلاد المهجر، وبعد تشخيص الداء، تمت دراسة متأنية لأسباب هذه الظاهرة، وطرق علاجها؛ حتى تحفظ للشباب إسلامه، وللبيت المسلم كيانه، وتنقذ هذا الجيل البائس من الضياع والتشرد.

وكان العلاج الناجع، يتمثل في تأسيس معهد ينتهج أسلوبا متطورا لجذب الشباب من الجنسين حتى يكونوا نواته، ويتلخص هذا الأسلوب المتطور فيما يلي:

١- تكوين الفرق الرياضية من الشباب، وفتح باب المنافسة بينهم في الألعاب الرياضة المختلفة.

٢- إنشاء فريق الجوالة والعشائر.

٣- فتح المجال أمام أصحاب المواهب الفنية باختلاف أنواعها.

٤- تنظيم الرحلات الداخلية والخارجية.

ويتمّ تحقيق ذلك كله من خلال مشرفين مخلصين جادين في رسالتهم مؤهلين لذلك تأهيلاً جيداً، حتى يبثوا بين الشباب- على مختلف أعمارهم- مبادئ، وتقاليد الإسلام الأصيلة، ورويداً، رويداً، يمكن لهم الانتظام في دروس المعهد التي تعدّهم كمدرسين وأئمة ودعاة.

ولم يكن الوقت أكثر إلحاحاً مثلما هو الآن لتأسيس مثل هذا المعهد لخدمة هدفين عظيمين:

١- إنقاذ الجيل الثاني من الضياع.

٢- إحكام قبضة المسلمين على التعليم الإسلامي وإلا فقده المسلمون إلى الأبد.

ولعل في السطور القليلة الآتية بياناً واضحاً للحاجة الماسة لوجود مثل هذا المعهد:

أولاً: منذ أن اعترفت الحكومة البلجيكية بالإسلام كدين رسمي يمارس معتنقوه شعائره بحريّة، وكان ذلك في عام ١٩٧٤م، أصبحت مادّة التربية الإسلامية مقرراً رسمياً في المدارس البلجيكية، الحكومية منها والخاصة، ويقوم بتدريسها مدرّسون مسلمون، في معظمهم غير مؤهلين،

وأحيانا كانت تتوافد بعض البعثات من شمال إفريقيا للمشاركة في العملية التعليمية، واليوم والحكومة البلجيكية تعاني من ازدياد حجم الهجرة والمهاجرين، فإنها تقرّر ألا يكون تعيين مدرسي التربية الإسلامية إلا من أبناء المهاجرين المقيمين في داخل البلاد، وأغلقت باب استقدام المدرسين من خارج البلاد، وهنا أصبحت الحاجة أكثر إلحاحا لتأهيل الجيل الثاني كمدرسين للتربية الإسلامية، وفي حالة الفشل في تحقيق ذلك، فإن الحكومة البلجيكية تلجأ إلى خريجي أقسام اللغات الشرقية والدراسات الإسلامية من الجامعات البلجيكية من مسيحيين حتى تغطي هنا العجز.

ثانيا: عدم تأهيل غالبية المدرسين الحاليين التأهيل الكافي يدفع بالحكومة البجيكية إلى اختلاق المشاكل التربوية من حين لآخر، علاوة على أن مستوى أداء المدرسين ينعكس بطبيعة الحال على الطفل المسلم الذي يواجه أقسى الصراعات الاجتماعية والدينية والثقافية داخل وخارج المدرسة.

ثالثا: في بلجيكا ما يزيد على المائة والثمانين مسجدا، يقوم بمهمة الإمامة وخطبة الجمعة والفتوى والوعظ فيها أناس بسطا، بضاعتهم من العلم ضئيلة، خلطوا في قولهم وسلوكهم بين عادات بلادهم وتعاليم الإسلام، مما أثر تأثيرا سلبيا على مجتمع المسلمين نفسه والرأي العام البلجيكي.

رابعا: تفتّنت أقسام اللغات الشرقية والدراسات الإسلامية بالجامعات البلجيكية في إخراج دراسات أكاديمية ترتدي ثوبا منهجيا علميا عن الإسلام وتعاليمه وحضارته وتاريخه، أقل ما يوجه إليها من نقد أنها كالسوس الذي ينخر العظام، محاولة في ذلك تشويه صورة الإسلام وتمييع مبادئه ونشر الطرق والمذاهب المنحرفة.

خامسا: يتلقف الشارع البلجيكي كل يوم عشرات من شباب المسلمين أبناء الجيل الثاني والثالث، الذين توقفوا في تعليمهم عند نهاية المرحلة الثانوية، وتستقطبهم الهيئات والتنظيمات المنحرفة، وينفصلون رويداً رويداً عن المجتمع الإسلامي وأخلاقه، ويرتمون في أحضان الجريمة ويسقطون ضحايا في جرائم الأحداث، ويصبحون أشدّ خطراً على الإسلام من أعدائه.

سادسا: بلوغ المذاهب ذات الاتجاهات المنحرفة والتي ألصقت نفسها بالإسلام ذروة نشاطها في شمال غرب أوروبا ومنها الاحمدية والسليمانية، وبعض الطرق المنحرفة التي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة.

وإذا ترجمنا الحقائق سابقة الذكر إلى أرقام، تبين لنا ما يلي:

عدد المسلمين في بلجيكا أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ مسلم، وعدد المسلمين في البلاد المجاورة الذين يمكن أن يستفيدوا من المعهد: ما يزيد عن عشرة ملايين مسلم (إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، هولندا، اللوكسمبورج).

عدد الأطفال أبناء الجيل الثاني من المسلمين المقيّدين رسمياً في دروس التربية الإسلامية : ٣٨,٥٩٦.

نسبة الزيادة السنوية فيهم: ١٢./..

عدد مدرسي التربية الإسلامية ٤٠٥ مدرساً (إحصائية ٨٧/٨٦).

وغير ذلك من الأسباب مما يدعو الآن أكثر من أي وقت مضى إلى تأسيس معهد يغطي برنامجه الطموحات إلى مدرس مؤهل، وإمام واع، وداعية متبصر، يعرف كل منهم مهامه جيداً في ديار الغربة.

ويتلخص الوضع الراهن في نقطتين أساسيتين:

١- الجيلان الثاني والثالث في خطر ومصيرهما أمانة في أعناقنا، وإنقاذهما ليس فقط هو جوهر عمل المجلس القاري، ولكن هو جوهر العمل الإسلامي الأصيل.

٢- التعليم الإسلامي في المدارس البلجيكية تجربة فريدة، ويمثل وضعاً خاصاً يتميز به النشاط الإسلامي في بلجيكا، تدفع الحكومة البلجيكية أكثر من سبعة ملايين دولار أمريكي سنوياً كرواتب لمدرسي التربية الإسلامية بالمدارس البلجيكية، وأمام أزمتها الاقتصادية الطاحنة تتحين الفرص من حين لآخر لإلغاء التعليم الإسلامي، حيث يمثل إرهاقاً للميزانية لاسيما وأن ٩٩ في المائة من مدرسي التربية الإسلامية من غير الجنسية البلجيكية، ونفس النسبة تقريباً للذين يتلقون الدروس، في الوقت الذي يعاني فيه الشعب البلجيكي من البطالة، ودعوى الحكومة البلجيكية هي عدم الكفاءة في المدرس، وأنه ليس مؤهلاً التأهيل التربوي اللازم أسوة بزملائه مدرسي الديانة المسيحية واليهودية.

والله نسأل أن يلهمنا التوفيق والسداد والرشاد فيما نصبو إليه لإعلاء كلمته ولخدمة دينه والمسلمين كافة.

قال المركز الإسلامي لبلجيكا:

ولهذا أيها الإخوة في الله فإن هذه الصفحات التي بين أيديكم ليست تقريراً أدبياً كما تعودتم في مثل هذه الجلسات تروى إنجازات جزئية ولكنها هذه المرة سعي جاد لربط حبات العقد ببضعها في حبل متين على أساس من المنهجية لا العشوائية.

وعليه فإننا نقسم هذا البيان إلى ثلاثة أقسام أساسية يتناول القسم الأول منها مقدمة تشتمل على تشخيص الداء وبيان ضرورة وجود المجلس القاري لمساجد أوروبا ويستعرض القسم الثاني نشاطات العمل الإسلامي في بلجيكا وما تحقق من إنجازات عن طريق إثراء رسالة المسجد حاولنا في هذا القسم أن نسرد بعض المنجزات التي تخدم الأهداف التي تسعى رابطة العالم الإسلامي إلى تحقيقها، ونفرد القسم الثالث للحديث عن المعهد الإسلامي لإعداد الأئمة والدعاة والمعلمين.

وأخيرا نختتم هذا البيان بنداء من القلب لإنقاذ التعليم الإسلامي في بلجيكا.

والآن إلى القسم الأول وبالله التوفيق.

القسم الأول: تشخيص الداء:

بادئ ذي بدء تثور أمامنا علامة استفهام كبرى هي: لماذا أسس المجلس القاري لمساجد أوروبا؟ ويجيبنا على الفور نص بيان تأسيس المجالس القارية الصادر بمكة المكرمة في ١٧ ذي القعدة ١٤٠٠هـ ٢٦ سبتمبر ١٩٨٠م قائلاً في مادته الثالثة من باب نظام المجالس القارية للمساجد أن الهدف هو تحقيق أهداف المجلس الأعلى العالمي للمساجد المنصوص عليها في النظام الأساسي، خاصة ما يلي: إعادة الحياة إلى المسجد ورد الاعتبار له بتمكينه من أداء وظائفه الأساسية التي كان يمارسها في صدر الإسلام، بالإضافة إلى ذلك فإن البيان حدد أربعة عشر هدفا أخرى.

ومرت سنوات على إعلان هذا الهدف النبيل، ولكننا نلاحظ أنه منذ ذلك التاريخ تقريباً ارتفعت كثير من المآذن وشيد العديد من المراكز والجمعيات الإسلامية في معظم بقاع أوروبا وذهب مؤسسوها إلى البلاد

الإسلامية سعياً وراء المال جاءت موجة الحماس التي اجتاحت المنظمات الإسلامية والحكومات والمحسنين لدعم النشاط الإسلامي في بلاد الغربة وتبني قضايا المسلمين في أوروبا، وسرعان ما ركب الموجه أصحاب الاتجاهات وتم استقطاب العديد من الجماعات والمراكز الإسلامية لخدمة أهدافها وقضايا الإسلام منها براءٌ.

وازداد حجم نشاطها حتى أساءت طائفة منها إلى الإسلام ولفتت بذلك نظر بعض الحكومات الأوروبية إلى ظاهرة الزحف الذي وصف بالإرهابي الذي يحمل الإسلام عنواناً له من الشرق والغرب القريبين، وبعد أن كانت بعض الحكومات تبسط اليد وتسهل أمور المسلمين بدأ يحدث العكس تماماً، وبات العمل الإسلامي أمراً صعباً يتعرض صاحبه للهلاك بين الجماعات التي تدعي الإسلام وبعض الحكومات التي اختلطت عليها الأمور.

وبعيداً عن التجريد فإننا نذكر الحقائق الموضوعية الآتية:

١- إذا غضضنا الطرف عن المسلم البسيط الذي لا حول له ولا قوة فإننا نجد بعض العناصر النشطة على ساحة العمل الإسلامي، إما موالية لاتجاهات عقائدية مثل: الأحمدية، السليمانية، القاديانية، البهائية، وغيرها أو لاتجاهات سياسية اتخذت من الإسلام شعاراً لها.

٢- بعض الجمعيات والمراكز الإسلامية حصلت على معونات مادية سخية من المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وفي نفس الوقت حصلت على معونات أخرى من بعض الجهات المشبوهة وتورط أصحابها في خدمة أهداف هذه الاتجاهات.

٣- حادت بعض الجمعيات والمراكز الإسلامية عن وظيفتها الأساسية وأصبحت مقراً تشغله المخابرات المحلية لبعض البلدان الأوروبية لخدمة أمتها.

٤- أصبح العمل الإسلامي ملجأ خصباً لبعض العاطلين وأصحاب الحاجات وباحثي المكانة الاجتماعية، من الغريب أنهم تبوءوا قيادة العمل الإسلامي في بعض الأماكن وفي جو الديمقراطية الظاهري في بعض بلدان أوروبا، واستغلت السلطات وجودهم بذكاء لضرب القيادات الإسلامية الحقيقية.

٥- في غيرة التوعية الإسلامية الحقيقية اختلط الإسلام بالعادات والتقاليد الأصلية للمسلمين الوافدة معهم من بلدانهم، وأصبح الإسلام عند رجل الشارع الغربي هو تلك العادات والتقاليد التي يمارسها المسلم بشكل جديد في الشارع والمسجد.

٦- في غيبة الإشراف الحقيقي على بناء المساجد غاب شكل المسجد المعماري المألوف في معظم المساجد، وأصبح المسجد في الغالب الأعم هو شبه مستأجر أو مملوك لا يأخذ هيئة أو هيبة المسجد ويستثنى من ذلك القليل من المساجد، رغم أن حجم المعونات والمساعدات وصل إلى الملايين من الدولارات.

٧- تشير إحصائيات الأمن في بعض الدول الأوروبية إلى أن أبناء الجيل الثاني من المغتربين المسلمين يمثلون نسبة كبيرة (إذا قورنت بعددها الكلي) في مجال جرائم الأحداث والسرقات والتورط في المخدرات والخمور وأعمال الغصب والاحتيال.

٨- أصبح من المألوف أن نجد الأسرة المسلمة تتردد على دور الرعاية الاجتماعية ومراكز الشرطة كأطراف في قضية صراع الأجيال مع أبنائهم وبناتهم.

٩- درجت بعض الدول العربية على أن توفد بعثات من المدرسين لتعليم اللغة العربية لأبناء جاليتها بواسطة الكتاب المدرسي في البلد الأم، مما زاد من تنفير الطفل من اللغة العربية وازداد بذلك عدد الذين استعجم لسانهم.

١٠- للأسف الشديد سعت بعض البلاد الإسلامية- بطرق غير إسلامية- للتعاقد مع بعض شركات المواد الغذائية واللحوم بعيداً عن مراقبة المراكز الإسلامية، مما هز وجودها في هذا المجال.

ونتساءل هنا: أين كان المجلس القاري لمساجد أوروبا؟ وماذا كان دوره؟

فإذا كان الحال كذلك وهو موجود اسماً، فكيف يكون الحال عند إلغائه؟ فقط كل ما أدعوكم إليه هو الرجوع إلى قرارات وتوصيات اجتماعات المجلس على مدى الست السنوات الماضية، وما تم انجازه وما لم يتم، وهل كانت هناك عوائق- وإذا كانت فما هي؟ وهل كانت هناك خطوات نحو تحقيق الهدف الذي أنشئ من أجله؟ وإذا كان هناك خطأ أين يكمن؟

القسم الثاني: العمل الإسلامي في بلجيكا في الفترة من رجب/ مارس ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م إلى محرم / سبتمبر ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦:

١- التصدي للحملات الإعلامية الشرسة على الإسلام في شمال غرب أوربا:

مع بداية العام الميلادي ١٩٨٦م تصاعدت الحملات الإعلامية على الإسلام والنشاط الإسلامي في بلجيكا بعد نشر خبر في جريدة المساء البلجيكية الناطقة بالفرنسية عن طرد واحدة من بلديات بروكسل لمدرس تربية إسلامية لعدم الثقة بالأسلوب التربوي في المدارس البلجيكية ثم تفجرت الأزمة بشكل مخطط لتستهدف تقويض التعليم الإسلامي وإقصاء المهاجرين المسلمين الذين لا يتكيفون مع الحياة الأوروبية وبرزت على السطح مشكلة التواؤم والتعايش والتكيف والانسجام لتملأ الصفحات الأولى في بعض الجرائد والمجلات والندوات الإذاعية والتلفزيونية.

صادف ذلك في الوقت نفسه المشكلة الأمريكية الليبية، وتورطت بعض الفئات والجماعات في الاشتراك في مظاهرة كبرى نظمها الحزب الشيوعي اليساري وارتفعت فيها صور الخميني والقذافي، فورها اشتعلت النار لتصب فوق رأس الجالية الإسلامية والمركز الإسلامي وكل ما ينتمي إلى الإسلام.

والحمد لله، فقد نجحت خطة المركز الإسلامي في إلتزام الصمت في بداية الحملات حتى ألحت جميع الصحف وقنوات التليفزيونات والإذاعة إلى لقاء المركز وتمت اللقاءات التالية:

١- الجرائد:

- المساء LE SOIR الناطقة بالفرنسية: عدد اللقاءات: ٤.
- بلجيكا الحرة الناطقة بالفرنسية: عدد اللقاءات :١.

- STANDARED الناطقة بالفلمنكية: عدد اللقاءات: ١.
- شارلوروا الناطقة بالفرنسية: عدد اللقاءات: ١.
- جريدة بالإيطالية MORGEN الناطقة بالإيطالية: عدد اللقاءات: ١.

ب- المجلات:

- مجلة LE VIF الناطقة بالفرنسية: عدد اللقاءات: ٣ بالإضافة إلى ندوة.
- مجلة KNACK الناطقة بالفلمنكية: عدد اللقاءات ١.
- مجلة TCPIC الناطقة بالفرنسية: عدد اللقاءات: ١.

جـ- الإذاعة والتلفزة:

- إذاعة RADIO LIBRE عدد اللقاءات: ٢.
- إذاعة RBF عدد اللقاءات: ٢.
- التلفاز BTBF عدد اللقاءات: ٣.
- تلفاز لكسمبرج RTL عدد اللقاءات:٢.

وهذه جرائد ومجلات نقلت عن الصحف والمجلات السابقة الذكر عددها ٨.

أسفرت اللقاءات الإعلامية عن التعريف بالإسلام بشكله الصحيح ومحاربته للتطرف والإرهاب في شتى صوره ومظاهره وأبرزت صورة السلام التي يمثلها الإسلام، مما أثار الرأي العام البلجيكي والهجمات المسؤولة بحقيقة الإسلام التي كانوا يجهلونها وتوافد على أثر هذه اللقاءات الجماعات تلو الجماعات لمعرفة المزيد عن الإسلام، ومما هو جدير بالذكر أنه على أثر هذه اللقاءات تراجع نائب رئيس الوزراء ووزير العدل عن قراراته الصارمة التي أعلن عنها ضد المهاجرين.

٢- تمثيل المركز الإسلامي في منظمة حقوق الإنسان فرع بلجيكا في مؤتمرها الخاص بالتعليم الإسلامي:

دعت منظمة حقوق الإنسان إلى مؤتمر علي درجة عالية من التخصص والأهمية يحضره وزراء التعليم و الشئون المحلية ورؤساء البلديات ومديرو التعليم وأساتذة التربية وعلم الاجتماع بالجامعات البلجيكية بالإضافة إلى المركز الإسلامي الذي كان في مقدمة المدعوين، ومثل المركز بوفد مكون من إمام ومدير المركز الإسلامي السيد عبدالله الأهدل والدكتور عبدالرزاق قسوم نائب مدير معهد باريس والدكتور عبدالغني عبود أستاذ التربية الإسلامية وأحد المشاركين في الدورة التربوية لإعداد المعلمين، وقدم المركز صورة واضحة عن التعليم الإسلامي، وجذب إلى اهتمام الحاضرين الفائدة المرجوة من المدارس البلجيكية، وقدم المركز ثلاث وثائق مهمة وزعت على المدعوين وهي:

- التعريف بالإسلام.
- حقوق الإنسان في الإسلام.
- التعليم الإسلامي: حقائق ومبادئ.

٣- تأسيس المجلس الأعلى للمسلمين في بلجيكا:

يتضمن القانون الأساسي للديانات في بلجيكا الذي صدر في عام ١٨٧٠م تكوين مجلس أعلى يمثل أصحاب الديانة يهتم بالشؤون الدينية ويكون رئيسه هو همزة وصل بين أبناء الديانة الواحدة والحكومة البلجيكية على أن يتم تكوين هذا المجلس بالانتخاب من القاعدة إلى القمة.

وبعد ما تم الاعتراف بالدين الإسلامي في بلجيكا مع عام ١٩٧٤م والاعتراف الرسمي والنهائي في ١٩٧٨م، كان لابد من تطبيق هذا القانون والذي يمنح المساجد الاعتراف الرسمي من قبل الدولة بها، وصرف ميزانيتها والإنفاق الشامل عليها من حيث استهلاك المياه والكهرباء، والغاز والتعمير والإصلاح بالإضافة إلى راتب إمام المسجد، وأربعة ممن يديرون شؤون المسجد.

ومما هو جدير بالذكر أنه لا يوجد في بلجيكا مسجد واحد معترف به كمسجد إلا مسجد بروكسل حيث مقر المركز الإسلامي والثقافي ببلجيكا، وما يوجد بالفعل هي مجرد موافقة على مزاولة الشعائر الدينية في هذا المكان وتحت مسمى "جمعية" أو "مؤسسة" وليس بمسجد ولأسباب غير مفهومة أجل تطبيق هذا القانون نظراً لرفض القيادة الإسلامية السابقة إجراء الانتخاب، وتجمدت بذلك مستحقات المسلمين المادية، وأصبحت المساجد تقام وتؤسس من تبرعات الجالية ولا يراعى فيها شكل أو هيئة المسجد.

ومن ناحية أخرى جرت العادة أن تقدم كل جماعة مكونة لمسجد أو جمعية إماماً للصلوات الخمس وخطبة الجمعة تدفع له رواتبه وتتحكم فيه وتجعله تبعاً لهواها مما يجعل الإمام حريصاً على أن يسعى إلى عمل آخر ويخالف بذلك قوانين البلاد في الاستقدام وأمور التشغيل علاوة على فتح باب الانقسامات داخل الجماعة الواحدة.

وما أن تنبهت بعض الجمعيات والاتحادات الإسلامية إلى وجود مثل هذا القانون لدى الدوائر الرسمية البلجيكية حتى سعت كل جمعية

وكل اتحاد لينصب لنفسه ناطقاً باسم الإسلام وممثلاً للمسلمين، ودخل المركز الإسلامي حلبة الصراع.

ولأول مرة في تاريخ العمل الإسلامي في بلجيكا وفي مثل هذه الظروف الراهنة تم جمع المجلس بانتخاب ونجحنا والحمدلله في أن نضيف إلى أعضائه مجلس السفراء الخمسة الذين يمثلون المجلس التنفيذي للمركز الإسلامي، واقصاء من عداهم، ودخول الرابطة للعمل الإسلامي هنا بشكل رسمي ممثل بثلاث مقاعد من بينهم الإمام الأكبر الذي تعينه الرابطة وتتم الموافقة عليه من قبل الأعضاء ويصبح الممثل الوحيد للمسلمين لدى الحكومة البلجيكية، وقد تمت جميع المراحل السابقة.

وقدم بتكوين المجلس وثيقة هي الآن قيد الاعتماد في البرلمان البلجيكي.

٤- الفوائد التي تعود على المسلمين من تكوين المجلس وتطبيق قانون الديانات:

١- الاعتراف حيث لم يكن معترفاً بها من قبل وما يتبع الاعتراف من استقرار أمني يتيح للمسلمين حرية الحركة وحرية ممارسة التقاليد الإسلامية.

٢- صرف ميزانية مقدمة للإنفاق على حاجات المسجد.

٣- صرف راتب للإمام الذي يعينه ممثل السلط الدينية مما يحمله على الإخلاص لمهامه مؤدياً لها طبقاً لما يعرف ويتعلم مع رواتب لأربعة أشخاص يتم انتخابهم من قبل رواد المسجد تحت إشراف ممثل المسلمين.

٤- إعادة تأسيس المساجد حسب خطة معينة وبمعمار إسلامي مميز.

٥- الإشراف الكامل على كل الأنشطة الدينية والثقافية الإسلامية.

٦- صلاحية اتخاذ القرار في جميع الجمعيات والمساجد التي تنتمي للإسلام اسماً ولن يتم اعتراف الحكومة بأي مسجد إلا بعد اعتراف المجلس الأعلى للمسلمين به.

٧- استقرار الوجود الإسلامي داخل بلجيكا.

وأخيراً فإن المجلس الأعلى للمسلمين سوف يكون بمشيئة الله بوصفه المرتقب صورة مثلى للمجالس المحلية التي نادي بإنشائها المجلس الأعلى العالمي للمساجد منذ تأسيسه.

٥- تكثيف الالتحام بالمساجد والمسلمين:

- يبلغ عدد مساجد بلجيكا ١٨٠ مسجداً حظيت بروكسل وحدها بـ ٤٨ مسجداً ومصلى حاولنا جمعهم ولاول مرة عن طريق الزيارات الميدانية وتم والحمد لله ولكن العبرة بالاستمرار حيث إنه أمل يبدو بعيد المرام إذ دخلت بعض الجهات التي لديها أموال لمحاولة احتضانهم، فجمعهم إما أن يكون بالمعونات أو تثقيفهم عن طريق الدعاة أو بعمل دورات تربوية جادة للأئمة أو تزويدهم بمدرسين للقرآن الكريم واللغة العربية وتقف الميزانية حائلاً دون الوفاء بذلك.

- خلال الشهور القليلة الماضية تمت زيارة بعض السجون ومستشفيات بلجيكا حيث قدمت الكتب والهدايا والتمور والورود للمساجين المسلمين والمرضى، واستجاب المركز الإسلامي لأكثر من دعوة من غير المسلمين وتمت زيارتها جميعاً، كما تم الاتصال بالنوادي ودور الرعاية الاجتماعية وبنينا جسراً من العلاقات وتوظيف خبرات المركز الإسلامي والثقافي لخدمة هذه الدور والنوادي في حل مشكلات الجيل الثاني من المسلمين، كما ترك انطباعاً حسناً لدى مديري السجون

وأعلنوها صراحة بأن الدور الذي تلعبه الزيارة مع المساجين يساعدهم كثيرا في إحلال النظام والانضباط.

- تم تأسيس شركة الذبح الحلال طبقاً للشريعة الإسلامية بالتعاون مع مسجد باريس يشرف عليها المركز الإسلامي ويراقبها مراقبة كاملة في الخامس عشر من ذي القعدة ١٤٠٧هـ وبدأت الشركة نشاطها بالفعل وينتظر أن تغطي حاجياتها ببلجيكا وهولندا ولكسمبورج وفرنسا وإنكلترا.
- إعادة الثقة في المركز الإسلامي حيث بدأ المسلمون يتوافدون عليه للصلاة والاستماع إلى دروس القرآن الكريم بين صلاتي المغرب والعشاء.

٦- تشييد مسجد بمطار بروكسل الدولي:

تم فتح مسجد في قلب مطار بروكسل الدولي يشرف على ساحة المطار الكبرى، وقد شيد على النمط الأصيل الإسلامي بأيد بلجيكية مسلمة، ويعد بناء هذا المسجد نصراً مؤزراً للإسلام في شمال غرب القارة الأوروبية وتأكيداً للوجود الإسلامي.

وننتهز هذه المناسبة لنبتهل إلى الله بالدعاء لكل من أسهم في بناء هذا الصرح الإسلامي حتى ولو بكلمة تشجيع.

٧- حفظ القرآن الكريم:

لتشجيع الصبية والشباب والفتيات على حفظ كتاب الله الكريم تم الإعلان عن مسابقة في حفظ القرآن الكريم كما هي العادة في كل عام بين أبناء الجيل الثاني من المسلمين ورصدت لها الجوائز المادية القيمة، وتمت على مرحلتين:

أ - المرحلة الأولى: في المساجد ذاتها بين أبناء المسجد الواحد لاختيار أفضل متسابقين.

ب- المرحلة الثانية بين الفائزين في المساجد بمقر المركز الإسلامي.

وفي ليلة القدر المباركة تم الإعلان عن نتائج المسابقة في حفل كبير أقيم لهذا الغرض.

وقد تقدم للمسابقة ٤٦ فرداً فاز بالمراكز الأولى ستة من الفتيان تدرجت جوائزهم من ١٥,٠٠٠ فرنك بلجيكي ومثل هذا المبلغ إلى معلم القرآن الكريم إلى خمسة آلاف فرنك. وأعطيت جوائز تشجيعية قدرها ألف فرنك لكل متسابق.

وفي خطة المركز المستقبلية إقامة هذه المسابقة مرتين سنوياً بمرشحين ومتسابقين جدد إن شاء الله.

٨- **الفن والثقافة والإعلام:**

أعد المركز الإسلامي سجلاً خاصاً يسجل فيه أصحاب المواهب والخبرات من المسلمين وعناوينهم وربطهم بالمركز للعمل من خلاله.

أ- يعد الآن لمعرض الفن الإسلامي (زخرفة- ديكور- رسم) على أن يفتتح بمقر المركز الإسلامي في شهر مارس القادم بمشيئة الله.

- وابتداء من شهر أكتوبر سوف تكثف الدعاية على مستوى أوروبا بالكامل وستكون الدعوة رسمية وشعبية.

- ويعد هذا واحداً من أساليب الاقتراب من عقل واهتمام

الرجل الأوروبي وقد أعددنا برنامجاً مواكباً لفترة العرض التي تمتد إلى ثلاثة أسابيع على الأقل- يتضمن محاضرات عن الفن والحضارة والتاريخ والفكر الإسلامي ندعو إليها واحداً من كبار المتخصصين المسلمين كل في مجاله.

ب- بدأ المركز في تنظيم سلسلة يومية من محاضرات تفسير القرآن الكريم امتدت من صلاة العصر إلى قرب صلاة المغرب شملت شهر رمضان بأكمله تم فيها تفسير الثلاثة أجزاء من القرآن ألقاها فضيلة الشيخ حسين صديق أستاذ بكلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

جـ- في الفترة من ٢٨ مايو ١٩٨٦م إلى ١٠ يوليو ١٩٨٦م فتحت قاعات محاضرات المركز لتستقبل مدرسي التربية الإسلامية بالإضافة إلى عموم المسلمين، وخاصة في مادتي التربية الإسلامية والثقافة الإسلامية، والتي تولى إلقاء محاضراتها الدكتور محمد حميد الله والدكتور عبدالغني عبود والدكتور محمد صواش والشيخ محمد بدرالدين وامتلات قاعات المركز الست عشرة وبقيت أعداد كبيرة لم تجد أماكن وقوفاً.

د- يجري التفاوض الآن مع الحكومة البلجيكية لتوسيع مدى البث الإذاعي وتمديد ساعاته على موجة مستقلة.

هـ- انجزت لجنة المناهج المكلفة بإصدار الكتاب المدرسي للغة

العربية الكتاب الأول والثاني وهما الآن قيد الطبع بعدما أجريت عليهما الاختبارات اللازمة في المدرسة الإسلامية التي يبدأ تصويرها في بداية هذا العام.

و- بدأنا الآن مرحلة تطوير تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها طبقاً لما استحدث في علم اللغويات.

ز- تكثفت دروس اللغة العربية والفقه والثقافة الإسلامية للمسلمين الجدد، تعطي كل سبت من كل أسبوع مع تهيئة مكان للمسلمين البلجيك يضم خبراتهم ومواهبهم حتى نتمكن من إعدادهم للمهام المستقبلية.

ح- قاعة السيدات:

يمكننا القول ونحن واثقون: إن النشاط النسائي الإسلامي كان منعدماً بالمرة منذ افتتاح المركز الإسلامي إلى شهر مارس الماضي ولم يدل على وجود هذا النشاط إلا لافتة علقت على قاعة فخمة كتب عليها قاعة السيدات، ومنذ المؤتمر الأول للمجلس وتثقيفها وربطها بالمسجد.

وانطلاقاً من هذا الواجب فإن المركز الإسلامي قد أعد مكاناً لائقاً بهن غير المكان الأول وبدأن يترددن عليه ونظم لهن برنامج اشتركن في وضعه وبدأت التجربة ونحن مستمرون في تطويرها، وقد أحدث فتح قاعة السيدات صدى طيباً لدى السيدات في أطراف بلجيكا مما جعلهن يتوافدن عليه ويطلبن فتح فروع مماثلة حيث يكثر تجمع المسلمات.

تواريخ مجيدة في ذاكرة المسلمين ببلجيكا:

١٩٦٣م: إنشاء المركز الإسلامي والثقافي ببلجيكا (بروكسل).

١٩٦٨م: الحصول على الشخصية المدنية للمركز بموجب المرسوم الملكي واعتباره الممثل للمسلمين والمسؤول الأوّل عن الشعائر الإسلامية ببلجيكا.

١٩٧٤م: اعتراف بلجيكا بالإسلام.

١٩٧٥م: إدراج التعليم الإسلامي في المقرّرات الدراسية بالمدارس البلجيكية.

١٩٧٨م: افتتاح المبنى الجديد للمركز في أهمّ وأجمل أحياء مدينة بروكسل وعلى بُعد أمتار من مبنى السوق الأوروبية المشتركة.

١٩٨٠م: تأسيس الأمانة العامة للتعليم الإسلامي ترعى شؤونه الفنية والإدارية.

١٩٨٢م: تعهّد رابطة العالم الإسلامي بتمويل المركز الإسلامي.

١٩٨٣م: افتتاح المعهد الإسلامي الأوروبي في شكله الأوّلي.

١٨٩٨٤-١٩٨٥م: تشييد ما يزيد على٢٠ مسجداً، وصرف معونات لها ولغيرها من المساجد التي تحتاج إلى إصلاحات وترميمات من طرف رابطة العالم الإسلامي.

١٩٨٦م: افتتاح مسجد مطار بروكسل الدولي.

١٩٨٧م: افتتاح المعهد الإسلامي الأوروبي بعد تطويره.

انتهى ما ذكره المركز الإسلامي في بلجيكا.

نبأ محزن:

بلغنا بعد ذلك نبأ الاعتداء على السيد عبدالله بن محمد الأهدل مدير المركز الإسلامي في بلجيكا حيث قتل في مكتبه في المركز دخل عليه اثنان وأطلقا النار عليه فقتل فوراً وكان مقتله في مكتبه في المركز الإسلامي في بروكسل مساء الأربعاء ١٤٠٩/٨/٢٢هـ.

وقد خسر المركز الإسلامي، بل خسرت رابطة العالم الإسلامي التي تشرف على المركز بمقتل السيد عبدالله بن محمد الأهدل خسارة عظيمة لا يمكنها أن تعوض لأنه من الرجال العاملين المخلصين للدعوة، النشطين في العمل الإسلامي مما كان له أثر كبير في تنشيط الدعوة الإسلامية في غرب أوروبا، بل بالنهوض بها في بلجيكا، وعزاءنا إلى والده وإخوانه وأولاده، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف	٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات	١١
مقدمة	١٥
الفصل الأول: البرتغال	١٩
جغرافية البرتغال	٢١
المناخ	٢٢
البرتغال الاستعمارية	٢٣
من الدار البيضاء إلى لشبونة	٢٥
مطار طنجة	٢٧
إلى لشبونة	٢٧
فوق لشبونة	٣٠
في مطار لشبونة	٣١
نظرة إجمالية	٣٢
إلى سفارة فنزويلا	٣٥
المطاعم والمشارب	٣٦
آداب الشارع	٣٧
يكلموننني بالبرتغالية	٣٨
جولة في مدينة لشبونة	٣٩
شارع الذهب	٤١
البرتقال في البرتغال	٤٢
المدينة العربية	٤٣
رفيع الدرجات	٤٥

العصافير تزقزق في الأزقة ٤٦
أغلى ما عندهم إسلامي ٤٧
يبيعون على أرض الشارع ٤٨
عودة من التاريخ ٤٩
الشاهد على المقبرة ٤٩
الجسر الرائع ٥٠
على شاطئ البحر ٥٢
كنيسة مريم ٥٤
عرس برتغالي ٥٥
المتحف الوطني للعربات ٥٦
العودة إلى المسير ٥٨
مغادرة البرتغال ٥٩
الفصل الثاني: بلجيكا ٦١
بلجيكا ٦٣
سبب الرحلة ٦٦
من جدة إلى لندن ٦٧
في مطار لندن ٦٩
من لندن إلى بروكسل ٧٢
في مطار بروكسل ٧٣
في مدينة بروكسل ٧٧
إلى المركز الثقافي الإسلامي ٧٨
لمحة عن المركز ٧٩
حفل اتحاد طلبة المعهد الإسلامي الأوروبي ٨٤
في مطعم تركي ٩٨

الاجتماع بأئمة المساجد ٩٩
إلى هولندا ١٠٥
بنو الممتاز ١٠٦
في ضواحي بروكسل ١٠٨
البلاد التي لا تعرف الظلام ١٠٨
الريف البلجيكي ١٠٩
مدينة أنتروب ١١٠
مدينة بريدة ١١١
الفصل الثالث: هولندا ١١٥
هولندا ١١٧
الحكومة الهولندية ١١٧
جمهورية البلاد الواطئة المتحدة ١٢٠
مملكة البلاد الواطئة ١٢١
المسلمون العرب في المجتمع الهولندي ١٢١
الدين والدولة والمجتمع في هولندا ١٢٢
الواقع السكاني ١٢٥
المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ١٢٧
الصور المشوهة عن الإسلام والمسلمين ١٢٨
الصعوبات الناتجة عن فشل الشباب في التعليم ١٣١
المساجد في هولندا ١٣٢
المشاهدات ١٣٩
مدينة (دور دوخ) ١٤٣
بلدة ريدر كريك ١٤٥
بلاد الدراجات ١٤٦

في بيت الرحمن ١٤٧
من ريدر كريك إلى روتردام ١٥١
ثم مدينة روتردام ١٥٣
مسجد النصر ١٥٤
المساجد في روتردام ١٥٧
إلى لاهاي ١٥٨
إلى أمستردام ١٦٠
في مدينة أمستردام ١٦١
شوارع القنوات ١٦٢
مسجد محمد الفاتح ١٦٣
قلب مدينة أمستردام ١٦٤
قاذورات المدينة ١٦٦
العودة إلى لاهاي ١٧١
مأدبة السفارة السعودية ١٧١
العودة إلى بلجيكا ١٧٣
العودة إلى بروكسل ١٧٥
اجتماع عمل في السفارة ١٧٦
مأدبة السفير ١٧٨
في حي عربي ١٨٠
مسجد التوحيد ١٨١
المظاهرة التي أفسد البرنامج ١٨٣
مسجد الخليل ١٨٤
المسلمون يزيدون والسكان ينقصون ١٨٧
قائمة بالمساجد في بلجيكا ١٨٧

المدرسة المهنية ١٩٤
في حي المسلمين ١٩٥
سبعة عشر مسجداً في حي واحد ١٩٧
مأدبة السفير الجزائري ١٩٨
الأثوميوم أو رمز السوق الأوروبية المشتركة ٢٠٠
منطقة القصور الملكية ٢٠٢
الاجتماع بموظفي السفارة ٢٠٤
الحديقة الخمسينية ٢٠٥
إلى واترلو ٢٠٨
العودة إلى بروكسل ٢١٠
إلى مدينة أنتورب ٢١١
حديث المساجد في أنتورب ٢١٤
في مسجد الوحدة للمسلمين ٢١٥
العودة إلى بروكسل ٢١٦
من بروكسل إلى فرانكفورت ٢١٧
في مطار فرانكفورت ٢١٩
الإسلام والمسلمون في بلجيكا ٢٢١
قال التقرير ٢٢٢
قال المركز الإسلامي لبلجيكا ٢٢٧
تواريخ مجيدة في ذاكرة المسلمين ببلجيكا ٢٤٢
نبأ محزن ٢٤٣
الفهرس ٢٤٥